اَلتَّخَاطُرُ وَالرُّؤْيَةُ مِنْ بَعْدٍ.. كَلِمَاتٌ مِنْ أَتْقَنَهُمَا

دِرَاسَةٌ لِأَقْوَى نَجَاحٍ لِلتَّخَاطُرِ سُجِّلَ عَبْرَ التَّارِيخِ.

تَجَارِبُ وَنَتَائِجُ أَقْوَى مُتَخَاطِرٍ.

يَجْعَلُكَ تُجَرِّبُ التَّخَاطُرَ بِمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ.

وَيَسْمَعُ وَيُسْمِعُكَ -ذِهْنِيًّا- كَلَامَ الْأَصَمِّ وَالْأَبْكَمِ.

لِلدُّكْتُورِ الْكَاتِبِ/ نَبِيل حَمِيدَة

التَّخاطرُ والرُؤيَة من بَعدِ .. كلماتٍ من أتَقنهما

طبعة منقحة

للكاتب : نبيل حميدة

دعاءُ الفتح

"اللهمَّ يا واسعَ العطاء، ويا مُلهمَ العقولِ بالبصيرةِ والضياء..
اجعلْ في قلوبنا نوراً، وفي أسماعنا نوراً، وفي أبصارنا نوراً.
اللهمَّ إنَّ قلوبنا بين أصبعينِ من أصابعِ رحمتك، فثبّتها على ميثاقِ الفطرةِ الأول، واكشفْ عن أرواحنا حُجبَ المادة، لندركَ لُطفكَ المحيطَ بنا في كلِّ نبضةٍ وخاطر.
نسألكَ عِلماً يقرّبنا إليك، ويقيناً يجعلنا نرى مَلكوتكَ في عظيمِ صُنعك.
ربِّ زدنا عِلماً، وألحقنا بالصالحين."

اهداء

"إلى كل روحٍ تائهةٍ تبحثُ عن مرساها في ملكوتِ الله..

إلى الذين يدركون أن خلفَ الحواسِ عالماً لا يُبصرُ إلا بالبصيرة..

إلى الذين يؤمنون بقدراته سبحانه.. القريبِ من حبلِ الوريد.. أهدي هذا البوح."

مُقَدِّمَةٌ

أَكْرَمَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ بِالْعَقْلِ، وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ وَسَخَّرَهَا لَهُ، فَسَادَهَا بِهِ، وَأَحْكَمَ قَبْضَتَهُ عَلَيْهَا بِدِرَاسَتِهِ لَهَا. فَصَعِدَ بِمُضِيِّ الزَّمَنِ دَرَجَاتِ وَعْيِهِ، وَأَيْقَنَ سُلْطَانَ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ. فَدَرَجَ بِالْمُلَاحَظَةِ يَسْتَعْمِلُ الْعِظَامَ سِلَاحًا، وَالصَّخْرَ لِمَتَانَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ أَصْبَحَ عُدَّةً لِلْمَنْزِلِ وَلِلْقَنْصِ وَالْحَرْبِ، وَلِلْمَنْزِلِ طُوبًا وَسَقْفًا وَأَعْمِدَةً، وَلِلْعَرَبَةِ عَجَلَةً، وَنَحَتَ بِهِ أَغْلَى اللَّوْحَاتِ.

ثُمَّ، وَبِمِيزَةِ دَوَامِ الْبَحْثِ لِهَذَا الْعَقْلِ الْخَارِقِ، اسْتَبْدَلَ الْحَجَرَ بِالْمَعْدِنِ. وَبِمِيزَةِ التَّطْوِيرِ لِلْمَوْجُودِ وَالْبَحْثِ عَنِ الْمَفْقُودِ، وَصَلَ بِنَا إِلَى كُلِّ مَا نَرَاهُ مِنْ لَطَائِفِهِ مِنْ جُودٍ. فَكُلُّ مُبْهِرٍ مِنْ صُنْعِ الْإِنْسَانِ مِنْ نِتَاجِهِ، وَكُلُّ فَنٍّ آسِرٍ مِنْ غَيَاهِبِهِ. أَيْنَعَتْ أَفْكَارُهُ نُجُومًا لَمْ يُفْلِحِ الزَّمَنُ أَنْ يَكُونَ لَهَا آفِلًا. يَعْجِزُ بَعْضُ سُكَّانِ الْبَسِيطَةِ حِينًا فِي فَهْمِ كُنْهِهَا. إِنَّهَا الْجَوَاهِرُ الَّتِي اسْتُخْرِجَتْ مِنْ أَعْمَاقِ مَنَاجِمِهِ: مِنْ أَهْرَامَاتِ الْجِيزَةِ إِلَى الْمُونَالِيزَا، وَمِنْ رُسُومَاتِ الطَّاسِيلِي إِلَى الْقَبْرِ النُّومِيدِي، وَمِنْ مِسْبَارِ الْكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ إِلَى السَّيَّارَةِ، وَمِنَ الْكِيمْيَاءِ إِلَى عُلُومِ النَّانُو وَالنِّسْبِيَّةِ، وَمِنَ الْكُرُومُوزُومَاتِ إِلَى الْمَكُّوكِ وَالْغَوَّاصَةِ.

لَمْ يُفْلِحْ ضَغْطُ الْأَثِيرِ فِي مَنْعِ صُعُودِهِ مِئَةَ أَلْفِ كِيلُومِتْرٍ، وَلَمْ يُفْلِحْ ضَغْطُ الْمَاءِ فِي مَنْعِ نُزُولِ غَوَّاصَتِهِ لِأَلْفِ مِتْرٍ. وَلَا يَزَالُ يَبْحَثُ فِي الْأُمُورِ عَنْ تَعْقِيدِهَا، وَفِي الْمُبْهَمَاتِ عَنْ شِيفْرَةِ لُغْزِهَا. فَإِنْ كَانَتِ الْجَاذِبِيَّةُ الْمُضَادَّةُ هِيَ الْعِلْمُ الَّذِي إِنْ أَحَطْنَا بِهِ طَارَتْ سَيَّارَاتُنَا كَأَفْلَامِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَإِذَا كَانَ مَا يَقِفُ فِي طَرِيقِ تَزَوُّدِنَا بِطَاقَةٍ لَا تَنْضَبُ هُوَ نَجَاحُ إِنْتَاجِ الْمَادَّةِ الْمُضَادَّةِ، فَإِنَّ عَلَى الْغَالِبِ عَجْزَنَا الْحَالِيَّ فِي الْإِحَاطَةِ بِالْكَوْنِ وَمُكَوِّنَاتِهِ يُمَاثِلُ عَجْزَنَا أَمَامَ إِدْرَاكِ حَقِيقَةِ مَقْدُرَاتِ عُقُولِنَا.

فَكَمَا أَذْهَلَ النَّاسَ الْكَوْنُ بِنَظَرِيَّاتِهِ وَبُرُوجِهِ وَثُقُوبِهِ السَّوْدَاءِ، سَلَبَ عُقُولَهُمْ أَيْضًا الْعَقْلُ بِطَاقَاتِهِ وَظَوَاهِرِهِ الْخَارِقَةِ. فَإِنْ كَانَتِ الظَّوَاهِرُ حَقِيقِيَّةً فِي الْعُلُومِ فَتَحْسِينُ التَّجَارِبِ يُفْرِزُ نَتَائِجَ أَكْثَرَ أَهَمِّيَّةً وَتَحْدِيدًا، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ يَسْرِي فِي الِاتِّجَاهِ الْمُضَادِّ حِينَ دِرَاسَةِ خَوَارِقِ الْعَقْلِ. فَلَقَدْ دَرَسَ الْعُلَمَاءُ إِدْرَاكًا آخَرَ عَجِيبًا لَا تَكُونُ الْحَوَاسُّ الْخَمْسَةُ وَسِيلَتَهُ، فَظَهَرَتْ مُسَمَّيَاتٌ مِثْلَ: التَّخَاطُرِ (هُوَ إِدْرَاكُ أَفْكَارِ وَمَشَاعِرِ شَخْصٍ آخَرَ وَالرُّؤْيَةُ مِنْ بَعْدُ)، الِاسْتِبْصَارِ (إِدْرَاكُ الْأَحْدَاثِ وَالْأَشْيَاءِ)، بُعْدِ النَّظَرِ (مَعْرِفَةُ أَحْدَاثِ الْمُسْتَقْبَلِ)، وَالْفَاعِلِيَّةِ الْعَضَلِيَّةِ اللَّاوَاعِيَةِ (وَهِيَ تَحْرِيكُ الْأَشْيَاءِ بِقُوَى الْعَقْلِ). لَكِنْ لِنُدْرَةِ إِنْتَاجِ إِثْبَاتٍ يُمْكِنُ تَكْرَارُهُ عَنِ الْإِدْرَاكِ خَارِجَ نِطَاقِ الْإِدْرَاكِ الْحِسِّيِّ الْعَادِي أَمَامَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُحَايِدِينَ زَرَعَ

الشَّكَّ فِي جُمْهُورِهِمْ. لَكِنْ بِعَزِيمَةِ بَعْضِهِمْ، لَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَرَجَ لِلدُّنْيَا عِلْمٌ يُعْنَى بِدِرَاسَةِ هَذِهِ الْخَوَارِقِ -وَالَّتِي اخْتَلَطَتْ لِقِدَمِهَا فِي مَاضِي الْإِنْسَانِ بِالْخُرَافَاتِ وَمُسَمَّيَاتٍ وَمسميات أُخْرَى- سُمِّيَ بِعِلْمِ النَّفْسِ الْمُوَازِي. عِلْمٍ حَاوَلَ التَّوَغُّلَ بِشَجَاعَةٍ فِي مَا خَشِيَ الْعُلَمَاءُ سَبْرَ أَغْوَارِهِ، دَارِسًا بِكُلِّ مَوْضُوعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ أَعْمَاقَ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ.

مُلَخَّصٌ وَخَاتِمَةٌ

وَهَذَا الْكِتَابُ، عَزِيزِي الْقَارِئَ، يَنْقُلُ إِلَيْكَ أَحْدَثَ مَا تَوَصَّلَ إِلَيْهِ الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ حَوْلَ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ، مُرَكِّزًا أَكْثَرَ عَلَى ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ وَالرُّؤْيَةِ مِنْ بَعْدُ، مَعَ الْخَوْضِ بِكَ فِي نَجَاحِ تَجْرِبَتِي الْعِمْلَاقَةِ، الَّتِي أُسْعَدُ فِي إِطْلَاعِكَ عَلَى مُخْتَلِفِ مَرَاحِلِهَا، مُسَاعِدًا إِيَّاكَ فِي إِثْرَاءِ مَعْرِفَتِكَ، وَإِثْرَاءِ دُرْجِ الْبَاحِثِينَ وَالْعُلَمَاءِ بِنَقْلِ مُلَاحَظَاتِي بِالتَّدْقِيقِ عَسَى أَنْ تَكُونَ لَهُمْ عَوْنًا وَاسْتِدْلَالًا فِي بُحُوثِهِمْ فِي هَذَا الْمَجَالِ فِيمَا بَعْدُ. لِأَنَّهُ تَأَكَّدَ أَنَّنَا عَلَى أَبْوَابِ عَصْرٍ جَدِيدٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الشَّامِلَةِ، تَزُولُ فِيهِ التَّنَاقُضَاتُ بَيْنَ وَسَائِلِهَا الْمُخْتَلِفَةِ، وَتَلْتَقِي فِيهِ أَقْدَمُ الْعَقَائِدِ الْبَدَائِيَّةِ مَعَ أَحْدَثِ مَا تَتَعَامَلُ مَعَهُ الْعُقُولُ الْإِلِكْتُرُونِيَّةُ.

الفصل الأول

مَاذَا قَالَ الْعِلْمُ عَنِ التَّخَاطُرِ وَالرُّؤْيَةِ مِنْ بَعْدُ؟

الْفِهْرِسُ وَالْعَنَاوِينُ الْفَرْعِيَّةُ:

مَاذَا قَالَ الْعِلْمُ عَنِ التَّخَاطُرِ وَالرُّؤْيَةِ مِنْ بَعْدُ؟

تَعْرِيفُ ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ عَنْ بُعْدٍ:

- أَصْلُ كَلِمَةِ التَّخَاطُرِ.
- أَمْثِلَةٌ عَلَى ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ عَنْ بُعْدٍ.

دِرَاسَةُ التَّخَاطُرِ:

- عَقْلٌ أَيْسَرُ يَرْفُضُ وَأَيْمَنُ يَقْبَلُ وَيُؤْمِنُ.

فَرَضِيَّاتٌ لِتَفْسِيرِ ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ:

- الطُّرُقُ النَّاجِحَةُ حَوْلَ الْعَالَمِ:
  - الْمَجَالُ الْكَامِلُ "الْغِنْزْفِيلْد" (Ganzfeld).
  - خُطُوَاتٌ مَدْرُوسَةٌ لِلْوُصُولِ لِمَا نُسَمِّيهِ التَّخَاطُرَ.

- o أَقْوَى مَا يَسْتَعْمِلُهُ الْمُتَخَاطِرُ هُوَ الْحُبُّ.

قِصَصٌ عَنِ التَّخَاطُرِ حَوْلَ الْعَالَمِ وَالرُّؤْيَةِ مِنْ بَعْدُ:

- إِحْدَاثُ السُّلُوكِ بِالتَّخَاطُرِ.

مُلَخَّصُ التَّفْسِيرِ الْعِلْمِيّ لِلتَّخَاطُرِ:

- ظَاهِرَةُ الْـ PK (الْفَاعِلِيَّةُ الْعَضَلِيَّةُ اللاَّوَاعِيَةُ/التَّحْرِيكُ الْعَقْلِيُّ).

مُقَدّمَةُ الْبَحْثِ وَتَعْرِيفُ الظَّاهِرَةِ

أَوَّلًا، نَبْدَأُ كَلَامَنَا بِتَسْبِيحِ اللهِ.. فَسُبحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ. سُبْحَانَ اللهِ الَّذِي أَسْمَعَنَا كَلَامَ مَنْ لَمْ نَكُنْ نَتَخَيَّلُ أَنْ نَسْمَعَهُمْ فِي حَيَاتِنَا: كَلَامَ الْأَصَمّ وَالْأَبْكَمِ، بِطَرِيقَةٍ لَمْ تَكُنْ فِي خَيَالِ أَحَدٍ، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَحْلُمُ حَتَّى الْحُلْمَ أَنَّهُ بِاسْتِطَاعَتِهِ الْكَلَامُ دُونَ النُّطْقِ تَمَامًا.

وَلِكَوْنِ الْعِلْمِ فَسَّرَ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ وَدَعَاهَا بِاسْمِ التَّخَاطُرِ وَالرُّؤْيَةِ مِنْ بَعْدُ، وَظَوَاهِرِ الْإِدْرَاكِ مَا فَوْقَ الْحِسِّيّ عُمُومًا، فَنُحَاوِلُ فِي هَذَا الْكِتَابِ دِرَاسَةَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ دِرَاسَةً عِلْمِيَّةً مَبْنِيَّةً عَلَى الْمُلَاحَظَةِ وَالتَّجْرِبَةِ، مُعَرِّجًا قَبْلَ وَبَعْدَ ذَلِكَ عَلَى التَّفْسِيرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ الَّتِي لَهَا عَلَاقَةٌ بِكُلِّ ذَلِكَ.

وَنَسْتَهِلُّ ذَلِكَ بِـ:

تَعْرِيفِ ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ عَنْ بُعْدٍ:

يُمْكِنُ تَعْرِيفُ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بِأَنَّهَا إِمْكَانِيَّةُ نَقْلِ الْعَوَاطِفِ، أَوِ الْكَلِمَاتِ، أَوِ التَّخَيُّلَاتِ بَيْنَ شَخْصَيْنِ دُونَ اسْتِخْدَامِ الْوَسَائِلِ الْحِسِّيَّةِ لِلتَّوَاصُلِ. يُطْلَقُ عَلَى الْأَوَّلِ مِنْهُمَا اسْمُ الْمُرْسِلِ، وَعَلَى الْآخَرِ اسْمُ الْمُسْتَقْبِلِ. وَهُوَ يُعَدُّ نَوْعًا

مِنَ الْإِدْرَاكِ فَوْقَ الْحِسِّيِّ[1] (بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ: Extrasensory Perception – ESP)، الَّذِي يَشْمُلُ أَيْضًا الْقُدْرَةَ عَلَى التَّنَبُّؤِ، وَالِاسْتِبْصَارِ، وَالَّتِي تُعْتَبَرُ جَمِيعُهَا مِنَ الْأُمُورِ غَيْرِ الْقَابِلَةِ لِلْقِيَاسِ، وَالَّتِي يَعْتَقِدُ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ أَنَّهَا غَيْرُ مَوْجُودَةٍ.

أَصْلُ كَلِمَةِ التَّخَاطُرِ وَأَمْثِلَةٌ عَلَيْهِ

أَصْلُ كَلِمَةِ التَّخَاطُرِ:

يَعُودُ أَصْلُ كَلِمَةِ التَّخَاطُرِ بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ (Telepathy) إِلَى الْكَلِمَةِ الْيُونَانِيَّةِ "tele" الَّتِي تَعْنِي الْمَسَافَاتِ أَوِ الْبُعْدَ، وَكَلِمَةِ "apathe" الَّتِي تَعْنِي الْمَشَاعِرَ. وَيُعَدُّ الْبَاحِثُ النَّفْسِيُّ مَايِدْزُ أَوَّلَ مَنْ صَاغَ هَذَا الْمُصْطَلَحَ عَامَ 1882م، وَذَلِكَ نَتِيجَةَ دِرَاسَةٍ أَجْرَاهَا مَعَ عَدَدٍ مِنْ زُمَلَائِهِ حَوْلَ إِمْكَانِيَّةِ انْتِقَالِ الْأَفْكَارِ، وَمَعْرِفَةِ السَّبَبِ وَرَاءَ التَّزَامُنِ فِي التَّفْكِيرِ بَيْنَ شَخْصَيْنِ.

أَمْثِلَةٌ عَلَى ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ عَنْ بُعْدٍ:

[1] **الإدراك فوق الحسي (Extrasensory Perception - ESP):** طريقة اتصال أو إدراك شيء دون استعمال الحواس المعروفة. إن إدراك أفكار شخص آخر بدون استعمال البصر، أو السمع، أو الذوق، أو اللمس، أو الشم سوف يكون مثالاً لذلك. ودراسة الإدراك الخارج عن نطاق الإدراك الحسي العادي هو جزء من مجال علم النفس يُسمَّى علم النفس الموازي (Parapsychology). إن الدليل على وجود الإدراك الخارج عن نطاق الإدراك الحسي العادي أمر غير مؤكد؛ فمعظم العلماء يعتقدون أن الإدراك خارج نطاق الإدراك الحسي العادي هو شيء لم يثبت وجوده بعد.

مِنَ الْأَمْثِلَةِ عَلَى التَّخَاطُرِ الشُّعُورُ بِالْقَلَقِ عَلَى شَخْصٍ مَا، لِيَتِمَّ اسْتِقْبَالُ مُكَالَمَةٍ تُخْبِرُ أَنَّ هَذَا الشَّخْصَ قَدْ تَعَرَّضَ لِحَادِثٍ مَا. بِالْإِضَافَةِ إِلَى التَّفْكِيرِ بِشَخْصٍ لَمْ تَتِمَّ رُؤْيَتُه مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، لِيَتِمَّ لِقَاؤُه عَنْ طَرِيقِ الصُّدْفَةِ بِشَكْلٍ مُفَاجِئٍ. كَمَا أَنَّ التَّفْكِيرَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ قَدْ يُعَدُّ لَدَى الْبَعْضِ مِثَالًا عَلَى التَّخَاطُرِ أَيْضًا، فَقَدْ تُفَكِّرُ الزَّوْجَةُ بِطَهْيِ طَبَقٍ مُعَيَّنٍ لِيَطْلُبَ مِنْهَا زَوْجُهَا فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ طَهْيَ ذَلِكَ الطَّبَقِ، أَوْ عِنْدَ تَقْدِيمِ اقْتِرَاحٍ مُمَاثِلٍ مِنْ قِبَلِ صَدِيقَيْنِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ لِكَيْفِيَّةِ قَضَاءِ اللَّيْلَةِ مَعًا، وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ قِرَاءَةُ الْأَفْكَارِ، وَالَّذِي لَا يُمْكِنُ اعْتِبَارُه صُدْفَةً دَائِمًا، وَإِنَّمَا يُمْكِنُ اعْتِبَارُه شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ.

مِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ هُنَا أَنَّ لِلتَّخَاطُرِ أَنْوَاعًا عِدَّةً مِنْهَا: التَّخَاطُرُ الْغَرِيزِيُّ (بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ: Instinctual Telepathy)، وَالَّذِي يَشْعُرُ فِيهِ الشَّخْصُ بِشُعُورِ أَوِ احْتِيَاجَاتِ شَخْصٍ آخَرَ فِي مَكَانٍ مَا عَلَى بُعْدِ مَسَافَةٍ عَنْهُ؛ وَالتَّخَاطُرُ الْعَقْلِيُّ (بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ: Mental Telepathy)؛ وَالتَّخَاطُرُ الرُّوحِيُّ (بِالْإِنْجِلِيزِيَّةِ: Spiritual Telepathy).

دِرَاسَةُ التَّخَاطُرِ:

يُعَدُّ التَّخَاطُرُ أَحَدَ الْعُلُومِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تُدَرَّسُ فِي كَثِيرٍ مِنْ دُوَلِ أُورُوبَّا وَجَامِعَاتِ أَمْرِيكَا، وَهُوَ ظَاهِرَةُ انْتِقَالِ الْأَفْكَارِ مِنْ شَخْصٍ إِلَى شَخْصٍ آخَرَ دُونَ اسْتِخْدَامِ أَيٍّ مِنْ حَوَاسِّ الْإِنْسَانِ. فَقَدْ تَكُونُ فِي بَلَدٍ وَيَحْدُثُ تَخَاطُرٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَخْصٍ يَبْعُدُ عَنْكَ آلَافَ الْكِيلُومِتْرَاتِ. وَغَالِبًا مَا تَقَعُ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ بَيْنَ الْأَشْخَاصِ الْمُتَحَابِّينَ وَالْمُتَقَارِبِينَ، وَبَيْنَ التَّوَائِمِ وَالْأَزْوَاجِ، حَيْثُ تَسْتَطِيعُ مَعْرِفَةَ شَيْءٍ يَحْدُثُ لِشَخْصٍ وَتَشْعُرُ بِهِ دُونَ أَنْ يُخْبِرَكَ أَحَدٌ بِالْأَمْرِ.

تَعَدَّدَتِ التَّعَارِيفُ فِي هَذَا الشَّأْنِ، فَمِنَ الْبَاحِثِينَ مَنْ يَرَى أَنَّ التَّخَاطُرَ هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى نَقْلِ الْمَشَاعِرِ وَالْكَلِمَاتِ وَالصُّوَرِ لِعَقْلِ شَخْصٍ آخَرَ (مِمَّا يَجْمَعُ بَيْنَ التَّخَاطُرِ وَالرُّؤْيَةِ عَنْ بُعْدٍ، رُغْمَ انْفِصَالِهِمَا اصْطِلَاحِيًّا لَاحِقًا). وَوَفْقًا لِمُؤَرِّخِينَ أَمْثَالِ: "رُوجَر لُوكْهُورْسْت" وَ"جَانِيت أُوبِنْهَايِم"، فَإِنَّ مَفْهُومَ التَّخَاطُرِ ظَهَرَ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ فِي الْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ. وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ، تَمَّ تَشْكِيلُ "جَمْعِيَّةِ الْبُحُوثِ النَّفْسِيَّةِ" بِهَدَفِ فَهْمِ الظَّوَاهِرِ الْعَقْلِيَّةِ، مِثْلَ التَّخَاطُرِ الذِّهْنِيِّ، وَالْمَوَاقِفِ غَيْرِ الْمُفَسَّرَةِ مِنَ التَّوَافُقَاتِ غَيْرِ الْمَرْصُودَةِ. وَقَدْ بَرَزَتْ نَظَرِيَّاتٌ تَتَنَاوَلُ كَيْفِيَّةَ التَّوَاصُلِ مَعَ الْغَائِبِ، بَلْ إِنَّ الْبَعْضَ حَاوَلَ مَدَّ هَذَا التَّوَاصُلِ لِيَشْمَلَ الْمَوْتَى، رُغْمَ دَحْضِ الْمُعْتَقَدَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ لِذَلِكَ.

وَيعرِفه آخَرُونَ بِأَنَّهُ تبَادُلُ الْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ دُونَ اسْتِخْدَامِ الْمَدَارِكِ التَّقْلِيدِيَّةِ كَالسَّمْعِ أَوِ الْبَصَرِ أَوِ الشَّمِّ أَوِ التَّذَوُّقِ أَوِ اللَّمْسِ. وَيُسَمَّى التَّخَاطُرُ أَحْيَانًا "قِرَاءَةَ الْأَذْهَانِ". وَلِكَيْ تُصَنَّفَ الْعَمَلِيَّةُ كَظَاهِرَةٍ تَخَاطُرِيَّةٍ حَقِيقِيَّةٍ، لَا بُدَّ مِنْ تَكْرَارِ النَّجَاحِ فِي نَقْلِ مَعْلُومَةٍ مُحَدَّدَةٍ بَيْنَ طَرَفَيْنِ مِرَارًا، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ تَفْسِيرُهَا بِمُجَرَّدِ الصُّدْفَةِ.

نُبْذَةٌ تَارِيخِيَّةٌ عَنِ التَّخَاطُرِ

تَعَرَّفَ الْإِنْسَانُ عَلَى «التَّخَاطُرِ» لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي التَّارِيخِ فِي عَهْدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. كَانَ لِـ«عُمَرَ» هِبَةٌ مِنَ اللَّهِ جَعَلَتْهُ يَتَمَكَّنُ مِنْ إِرْسَالِ الْأَفْكَارِ عَنْ بُعْدٍ، وَفَسَّرَ الْعَرَبُ الْأَمْرَ وَقْتَهَا بِأَنَّهُ مِنْحَةٌ إِلَهِيَّةٌ تَأْتِي لِلْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ يَتَعَلَّقُ بِالْقَلْبِ شَدِيدِ الْإِيمَانِ وَالرُّوحِ الطَّيِّبَةِ، وَالَّذِي يَمْلِكُ إِحْسَاسًا عَالِيًا حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْبَصِيرَةِ الْعَالِيَةِ وَتَبَادُلِ الْأَفْكَارِ.

بَعْدَهَا، تَنَاوَلَ ابْنُ خَلْدُونَ فِكْرَةَ «التَّخَاطُرِ» فِي مُقَدِّمَتِهِ، وَقَسَّمَ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ إِلَى عَالَمَيْنِ: مَادِّيٍّ وَلَامَادِّيٍّ. هَذَا الْمُصْطَلَحُ تَمَّ تَنَاوُلُهُ فِي عِلْمِ «الْبَارَاسِيكُولُوجِي» (Parapsychology)، الَّذِي قَسَّمَ حَيَاةَ الْإِنْسَانِ إِلَى عَالَمِ «فِيزِيقِيٍّ» (الْعَالَمِ الْمَادِّيِّ)، وَعَالَمِ «مِيتَافِيزِيقِيٍّ» (عَالَمِ الِاسْتِشْفَافِ أَوِ اللَّامَادِّيِّ)، وَالَّذِي يَكُونُ نَابِعًا مِنَ الْفِكْرِ الدَّاخِلِيِّ لِلْعَقْلِ الْبَاطِنِ وَالذَّاكِرَةِ الدَّاخِلِيَّةِ الْمَخْزُونَةِ بِدَاخِلِهِ مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْمَشَاعِرِ.

انْتقَلَ «التَّخاطُرُ» لِمُخْتَلَفِ الثَّقَافَاتِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَامِ 1882، حَيْثُ أَنْشَأَ الْعَالِمُ الْإِنْجْلِيزِيُّ «فْرِيدْرِيك مَايْدْز» أَوَّلَ مُؤَسَّسَةٍ لِعِلْمِ «التَّخَاطُرِ» وَالرُّوحَانِيَّاتِ. وَيُعْتَبَرُ هُوَ مَنْ أَعَادَ إِحْيَاءَهُ، بَعْدَ أَنْ أَسَّسَ «جَمْعِيَّةَ الْبُحُوثِ الرُّوحِيَّةِ وَالتَّخَاطُرِ»، وَالَّتِي خَرَجَ مِنْهَا أَوَّلُ مَنْهَجٍ عِلْمِيٍّ يَبْحَثُ كَيْفِيَّةَ نَقْلِ وَاسْتِبْدَالِ الْأَفْكَارِ الْعَقْلِيَّةِ مِنْ شَخْصٍ لِآخَرَ عَنْ بُعْدٍ.

فِي الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ، ظَهَرَ تَعْرِيفُ عِلْمِ الْفِيزْيَاءِ لِـ«لتَّخَاطُرِ» بِأَنَّهُ قُدْرَةُ الشَّخْصِ عَلَى التَّوَاصُلِ مَعَ الْعَالَمِ الرُّوحِيِّ مِنْ خِلَالِ الْمَجَالِ «الْكَهْرَطِيسِيِّ» النَّاتِجِ مِنَ الْعَقْلِ الْمُسَيْطِرِ. وَقَدْ أَكَّدَتِ الْبُحُوثُ الْعِلْمِيَّةُ أَنَّ الْعَقْلَ يَسْتَقْبِلُ نَبَضَاتٍ مَشْحُونَةً بِالْكَهْرَبَاءِ، وَيُمْكِنُ تَسْجِيلُ وَقِيَاسُ تِلْكَ التَّيَّارَاتِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ النَّاتِجَةِ مِنَ الاضْطِرَابَاتِ الذِّهْنِيَّةِ وَالْعَاطِفِيَّةِ الَّتِي تُسَبِّبُ "عَوَاصِفَ تَيَّارِيَّةً" بِوَاسِطَةِ جِهَازِ الْمُخِّ الْكَهْرَبَائِيِّ (EEG).



تَفْسِيرَاتٌ فِيزْيَائِيَّةٌ وَنَفْسِيَّةٌ لِلتَّخَاطُرِ

يَقُولُ الْعَالِمُ الْفِيزْيَائِيُّ «هَارُولْد شِيرْمَان»، إِنَّ الطَّاقَةَ الذِّهْنِيَّةَ الَّتِي تَعْمَلُ خِلَالَ أَثَرٍ ذِهْنِيٍّ زَمَانِيٍّ لَا يُمْكِنُ الْكَشْفُ عَنْهَا بِالْأَجْهِزَةِ نِهَائِيًّا. وَقَدْ بَرْهَنَ الْأَمْرِيكِيُّونَ وَالرُّوسُ عَلَى أَنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَتَمَتَّعُونَ بِحَسَّاسِيَّةٍ شَدِيدَةٍ يُمْكِنُهُمْ إِرْسَالُ رَسَائِلَ «كَهْرَطِيسِيَّةٍ» لَا يُمْكِنُ رُؤْيَتُهَا أَوْ مَنْعُهَا مِنَ الْخُرُوجِ وَالِانْتِشَارِ، وَصُولًا إِلَى الشَّخْصِ الْمَرْغُوبِ فِي اسْتِقْبَالِهِ الرِّسَالَةَ، حَتَّى مَعَ وُجُودِ الْحَوَاجِزِ وَالْأَسْوَارِ.

عَرَّفَ عِلْمُ النَّفْسِ «التَّخَاطُرَ» مِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِ الْمَرَضِ النَّفْسِيِّ «الْفُصَامِ». فَهُوَ لَدَى عُلَمَاءِ النَّفْسِ عِبَارَةٌ عَنْ وَهْمِ إِدْخَالِ وَانْتِزَاعِ الْأَفْكَارِ مِنَ الْمُخِّ، وَهِيَ أَعْرَاضُ الْمَرَضِ، حَيْثُ يَعْتَقِدُ مَرْضَى الْفُصَامِ أَنَّ بَعْضَ أَفْكَارِهِمْ لَيْسَتْ لَهُمْ، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَحَدَ الْأَشْخَاصِ أَوِ الْكَائِنَاتِ هُوَ مَنْ قَامَ بِإِدْخَالِ تِلْكَ الْأَفْكَارِ إِلَى عُقُولِهِمْ، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ تَمَّ انْتِزَاعُ أَفْكَارِهِ مِنْ عَقْلِهِ. هَذَا التَّعْرِيفُ قَدَّمَهُ «رُوجَر لُوكْهُورْسْت» فِي الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ.

يُعَدُّ التَّخَاطُرُ جُزْءًا مِنْ **عِلْمِ النَّفْسِ الْمُوَازِي**[2] (Parapsychology)، وَيُسَمَّى الْمُتَخَصِّصُونَ فِي هَذَا الْمَجَالِ «عُلَمَاءَ النَّفْسِ الْمُوَازِي». يَعْتَقِدُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ الْمُوَازِي أَنَّهُ لَا عَلَاقَةَ وَلَا أَثَرَ لِكُلٍّ مِنَ الْمَسَافَةِ وَالزَّمَنِ عَلَى مَوْضُوعِ التَّخَاطُرِ. وَهَكَذَا، فَقَدْ يَتِمُّ تَلَقِّي أَفْكَارِ شَخْصٍ مَا مِنْ قِبَلِ شَخْصٍ آخَرَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُ. وَيَعْتَقِدُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ الْمُوَازِي أَيْضًا أَنَّ الشَّخْصَ قَدْ يَعْرِفُ أَفْكَارَ شَخْصٍ آخَرَ وَيَعْرِفُ مَشَاعِرَهُ وَمَعْرِفَتَهُ فِي وَقْتٍ لَاحِقٍ أَيْضًا. وَإِذَا صَدَقَ هَذَا الرَّأْيُ، فَإِنَّ هَذَا الْأَمْرَ يَكُونُ مِثَالًا عَلَى الِاسْتِبْصَارِ أَوْ مَعْرِفَةِ الْأَحْدَاثِ أَوِ الْأَحْوَالِ قَبْلَ وُقُوعِهَا.

طَبِيعَةُ التَّخَاطُرِ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالتَّفْسِيرَاتِ السِّيكُولُوجِيَّةِ

يُعَدُّ التَّخَاطُرُ شَكْلًا رَئِيسًا مِنْ أَشْكَالِ الْإِدْرَاكِ وَرَاءَ الْإِحْسَاسِ، وَهُوَ إِدْرَاكُ أَمْرٍ مَا دُونَ اسْتِخْدَامِ الْحَوَاسِّ الْمَعْرُوفَةِ. وَلَا يَزَالُ التَّخَاطُرُ قَيْدَ الْبَحْثِ وَالتَّحْقِيقِ الْعِلْمِيِّ، وَلَا يَزَالُ وُجُودُهُ سُؤَالًا مَفْتُوحًا، إِلَّا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ يَشُكُّونَ فِي حَقِيقَةِ التَّخَاطُرِ.

[2] **علم النفس الموازي (Parapsychology):** الدراسة العلمية لظواهر معينة مزعومة، لا تخضع للافتراضات العلمية المعروفة. وهي تتضمن أساسًا دراسة ظاهرتي الإدراك وراء الإحساس والتحريك النفسي (القدرات المفترضة لتحريك الأشياء عن طريق التركيز العقلي).
وقد أسس ج. ب. راين أول مختبر لعلم النفس الموازي في أواخر العشرينيات من القرن العشرين الميلادي بجامعة ديوك في درهام بكارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية. وهو علم يثير جدلاً كثيرًا بين علماء النفس.

وَلَكِنَّ مُعْظَمَ هَذِهِ التَّجَارِبِ يُمْكِنُ تَفْسِيرُهَا بِعَمَلِيَّاتٍ سِيكُولُوجِيَّةٍ لَا يُدْرِكُهَا مُعْظَمُ النَّاسِ. فَالنَّاسُ كَثِيرًا مَا يَجْهَلُونَ كَيْفَ أَنَّ الْأَحْدَاثَ حَوْلَهُمْ تُظْهِرُ أَفْكَارَهُمْ. فَإِذَا كَانَ هُنَاكَ شَخْصَانِ يَعْرِفُ كُلٌّ مِنْهُمَا الْآخَرَ جَيِّدًا، فَإِنَّ كُلًّا مِنْهُمَا تَحْدُثُ لَهُ سِلْسِلَةٌ مِنَ الْأَفْكَارِ الْمُشَابِهَةِ عِنْدَمَا يَتَعَرَّضَانِ إِلَى حَافِزٍ مُشْتَرَكٍ. فَقَدْ يَقْرَأُ، مَثَلًا، زَوْجٌ وَزَوْجَةٌ مَعًا وَلَا يُبْدِيَانِ اهْتِمَامَاتٍ كَثِيرَةً لِلْمُوسِيقَى عَلَى الْمِذْيَاعِ، ثُمَّ إِنَّ مُوسِيقَى مُعَيَّنَةً تُفَجِّرُ فِي كُلٍّ مِنْهُمَا ذِكْرَى شَخْصٍ قَابَلَاهُ مُنْذُ عِدَّةِ سِنِينَ وَلَكِنْ لَمْ يُقَابِلَاهُ مَرَّةً أُخْرَى، وَتَمَامًا عِنْدَمَا يَكُونُ أَحَدُهُمَا عَلَى وَشْكِ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ الشَّخْصِ فَإِنَّ الْآخَرَ يَذْكُرُهُ. إِنَّ هَذِهِ الْأَفْكَارَ الْمُشَابِهَةَ قَدْ تَبْدُو كَمِثَالٍ لِلْإِدْرَاكِ خَارِجَ نِطَاقِ الْإِدْرَاكِ الْحِسِّيِّ الْعَادِيِّ، وَلَكِنْ لَا أَحَدَ مِنْهُمَا يَحْتَمِلُ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ أَفْكَارَهُمَا انْطَلَقَتْ حَقِيقَةً **بِوَاسِطَةِ الْمُوسِيقَى الَّتِي فِي الْخَلْفِيَّةِ.**[3]

فِي بِدَايَةِ الْبَحْثِ فِي الْإِدْرَاكِ الْخَارِجِ عَنْ نِطَاقِ الْإِدْرَاكِ الْحِسِّيِّ الْعَادِيِّ، عِنْدَمَا اسْتُعْمِلَتْ تَجَارِبُ غَيْرُ مُتْقَنَةٍ، قَامَ بَعْضُ النَّاسِ بِأَعْمَالِ تَخَاطُرٍ أَوْ

[3] **عند إثارة تتابع الذكريات المركبة:** يظهر أن كل من هذه الذكريات له مجراه العصبي الخاص. والتجارب التي قام بها بينفيلد كشفت جانبًا من الطريقة التي يؤثر بها الماضي على الحاضر في حياة كل شخص. فيقول: (الأوهام والخيالات يمكن أيضًا أن نستدعيها عند الشخص بإثارة نقطة معينة من المخ، وعادة ما يتم الحكم على هذا الخليط المضطرب من الأحاسيس المثارة قياسًا على الخبرة المستثارة، مألوفة أم غريبة أم أنها عبثية لا معنى لها، كما يمكنه أن يحكم بخبرته الراهنة على مدى مطابقة المسافات والحجوم، وعما إذا كان الموقف الطارئ مريحًا أم مفزعًا). وهذا دليل على أن الخبرات الجديدة يجري على الفور تصنيفها ضمن الشبيهة السابقة؛ حتى يمكن الحكم على أوجه الاختلاف أو الاتفاق بين الحديث والقديم.

بَعْدِ نَظَرٍ عَجِيبَةٍ. وَلَكِنِ الْيَوْمَ، وَقَدْ أَصْبَحَتِ التَّجَارِبُ مَحْكُومَةً بِعِنَايَةٍ أَكْثَرَ، فَإِنَّ الْأَعْمَالَ الْمُشَابِهَةَ أَصْبَحَتْ نَادِرَةً. أَمَّا فِي الْعُلُومِ، فَإِنَّ الِاتِّجَاهَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي الِاتِّجَاهِ الْمُضَادِّ. فَلَوْ أَنَّ الظَّوَاهِرَ الَّتِي تَحْتَ الْبَحْثِ كَانَتْ حَقِيقِيَّةً، فَإِنَّ التَّجَارِبَ الْمُحَسَّنَةَ يَجِبُ أَنْ تُنْتِجَ نَتَائِجَ أَهَمَّ وَمُحَدَّدَةً جَيِّدًا.

عَقْلٌ أَيْسَرُ يَرْفُضُ وَأَيْمَنُ يَقْبَلُ وَيُؤْمِنُ

أَنَا أَبْدَأُ مِنْ حَيْثُ انْتَهَى آخِرُ رَجُلٍ .. تُومَاسْ إِدِيسُونْ.

حُدُودُ قُدُرَاتِ العَقْلِ لَامُتَنَاهِيَةٌ، وَالأَكْثَرُ دِرَاسَةً مِنْ غَيْرِهَا هِيَ نُفُوذُه عَلَى الجَسَدِ العَائِدِ لَهُ، مَعَ أَوْ بِدُونِ مُسَاعَدَةِ مُنَوِّمٍ مِغْنَاطِيسِيٍّ، خَاصَّةً لَمَّا تَمَّ التَّرْكِيزُ عَلَى الشِّفَاءِ، بِسَبَبِ أَهَمِّيَّتِهِ الوَاضِحَةِ، كَمَا رَأَيْنَا أَنَّ قُوَّةَ العَقْلِ يُمْكِنُ مُنَاقَشَتُهَا انْطِلَاقًا مِنْ قَاعِدَةٍ صُلْبَةٍ مِنَ الدَّلَائِلِ البَادِيَةِ لِلْعِيَانِ الَّتِي أَعْلَنَ عَنْهَا المُتَخَصِّصُونَ وَلَا سِيَّمَا الأَطِبَّاءُ وَعُلَمَاءُ النَّفْسِ السَّرِيرِيُّونَ، وَنُشِرَتْ فِي المَجَلَّاتِ العِلْمِيَّةِ.

أَمَّا الآنَ، فَعِنْدَ قِرَاءَةِ تَارِيخِ المِسْمَارِيَّةِ وَالتَّنْوِيمِ المِغْنَاطِيسِيِّ بِعَقْلٍ مُتَوَازِنٍ، لَا يَسَعُنَا إِلَّا أَنْ نُلَاحِظَ أَنَّهُ مُنْذُ البَدْءِ كَانَتْ هُنَاكَ تَقَارِيرُ عَمَّا أَصْبَحَ يُعْرَفُ بِـ"الظَّوَاهِرِ السَّامِيَةِ" وَهَذِهِ تَشْمَلُ: التَّخَاطُرَ مِنْ بُعْدٍ، الاِسْتِبْصَارَ (قُدْرَةَ رُؤْيَةِ الحَوَادِثِ غَيْرِ المَنْظُورَةِ)، وَشَرَاكَةَ الأَحَاسِيسِ، حَيْثُ يُشَارِكُ الشَّخْصُ المُنَوَّمُ مِغْنَاطِيسِيًّا انْطِبَاعَاتِ المُنَوِّمِ الذَّاتِيَّةَ فِي الأَلَمِ، أَوِ الاِنْفِعَالَاتِ مِثْلِ الخَوْفِ أَوِ البَهْجَةِ.

بَعْضُ أَفْضَلِ التَّقَارِيرِ عَنِ الظَّوَاهِرِ السَّامِيَةِ يُمْكِنُ أَنْ يُفِيدَنَا الكَثِيرَ عَنْ عَمَلِ العَقْلِ مِمَّا نَحْصُلُ عَلَيْهِ مِنَ الحَالَاتِ الطِّبِّيَّةِ، حَيْثُ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا قَلَّمَا يُذْكَرُ عَقْلُ المَرِيضِ بِأَيِّ تَفْصِيلٍ كَانَ.

وَاجَهَتِ الظَّوَاهِرُ السَّامِيَةُ رَفْضًا فِي عَالَمِنَا، وَبِرَغْمِ الإِعْلَانِ عَنْهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ قَبْلَ مِيلَادِ الحَرَكَةِ الرُّوحَانِيَّةِ بِأَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً، فَقَدْ دَرَجَ كُلٌّ مِنَ الشَّكَّاكِ وَالمُؤْمِنِ عَلَى تَحْدِيدِهَا كَجُزْءٍ مِنْ هَذِهِ الحَرَكَةِ، وَقَدْ أَدَّى هَذَا إِلَى اسْتِقْطَابٍ دَائِمٍ وَفَوْرِيٍّ، إِمَّا أَنْ تَقْبَلَ الفَلْسَفَةَ وَالظَّوَاهِرَ، أَوْ تَرْفُضَ كِلَيْهِمَا، هَذَا الاسْتِقْطَابُ لَا يَزَالُ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، وَنُعَالِجُ فِي هَذَا الكِتَابِ الظَّوَاهِرَ بِتَرْكِيزٍ أَهَمَّ مِنَ الفَلْسَفَةِ.

قَبْلَ أَنْ أَلِجَ مَيَادِينَ تُعْتَبَرُ عُمُومًا أَنَّهَا مِنَ الخَوَارِقِ، الأَمْرُ الَّذِي يَعْنِي أَنَّهَا إِنَّمَا تَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيحٍ، عَلَيَّ أَنْ أُوَضِّحَ مَوْقِفِي، مَا فَتِئْتُ أَهْتَمُّ بِأُمُورٍ مِثْلِ التَّخَاطُرِ (انْتِقَالِ المَعْلُومَاتِ مِنْ مَسَافَةٍ مِنْ عَقْلٍ إِلَى عَقْلٍ)، الاسْتِبْصَارِ (إِدْرَاكِ الأَشْيَاءِ أَوِ الحَوَادِثِ المَوْضُوعِيَّةِ بِغَيْرِ الطُّرُقِ الطَّبِيعَةِ) وَالحَرَكَةِ النَّفْسَانِيَّةِ (الحَرَكَةِ الفِيزْيَائِيَّةِ الَّتِي يُسَبِّبُهَا العَقْلُ) لِبَعْضِ الوَقْتِ، وَتَوَفَّرَتْ لَدَيَّ الخِبْرَةُ الكَبِيرَةُ عَنْهَا، تَطْبِيقًا أَكْثَرَ مِنْ وَصْفٍ بِالتَّدْقِيقِ.

إِنَّ الظَّوَاهِرَ المُجَمَّعَةَ سَوِيَّةً بِغْيَةَ التَّسْهِيلِ تَحْتَ عُنْوَانِ "الإِدْرَاكِ مَا فَوْقَ الحِسِّيِّ" أَوْ بِبَسَاطَةٍ "PSI" لَا تَرْتَبِطُ بِبَعْضِهَا فَقَطْ بَلْ لَهَا الأَثَرُ المُبَاشِرُ عَلَى

التَّنْوِيمِ المِغْنَاطِيسِيّ (لأَنَّ الاخْتِبَارَ الأَوَّلَ لِنَجَاحِ التَّنْوِيمِ المِغْنَاطِيسِيِّ هُوَ الإِيحَاءُ - وَالإِيحَاءُ نَقْلٌ لِلأَفْكَارِ-).

مُمْكِنٌ تَبَعًا لِذَلِكَ وَضْعُهَا قَيْدَ الاسْتِعْمَالِ ضِمْنَ الإِطَارِ الحَالِيّ لِلطِّبِّ التَّقْلِيدِيّ، كَمَا أَعْتَقِدُ أَنَّهَا قَدْ وُضِعَتْ لِفَتْرَةٍ مِنَ الوَقْتِ.

إِذَا أَمْكَنَ لِلأَفْكَارِ أَنْ تَنْتَقِلَ مِنْ شَخْصٍ لآخَرَ، الأَمْرُ الَّذِي لَا جِدَالَ فِيهِ فِي ظِلّ الشُّرُوطِ الصَّحِيحَةِ، وَإِذَا قَادَتْ مِثْلُ هَذِهِ الأَفْكَارِ إِلَى الفِعْلِ مِنْ جَانِبِ المُسْتَقْبِلِ (المُتَلَقِّي)، وَهَذَا أَيْضًا أَعْتَبِرُ أَنَّهُ تَمَّتِ البَرْهَنَةُ عَلَيْهِ بِشَكْلٍ لَا يَدْعَمُ مَجَالًا لِلشَّكّ المَعْقُولِ، عِنْدَمَا يُطْرَحُ نَمُوذَجٌ جَدِيدٌ فِي الشِّفَاءِ نَفْسِهِ، (لَنْ يَبْدُوَ ذَلِكَ غَرِيبًا عَلَى أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِفَعَالِيَّةِ أَكْثَرِ أَشْكَالِ PSI المَعْرُوفَةِ قِدَمًا، أَلَا وَهُوَ الصَّلَاةُ).

لَا يَزَالُ الجَدَلُ مُحْتَدِمًا حَوْلَ وُجُودِ ظَوَاهِرِ PSI أَمْ لَا، إِنَّ الشِّدَّةَ الَّتِي يُهَاجِمُ بِهَا بَعْضُ المُتَشَكِّكِينَ هَذَا المَجَالَ بِأَكْمَلِهِ تُوحِي أَنَّهُ بِدَاخِلِهِمْ خَشْيَةٌ مِنْ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِعْلًا، لَكِنَّ القَضِيَّةَ أَنَّهَا لَا تَتَوَاءَمُ مَعَ نَهْجِ العَقْلِ الأَيْسَرِ فِي الأَشْيَاءِ وَيَجِبُ لِذَلِكَ كَبْحُهَا مَهْمَا كَلَّفَ الأَمْرُ.

ظَوَاهِرُ PSI تُوجَدُ بِالفِعْلِ، لَكِنَّهَا ذَاتِيَّةٌ بِصُورَةٍ رَئِيسِيَّةٍ، أَيْ أَنَّهَا تَحْدُثُ لِبَعْضِ النَّاسِ دُونَ غَيْرِهِمْ، كَمَا سَنَرَى.. تَعْتَمِدُ مَسْأَلَةُ حُدُوثِهَا أَوْ عَدَمِهِ عَلَى الحَالَةِ العَقْلِيَّةِ لِمَنْ يَعْنِيهِمُ الأَمْرُ، إِذَا شِئْتَ حُدُوثَهَا وَآمَنْتَ أَنَّهَا تَحْدُثُ

بِالفِعْلِ، عِنْدَهَا سَتَحْدُثُ، إِذَا شِئْتَ أَلَّا تَحْدُثَ، فَلَنْ تَحْدُثَ عَلَى الأَرْجَحِ.

يُمْكِنُ أَنْ تَقْتَنِـعَ مِنَ النَّاحِيَةِ الفِكْرِيَّةِ بِحُدُوثِهَا بِالفِعْلِ عَنْ طَرِيقِ قِرَاءَةِ المَبْلَغِ الهَائِلِ مِنَ الأَدِلَّةِ عَلَيْهَا، لَكِنْ كَيْ تَقْتَنِـعَ عَاطِفِيًّا بِشَيْءٍ عَلَيْكَ أَنْ تُخْبِرَهُ بِنَفْسِكَ (أَنْ تَخْتَبِرَهُ بِنَفْسِكَ).

عَلَى سَبِيلِ المِثَالِ عَقْلِي الأَيْسَرُ يَقْتَنِـعُ أَنَّهُ فِي فِبْرَايِرَ 1997م أَعْلَنَ العُلَمَاءُ نَجَاحَ تَوْلِيدِ نَعْجَةٍ سَمَّوْهَا دُولِي، لَيْسَ بِطَرِيقَةِ التَّكَاثُرِ الجِنْسِيِّ المَعْرُوفِ، وَلَكِنْ بِطَرِيقَةِ تَكْوِينِ النَّسَائِلِ (الخَلَايَا المُسْتَنْسَخَةِ) فِيمَا عُرِفَ بِعَمَلِيَّةِ الاِسْتِنْسَاخِ[4].

لَا يُشَارِكُ العُلَمَاءَ فِي اعْتِقَادِهِمْ هَذَا كَافَّةُ النَّاسِ، رَوَى أَحَدُ عُلَمَاءِ الاِسْتِنْسَاخِ أَنَّهُ الْتَقَى أُنَاسًا لَا يَزَالُونَ يَأْبَوْنَ التَّسْلِيمَ بِذَلِكَ، وَلَا يُؤْمِنُونَ أَنَّهُ فِي المَقْدِرَةِ تَوْلِيدُ إِنْسَانٍ آخَرَ مِنْ خَلَايَاهُمْ مُشَابِهٍ لَهُمْ تَمَامًا، وَالنَّاسُ الَّذِينَ

---

[4] **الاستنساخ (:(Cloning** في فبراير 1997م، أعلن فريق من الباحثين في معهد روزلين بأدنبرة في أسكتلندا، بقيادة إيان ويلموت، عن نجاحهم في توليد نعجة سموها "دولي"، ليس بطريقة التكاثر الجنسي المعروف، ولكن بطريقة تكوين النسائل ((Cloning، فيما عُرف بعملية الاستنساخ، حيث أخذ العلماء خلية من ضرع النعجة دولي وعالجوها بسحب المادة الوراثية منها، وحقنوا المادة الوراثية المسحوبة في بويضة نعجة أخرى أُخذت منها المادة الوراثية، ووضعوا البويضة، بعد دمج المادة الوراثية فيها بالنبضات الكهربائية، في رحم نعجة ثالثة، والتي وضعت بعد فترة حمل عادية، نعجة مطابقة تمامًا لدولي، مما يعني أن هذه النعجة قد ولدت من ثلاث أمهات، ولكن دون أب. وفي فبراير 1998م، أي بعد عام من استنساخ دولي، أعلنت نفس الشركة التي تبنت هذه العملية، وهي شركة بي. بي. إل. ثيرابيوتكس ((PPL Therapeutics، استنساخ عجل من سلالة هولستين سموه "جيفرسون". وقد تمت عملية الاستنساخ هذه المرة من خلية جنينية بدلاً من نقل المادة الوراثية من خلية بالغة.

يَخْتَبِرُونَ ظَوَاهِرَ الـ PSI غَالِبًا مَا يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ يُوَاجِهُونَ رَدَّ الفِعْلِ نَفْسَهُ [وَهَذَا مَا عَدَا تَجْرِبَتِي الشَّخْصِيَّةَ الَّتِي يَقْتَنِعُ فِيهَا بِظَوَاهِرِ الـ PSI كُلُّ مَنْ يَرَانِي مُبَاشَرَةً، لِأَنَّهَا تَجْرِبَةٌ مَفْتُوحَةٌ عَلَى المَلَأِ وَكُلُّ النَّاسِ بِدُونِ تَفْضِيلٍ].

مُتَطَرِّفُو العَقْلِ الأَيْسَرِ يَرْفُضُونَ الـ PSI بِصُورَةٍ قَبَلِيَّةٍ، إِذْ لَا مَكَانَ لَهَا فِي عَالَمِهِمْ.

أَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ يُفِيدُونَ أَقْصَى إِفَادَةٍ مِنْ عُقُولِهِمُ اليُمْنَى، مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، سَيَعْلَمُونَ أَنَّ المَسْأَلَةَ لَيْسَتْ وُجُودَ الـ PSI أَوْ عَدَمَ وُجُودِهَا، إِنَّمَا المَسْأَلَةُ فِي السَّمَاحِ لَهَا بِأَنْ تَحْدُثَ.

فَرَضِيَّاتٌ لِتَفْسِيرِ ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ

قَدْ حَاوَلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ العُلَمَاءِ أَنْ يَقُومُوا بِتَفْسِيرِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ، وَقَدْ تَمَّ وَضْعُ العَدِيدِ مِنَ النَّظَرِيَّاتِ العِلْمِيَّةِ مِنْ أَجْلِ تَفْسِيرِ ظَاهِرَةِ التَّخَاطُرِ.

فَقَدْ نَجِدُ تَفْسِيرًا لِلتَّخَاطُرِ عَلَى أَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ مَوْجَاتٍ تَصْدُرُ مِنَ المُخِّ تُشْبِهُ مَوْجَاتِ الرَّادْيُو.. أَوْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ انْتِقَالِ الأَفْكَارِ مِنَ المُخِّ إِلَى بَاقِي خَلَايَا الجِسْمِ وَذَلِكَ عَبْرَ مَوْجَاتٍ كَهْرومَغْنَاطِيسِيَّةٍ وَالَّتِي تَنْتَقِلُ بَعْدَ ذَلِكَ عَبْرَ الفَضَاءِ الخَارِجِيِّ الوَاسِعِ بِسُرْعَةِ سِتِّينَ أَلْفَ كَمْ فِي السَّاعَةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتِمُّ اسْتِقْبَالُهَا مِنْ قِبَلِ الأَشْخَاصِ الَّذِينَ تَكُونُ مَوْجَاتُ المُخِّ لَدَيْهِمْ مُتَوَافِقَةً مَعَ مَوْجَاتِ المُخِّ لَدَى الأَشْخَاصِ المُرْسِلِينَ لَهُمْ هَذِهِ الإِشَارَاتِ.

لَكِنْ سَيَأْتِي ذِكْرُ بَعْضِ أَهَمِّ النَّظَرِيَّاتِ وَتَفَاصِيلِ تَجَارِبِهَا (الَّتِي) تُثْبِتُ خَطَأَ مُعْظَمِ الفَرَضِيَّاتِ.

الطُّرُقُ النَّاجِحَةُ حَوْلَ العَالَمِ

المَجَالُ الكَامِلُ "الغِنْزفِيلْد":

لَيْسَ هُنَاكَ أَسْرَارٌ لِلنَّجَاحِ.. فَهُوَ حَصِيلَةُ الإِعْدَادِ الجَيِّدِ.. وَالعَمَلِ الشَّاقِّ.. وَالتَّعَلُّمِ مِنَ الأَخْطَاءِ وَالفَشَلِ.. (قَوْلٌ لِـ) كُولِينْ بَاوِلْ جِنِرَالٍ وَرَجُلِ سِيَاسَةٍ أَمْرِيكِيٍّ.

كَمَا لَا يَخْفَى أَنَّهُ كُلُّ مَنْ عَلَى الكَوْكَبِ تَقْرِيبًا، يَرَى رُؤَى اللَّيَالِي أَوْ الأَحْلَامَ، وَلَكِنَّهَا فِي البُحُوثِ النَّفْسَانِيَّةِ كَانَتْ تُدْعَى بِالصُّوَرِ.. كَانَتْ تُدْعَى بِالصُّوَرِ النَّاعِسَةِ (هَيْبْنَاغُوغِيكْ)، كَذَلِكَ عَلِمْتُ أَنَّ الأَحْلَامَ الصَّغِيرَةَ بَعْدَ الاِسْتِيقَاظِ مُبَاشَرَةً كَانَتْ تُعْرَفُ بِالصُّوَرِ الطَّارِدَةِ لِلنَّوْمِ (هَيْبْنُوبُومْبِيكْ)، وَلَكِنْ لَيْسَ هَذَا كُلَّ مَا فِي الأَمْرِ.

يَرْوِي الدُّكْتُورُ وَالكَاتِبُ العَالَمِيُّ «غَايْ لِيُونْ بْلِيفِيرْ» تَجْرِبَتَهُ فِي إِرْسَالِ الصُّوَرِ النَّاعِسَةِ وَأَرَّخَ لَنَا فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ «التَّخَاطُرُ عَنْ بُعْدٍ وَالاِسْتِبْصَارُ»، وَالصَّادِرِ فِي عَامِ 1990.. يَرْوِي لَنَا كَيْفِيَّةَ اسْتِحْدَاثِ التَّخَاطُرِ تَجْرِيبِيًّا وَبِسُهُولَةٍ.. وَمَا وَرَدَ فِي هَذَا الكِتَابِ مِنْ فَيْضِ بَحْرِ هَذَا العَالِمِ كَانَ نِبْرَاسًا لِي فِي كُلِّ تَجَارِبِي.. وَلَقَدْ عَايَنْتُ صِحَّةَ الأَشْرَاطِ الَّتِي اسْتَنْتَجَهَا العَالِمُ وَبَعْضُ العُلَمَاءِ مِنْ قَبْلِهِ لِنَجَاعَةِ التَّخَاطُرِ وَكُلِّ الظَّوَاهِرِ السَّامِيَةِ الأُخْرَى.

فَلَقَدْ عَايَنْتُ تَجْرِيبِيًّا[5] صِحَّةَ شُرُوطِ تَجَارِبِ الغِنْزفِيلْدِ وَتَجَارِبِ يُوهَارِيشْ (وَسَيأْتِي ذِكْرُهَا لَاحِقًا).. وَفَضَّلْتُ ذِكْرَهَا لَكُمْ بِالتَّفْصِيلِ لِكَيْ أَضَعَكُمْ فِي الصُّورَةِ كَامِلَةً.. وَلِكَيْ يَسْهلَ عَلَيْكُمْ اسْتِيعَابُ الأَمْرِ فِيمَا بَعْدُ حِينَ آتِي عَلَى ذِكْرِ قِصَّتِي مَعَ التَّخَاطُرِ.

يَرْوِي غَايْ لِيُونْ بْلِيفِيرْ بِنَفْسِهِ قَائِلًا: «تَعَدَّدَتِ التَّجَارِبُ النَّاجِحَةُ لِاسْتِحْدَاثِ التَّخَاطُرِ وَسُرْعَانَ مَا وَجَدْتُ طَرِيقَةً تُسَهِّلُ عَلَيْنَا الحُصُولَ عَلَى صُورَةٍ نُعَاسِيَّةٍ كُلَّمَا رَغِبْنَا فِي وَاحِدَةٍ تَقْرِيبًا، وَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ: فِي حَالِ رَغِبَ أَيٌّ مِنَ القُرَّاءِ تَجْرِبَةَ ذَلِكَ.

أُغْمِضُ عَيْنَيَّ وَأُفَكِّرُ "أَزْرَقَ" إِلَى أَنْ يَتَغَطَّى مَجَالُ رُؤْيَايَ بِالكَامِلِ بِالأَزْرَقِ.. مِنْ ثُمَّ أَدْخُلُ فِي حَالَةٍ يَدْعُوهَا أَسَاتِذَةُ [زِنْZen][6] التَّرْكِيزَ المُسْتَرْخِيَ، وَهَذَا عَيْنُ مَا يَدْعُوهُ عُلَمَاءُ التَّغْذِيَةِ الإِيجَائِيَّةِ الرَّاجِعَةِ الإِرَادَةَ السَّلْبِيَّةَ، وَهَذَا لَا يَنْطَوِي عَلَى شَيْءٍ إِطْلَاقًا خِلَافَ الرُّقُودِ وَانْتِظَارِ مَا سَيَحْدُثُ وَهَذَا هُوَ الأَهَمُّ الِافْتِرَاضُ أَنَّ شَيْئًا مَا سَيَحْدُثُ، لَا تَتَرَتَّبُ عَلَيْكَ القِيَامُ بِأَيِّ مَجْهُودٍ وَاعٍ، إِنَّمَا تَجِبُ عَلَيْكَ عَدَمُ الِارْتِيَابِ إِطْلَاقًا.

---

[5] وسيأتي ذكر تجاربي الناجحة في فصل **قصتي مع التخاطر**.

[6] **[زنZen]** مزيج من الصوفية الهندية والطبيعة الصينية. بوذية مُحدّثة في اليابان تتحاشى التلفظ بالكلام، وفيها التركيز كل التركيز على النظر إلى داخل طبيعة المرء. في هذا الجانب، رأى بعضهم علاقة بين "زن" وفكرة التحليل النفسي.

أَبْطِلْ عَمَلَ عَقْلِكَ الأَسِيرِ وَانْتَظِرْ، قَدْ تَجِدُ مِنَ المُفِيدِ أَنْ تَكُونَ فِي حُجْرَةٍ وَاسِعَةٍ سَاكِنَةٍ فَارِغَةٍ مُطْفَأَةِ الأَنْوَارِ حَتَّى تُظْلِمَ حُجْرَةُ العَقْلِ الأَيْسَرِ بِالكَامِلِ وَيَسْكُنَهَا الصَّمْتُ.

بَعْدَ ذَلِكَ حَاوِلْ أَلَّا تُفَكِّرَ تَمَامًا فِي أَيِّ مَوْضِعٍ وَاخْتَرْ مَوْضِعًا وَرَكِّزْ رُؤْيَتَكَ فِيهِ.. وَأَنْتَ مُغْمِضُ العَيْنَيْنِ فِي ذَلِكَ الجِدَارِ الأَزْرَقِ فَتَكُونُ عَادَةً نُجَمَاتٌ صَغِيرَةٌ تَلُوحُ هُنَا وَهُنَاكَ، اخْتَرْ إِحْدَاهَا وَرَكِّزْ عَلَيْهَا.. أَحْيَانًا تَخْتَلِفُ وَفِي هَذِهِ الحَالَةِ انْتَظِرِ التَّالِيَةَ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ.. فِي النِّهَايَةِ تَنْفَجِرُ إِحْدَى النُّجُومِ مُشَكِّلَةً صُورَةً نُعَاسِيَّةً تَامَّةً، تَمِيلُ هَذِهِ الصُّوَرُ إِلَى الارْتِعَاشِ قَلِيلًا وَلَكِنْ يُمْكِنُ تَثْبِيتُهَا بِالمُمَارَسَةِ.

مَا هِيَ الصُّوَرُ النَّاعِسَةُ (الهَيْبْنَاغُوغِيكْ)؟

يَبْدُو، كَمَا تَفْتَرِضُهَا القِلَّةُ مِنْ عُلَمَاءِ النَّفْسِ الَّذِينَ قَدْ تَنَبَّهُوا إِلَيْهَا عَلَى الإِطْلَاقِ، أَنَّهَا «مُخَلَّفَاتُ» آخِرِ فِكْرَةٍ تَكُونُ فِي رُؤُوسِنَا قَبْلَ أَنْ نَغْفُو.. يَتَّفِقُ عَلَى ذَلِكَ عُلَمَاءُ البَارَاسِيكُولُوجْيَا البَارِزُونَ بِإِيمَانٍ وَاعْتِدَادٍ كَبِيرَيْنِ.

خِلَالَ بَحْثِي أُحَاوِلُ أَنْ أَكُونَ عِلْمِيًّا وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نُغْفِلَ عَنْ أَيِّ تَعْرِيفٍ أَوْ دِرَاسَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ فَلْسَفِيَّةٍ لِكُلِّ مَا يَمُتُّ بِصِلَةٍ لِمَوْضُوعِي لِتَكْوِينِ صُورَةٍ شَامِلَةٍ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى الأَقَلِّ لِتَوْفِيرِ القَدْرِ الكَافِي مِنَ المَعْلُومَاتِ عَلَيْهِ.. فَمَثَلًا مَوْضُوعُ رُؤَى اللَّيَالِي فِي الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ كَانَ عِلْمًا قَائِمًا بِذَاتِهِ.. وَلَا يَتَمَكَّنُ

مِنْهُ إِلَّا مَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطٌ وَمُمَيِّزَاتٌ.. وَهُوَ عِلْمٌ قَدِيمٌ قِدَمَ البَشَرِ.. حَتَّى أَنَّ النَّبِيَّ يُوسُفَ ابْنَ إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانَ مُعَبِّرًا لِلرُّؤْيَا[7] وَكَانَتْ إِحْدَى الكَرَامَاتِ الَّتِي وَهَبَهَا اللهُ لَهُ وَسَنُحَاوِلُ دِرَاسَةَ الاِخْتِلَافِ بَيْنَهُمَا لَاحِقًا.

طَبْعًا إِنَّ الأَمْرَ مَعِي مُخْتَلِفٌ جِدًّا مَعَ عُلَمَاءِ البَارَاسِيكُولُوجْيَا حَوْلَ التَّعْمِيمِ الَّذِي أَطْلَقُوهُ عَلَى مَاهِيَّةِ الصُّورَةِ النَّاعِسَةِ.. فَلَا أَضَعُ نِسْبَةَ أَنْ تَكُونَ آخِرَ فِكْرَةٍ تَكُونُ فِي رُؤُوسِنَا قَبْلَ أَنْ نَغْفُو أَكْبَرَ مِنْ 20% مِنَ الاِحْتِمَالَاتِ.. هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِي عَلَى الأَقَلِّ وَعَلَى حَسَبِ آرَاءِ الأَعْظَمِيَّةِ عَلَى مَرِّ العُصُورِ.. وَتَتَمَيَّزُ رُؤْيَايَ أَوْ صُوَرِي بِاعْتِيَادِيَّتِهَا المُطْلَقَةِ، أَكْثَرُهَا شُيُوعًا كَانَتْ مَشَاهِدَ لِشَوَارِعَ، لِمَنَاظِرَ طَبِيعِيَّةٍ، أَوْ أَحْدَاثٍ مُخْتَلِفَةٍ، أَوْ أُنَاسٍ أَعْرِفُهُمْ أَوْ لَا أَعْرِفُهُمْ أَوْ غَيْرِهَا تَسْتَطِيعُ وَصْفَهَا أَنَّهَا مَجْمُوعَةٌ مِنْ لَقَطَاتٍ مِنْ أَفْلَامٍ عُرِضَتْ بِشَكْلٍ عَشْوَائِيٍّ فِي تَوْقِيتٍ عَشْوَائِيٍّ.

فَمُنْذُ صِغَرِي تَحْدُثُ لِي أَحْدَاثٌ أَشُكُّ فِي أَنَّهَا لَقَطَاتٌ مُعَادَةٌ مِنْ حَيَاتِي (وَهِيَ مَا يُعْرَفُ بِظَاهِرَةِ **الدِّيجَا فُو**[8]) وَلَمْ أَكُنْ أَتَذَكَّرُ جَيِّدًا أَيْنَ رَأَيْتُ هَذِهِ

---

[7] **مُعبّرا الرؤيا:** سيأتي ذكره في فصل "ماذا قال الدين"، وهو من يفسر الرؤيا تفسيرًا صحيحًا، وقد كان أشهرهم في الدين الإسلامي ابن سيرين وجعفر الصادق. وأُسس علم قائم بذاته سُمي "تفسير الأحلام".

[8] **ظاهرة الديجافو (:Déjà vu)**أو ظاهرة "شُوهد من قبل"، سيأتي ذكرها بالتفصيل لاحقًا في فصل **"لماذا نرى صورًا استبصارية؟"**.

اللَّقْطَةَ مِنْ قَبْلُ إِلَى أَنْ تَذَكَّرْتُ فِي أَحَدِ الأَيَّامِ أَنَّ هَذِهِ اللَّقْطَةَ كَانَتْ عِبَارَةً عَنْ رُؤْيَا رَأَيْتُهَا مُنْذُ مُدَّةٍ زَمَنِيَّةٍ لَيْسَتْ بِبَعِيدَةٍ، مَا جَعَلَنِي أَبْتَهِجُ، حَتَّى أَنَّنِي سَأَلْتُ عَنْهَا فِي إِحْدَى جَلَسَاتِي أَحَدَ أَصْدِقَائِي مُسْتَغْرِبًا فَأَجَابَ فَرِحًا، أَنَّهُ هُوَ أَيْضًا يَحْدُثُ مَعَهُ نَفْسُ المَوْضُوعِ.

إِيلْمِرْ غْرِينْ وَهُوَ عَالِمُ نَفْسٍ رَأَى الصُّورَةَ النَّاعِسَةَ أَيْضًا بِنَفْسِهِ (ظَاهِرَةَ الدِّيجَا فُو).. يَرْوِي الدُّكْتُورُ غْرِينْ مُشَاهَدَتَهُ المُسْبَقَةَ لِلْمَبْنَى الَّذِي كَانَ سَيُمْضِي فِيهِ جُلَّ عَمَلِهِ فِي البُحُوثِ، قَبْلَ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ مِنْ انْتِقَالِهِ إِلَى هُنَاكَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَهَذَا مَا أَتَكَلَّمُ عَنْهُ وَلَكِنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ صُورَةٍ اسْتِبْصَارِيَّةٍ.

فِي أَوَاخِرِ السِّتِّينِيَّاتِ كَتَبَ مَقَالًا عَنْ شَيْءٍ اسْمُهُ غَنْزفِيلْد، هَذِهِ كَلِمَةٌ أَلْمَانِيَّةٌ تَعْنِي ((المَجَالَ الكَامِلَ)) أَوْ ((المَجَالَ المُوَحَّدَ))، يَسْتَخْدِمُهُ عُلَمَاءُ النَّفْسِ لِوَصْفِ حَالَةِ الحِرْمَانِ مِنَ المَعْلُومَاتِ (لَكِنْ لَيْسَ الحِرْمَانَ الحِسِّيَّ، وَهَذَا شَيْءٌ خَطِرٌ جِدًّا وَمُخْتَلِفٌ تَمَامًا).

مِنَ السَّهْلِ جِدًّا اسْتِحْدَاثُ الغِنْزِفِيلْدِ بِنَفْسِكَ وَهَذِهِ هِيَ الطَّرِيقَةُ:

شُقَّ قُرْصَ طَاوِلَةِ (بِنْغبُونْغ) فِي المُنْتَصَفِ، اسْتَلْقِ تَحْتَ إِضَاءَةٍ خَفِيفَةِ اللَّوْنِ، وَضَعْ نِصْفَي الكُرَةِ فَوْقَ كُلِّ عَيْنٍ، حَاشِيًا إِيَّاهُمَا بِالقُطْنِ الطِّبِّيِّ تَوَخِّيًا لِلرَّاحَةِ.

(أَوْ ضَعْ مَنْظَارَ الوِقَايَةِ مِنَ الشَّمْسِ عَلَيْهَا وَصَحِيفَةً مِنَ الوَرَقِ الرَّقِيقِ فَوْقَهُمَا، هَذَا أَجِدُهُ مُرِيحًا أَكْثَرَ) كُلُّ مَا تَحْتَاجُهُ هُوَ قُدْرَتُكَ عَلَى الاِسْتِلْقَاءِ عَلَى ظَهْرِكَ مُفَتِّحَ العَيْنَيْنِ، دُونَ أَنْ تَرَى سِوَى اللَّوْنِ المُوَحَّدِ.

ثُمَّ ضَعْ زَوْجًا مِنْ سَمَّاعَاتِ الرَّأْسِ عَلَى أُذُنَيْكَ ثُمَّ صِلْهُمَا بِمِذْيَاعٍ، فِي الحَالَةِ المُثْلَى، سَيَكُونُ لَدَيْكَ شَرِيطٌ مِنْ (ضَجَّةٍ بَيْضَاءَ) مُتَعَدِّدِ الذَّبْذَبَاتِ، لَكِنَّ التَّحَوُّلَ إِلَى حَوَالَيْ 120 مِيغَا هِرْتِزْ عَلَى مَوْجَةِ FM الأَفْ أَمْ، حَيْثُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ إِرْسَالٌ إِذَاعِيٌّ هُوَ الشَّيْءُ.

أَدِرْ مِفْتَاحَ الصَّوْتِ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ الصَّوْتُ عَالِيًا دُونَ التَّسَبُّبِ فِي إِزْعَاجٍ لَكَ، كُلُّ مَا تَسْمَعُهُ الآنَ هُوَ ضَجَّةٌ مُوَحَّدَةٌ، وَكُلُّ مَا تَرَاهُ الآنَ هُوَ ضَوْءٌ مُوَحَّدٌ، أَنْتَ الآنَ فِي غِنْزفِيلْد، لَيْسَ هُنَاكَ إِشَارَةٌ أَوْ مَعْلُومَاتٌ فِي الضَّجَّةِ أَوِ الضَّوْءِ لِذَلِكَ لَا يَبْقَى لِعَقْلِكَ الأَيْسَرِ مَا يَفْعَلُهُ، هَذَا بِالطَّبْعِ مُشَابِهٌ لِلْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا وَأَنْتَ تَنْتَظِرُ صُورَتَكَ النَّاعِسَةَ، الفَارِقُ هُوَ أَنَّكَ لَسْتَ عَلَى وَشْكِ الإِغْفَاءِ، أَنْتَ عَلَى وَشْكِ أَنْ تُصْبِحَ تَخَاطُرِيًّا.

تَطْبِيقَاتُ الغِنْزفِيلْدِ فِي التَّخَاطُرِ

فِي أَوَائِلِ عَامِ 1970، تَوَصَّلَ ثَلَاثَةُ بَحَّاثَةٍ، فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ تَقْرِيبًا، إِلَى فِكْرَةِ اسْتِخْدَامِ الغِنْزفِيلْدِ كَوَسِيلَةٍ لِاسْتِحْدَاثِ التَّخَاطُرِ عَمْدًا، فِي أَمِيرِكَا. فِيمَا كَانَ أَحَدُ البُرُوفسُورَاتِ يُثِيرُ اهْتِمَامَ العُلَمَاءِ البَرِيطَانِيِّينَ بِـ ((انْتِقَالِ الفِكْرِ)) بَعْدَ تَحَقُّقِهِ مِنْهُ تَجْرِيبِيًّا.

وَتَوَالَى تَجْرِيبُ الغِنْزفِيلْدِ مَخْبَرِيًّا عَلَى مِئَاتِ الأَفْرَادِ فِي إنجلترا يَرْوِي أَحَدُهُمْ تَجْرِبَتَهُ قَائِلًا: «فِي مَخْبَرٍ فِي كَمْبِرْدْج شَرَعَ فِي العَمَلِ.. وَبِحُدُودِ نِيسَانَ 1971 كَانَ قَدْ وَضَعَ 145 شَخْصًا مُخْتَلِفًا ضِمْنَ رُوتِينِ الغِنْزفِيلْدِ فِي مَا مَجْمُوعُهُ 411 مَرَّةً، الشَّخْصُ 146 كَانَ الرَّاوِي.. يَقُولُ المُجَرِّبُ:

اسْتَلْقَيْتُ عَلَى فِرَاشٍ عَلَى أَرْضِ غُرْفَةٍ فِي مَبْنَى مَخْبَرِ عِلْمِ النَّفْسِ خَلْفَ كُلِّيَّةِ دَاونْغ، هَيْدِي بَارْتْلِيتْ، إِحْدَى مُسَاعِدَاتِ الدُّكْتُورِ كَارْل سَارْجِنْتْ، أَوَّلِ عَالِمِ نَفْسٍ تَحَصَّلَ عَلَى شَهَادَةِ الدُّكْتُورَاهِ بِأُطْرُوحَةٍ عَنِ التَّخَاطُرِ فِي جَامِعَةِ كَمْبِرْدْجَ.

هَيْدِي، وَهِيَ طَالِبَةٌ لَمْ تَتَخَرَّجْ بَعْدُ، سَاعَدَتْ فِي تَثْبِيتِي فِي الوَضْعِ المَطْلُوبِ بِنِصْفِ كُرَةٍ بِنْغبُونْغ وَالسَّمَّاعَاتِ الرَّأْسِيَّةِ وَضَبْطِ المِصْبَاحِ الكَهْرَبَائِيِّ بِشَكْلٍ أَلْقَى بِنُورِهِ الخَافِتِ عَلَى عَيْنَيَّ المُغَطَّاتَيْنِ. شَغَّلَ سَارْجِنْتْ مِفْتَاحَ صَوْتِ الضَّجَّةِ البَيْضَاءِ حَتَّى كَانَ كُلُّ مَا أَسْمَعُهُ هَسِيسًا وَفَرْقَعَةً عَلَى نَحْوٍ

مُطَّرِدٍ، ثُمَّ إِذَا بِي أَسْمَعه يَقُولُ: "حَسَنٌ، لَقَدْ بَدَأَتِ التَّجْرُبَةُ" وَهُوَ يُطْلِقُ سَاعَتَهُ المِيقَاتِيَّةَ، وَيُغَادِرُ الغُرْفَةَ، مُوصِدًا البَابَ وَرَاءَه».

إِجْرَاءَاتُ التَّجْرِبَةِ وَالنَّتَائِجُ

فِي ذَاتِ الحِينِ، كَانَتْ هَيْدِي قَدْ أَخَذَتْ مَوْقِعَهَا فِي الغُرْفَةِ المُجَاوِرَةِ لِتُرَاقِبَنِي مِنْ خِلَالِ مِرْآةٍ تَسْمَحُ بِالرُّؤْيَةِ مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ وَتُسَجِّلَ أَيَّ شَيْءٍ أَقُولُهُ عَلَى الشَّرِيطِ، بَعْدَ تَدْوِينِ وَقْتِ كُلِّ عِبَارَةٍ بِالضَّبْطِ، انْتَقَلَ سَارْجِنْتْ إِلَى غُرْفَةٍ أُخْرَى فِي نِهَايَةِ المَمَرِّ، انْتَقَى بِشَكْلٍ عَشْوَائِيٍّ مَظْرُوفًا مِنْ أَحَدِ الرُّفُوفِ وَكَانَ عَلَيْهِ سِتُّونَ مَظْرُوفًا مُمَاثِلًا فَتَحَهُ وَأَخْرَجَ الصُّوَرَ الأَرْبَعَ، ثُمَّ جَلَسَ، وَالصُّورَةُ الهَادِفَةُ أَمَامَهُ، وَحَاوَلَ مُدَّةَ 35 دَقِيقَةً أَنْ يَبْعَثَ بِمُحْتَوَيَاتِهَا إِلَيَّ مُسَجِّلًا وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ انْطِبَاعَاتِهِ عَنِ الصُّورَةِ.

تَوَقَّعُوا مِنَ المُجَرَّبِينَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْزِرُوا وِفْقًا لِلْمُصَادَفَةِ الصُّورَةَ الصَّحِيحَةَ مَرَّةً كُلَّ أَرْبَعِ جَلَسَاتٍ.. لِذَلِكَ عَلَى مَدَى فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ يَكُونُ عَدَدُ الاخْتِبَارَاتِ الصَّحِيحَةِ حَوَالَيْ 25 بِالمِئَةِ، لَكِنَّهُمْ فُوجِئُوا بِنَجَاحِ التَّجَارِبِ بِنِسْبَةِ 37% عَلَى 146 شَخْصًا مُجَرَّبًا عَلَيْهِمْ.

وَضَعَ أَحَدُهُمْ نَظَرِيَّتَهُ الخَاصَّةَ، أَنَّهُ عَلَيْكَ بِحَالَةِ النُّعَاسِ إِذَا ابْتَغَيْتَ الْتِقَاطَ رَسَائِلَ تَخَاطُرِيَّةٍ.

حَقَّقَ الْمُمْتَازُونَ مُعَدَّلًا مُدْهِشًا 83.3% يُتوقَّعُ الوُصُولُ إِلَى هَذِهِ النَّتِيجَةِ.. بِالْمُصَادَفَةِ وَحْدَهَا يَنْجَحُ مَعَكَ الأَمْرُ مَرَّةً فَقَطْ فِي سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ تَجْرِبَةٍ مُمَاثِلَةٍ.. التَّخَاطُرُ، كَمَا يَبْدُو يُمْكِنُ تَعْلِيمُهُ مِثْلَ أَيَّةِ مَهَارَةٍ أُخْرَى.

فِي الغِنْزِفِيلْدِ عِنْدَمَا تَكُونُ الصُّوَرُ الأَهْدَافُ عَنِ القَوَارِبِ.. رِجَالِ الأَعْمَالِ، رِجَالِ الإِطْفَاءِ، الفَرَاشَاتِ... إِلَخْ.. مَثَلًا فُرْصَةُ قَوْلِ عِبَارَةٍ عَنْ هَذِهِ المَوَاضِيعِ هِيَ وَاحِدٌ مِنْ لَا نِهَايَةَ.. وَلَيْسَ مِنَ المَعْرُوفِ مُقَدَّمًا أَنَّهُ سَتَكُونُ هُنَاكَ نَتِيجَةٌ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتِ النَّتِيجَةُ مُبْهِرَةً.

تَجَارِبُ المَسَافَةِ وَالزَّمَنِ فِي الغِنْزِفِيلْدِ

جَرَّبَ **الدُّكْتُور** سَارْجِنْتْ الغِنْزِفِيلْدَ عَلَى بُعْدِ 50 مِيلًا، وَنَجَحَتْ بِنِسْبَةٍ مُبْهِرَةٍ وَلَمْ تَكُنِ المَسَافَةُ حَاجِزًا وَلَمْ يَكُنِ الزَّمَنُ كَذَلِكَ حَيْثُ الْتَقَطَ المُسْتَقْبِلُ الرِّسَالَةَ أَوِ الصُّورَةَ بَعْدَ سَفَرِهِ وَوُصُولِهِ مِنْ كَمْبِرْدِجَ إِلَى لَنْدَنَ وَنُعَاسِهِ مُدَّةَ 20 دَقِيقَةً، بَدَأَ الأَمْرُ فِي بِدَايَةِ الدَّقَائِقِ العِشْرِينَ وَحَتَّى نِهَايَتِهَا كَأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ شَيْءٌ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ لَا مِسَاحَةٌ زَرْقَاءُ، لَا نُجُومٌ، لَا أَفْكَارٌ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ، ثُمَّ بِالفَجَائِيَّةِ المُعْتَادَةِ بَانَتْ، كَانَتْ صُورَةً سَرِيعَةً جِدًّا، لَكِنَّهَا وَاضِحَةٌ كَالعَادَةِ.

إِذًا كَانَتِ الغِنْزِفِيلْدُ وَلَا تَزَالُ الطَّرِيقَةَ المَخْبَرِيَّةَ التَّطْبِيقِيَّةَ لِإِنْشَاءِ التَّخَاطُرِ

خُطُوَاتٌ مُدْرُوسَةٌ لِلْوُصُولِ لِمَا نُسَمِّيهِ التَّخَاطُرَ

وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فَفِي سَبِيلِ إِنْجَاحِ تَجْرِبَتِنَا تَجِبُ الْمُدَاوَمَةُ وُصُولًا إِلَى التَّعَوُّدِ.. وَلَا بَأْسَ أَيْضًا بِهَذِهِ الخُطُوَاتِ:

الحَمَاسُ هُوَ الوُقُودُ الَّذِي يُدِيرُ المُحَرِّكَ.. (قَوْلٌ لِـ) نَابِلْيُونْ هِيلْ.

لِكَيْ تَنْجَحَ عَلَيْكَ أَنْ تَقَعَ فِي غَرَامِ عَمَلِكَ.. إِنْ لَمْ تُحِبَّ عَمَلَكَ.. فَلَا تَنْتَظِرِ النَّجَاحَ.

فَلِضَمَانِ الحُصُولِ عَلَى التَّخَاطُرِ الصَّحِيحِ وَضَعَ بَعْضُ الدَّارِسِينَ وَالبَاحِثِينَ فِي هَذَا المَجَالِ مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ وَعِلْمِ الطَّاقَةِ ثَلَاثَ خُطُوَاتٍ رَئِيسَةٍ مِنْ خِلَالِهَا يُمْكِنُ أَنْ يَتِمَّ التَّخَاطُرُ بِصُورَتِهِ الكَامِلَةِ وَهَذِهِ الخُطُوَاتُ هِيَ:

الخُطْوَةُ الأُولَى:

التَّخَاطُرُ لَا عَلَاقَةَ لَهُ بِالعَالَمِ المَادِّيِّ، لِذَا يَجِبُ عَلَى المُرْسِلِ أَنْ يُدْرِكَ مَا وَرَاءَ الحُدُودِ وَالظَّوَاهِرِ الفِيزْيَائِيَّةِ وَيُؤْمِنَ بِذَلِكَ وَبِإِمْكَانِيَّتِهِ، كَمَا يَجِبُ أَنْ يُرْسِلَ مَشَاعِرَهُ بِأَعْلَى قَدْرٍ مِنَ الطَّاقَةِ وَالصَّفَاءِ وَالعَزْلِ عَنِ البِيئَةِ المُحِيطَةِ.

الخُطْوَةُ الثَّانِيَةُ:

يَجِبُ أَنْ يُدْرِكَ المُتَخَاطِرُ كَيْفِيَّةَ التَّعَامُلِ مَعَ طَاقَتَيْهِ: طَاقَةِ "تْشِي" (Chi)، وَطَاقَةِ "بْرَانَا" (Prana)، وكَيْفِيَّةَ الفَصْلِ بَيْنَهُمَا والسَّيْطَرَةِ عَلَى مِقْدَارَيْهِمَا وَقُوَّتِهِمَا، وَمِنَ الجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ اشْتِرَاكَ المُرْسِلِ بِالمُسْتَقْبِلِ بِالاِهْتِمَامَاتِ وَالأَفْكَارِ سَيُسَهِّلُ كَثِيرًا حُدُوثَ التَّخَاطُرِ، وَلِذَلِكَ يَظْهَرُ التَّخَاطُرُ سَهْلَ التَّنْفِيذِ بَيْنَ المُتَحَابِّينَ.

الخُطْوَةُ الثَّالِثَةُ:

مُمَارَسَةُ مَا يُسَمَّى بِالهُدُوءِ النَّشِطِ، أَيِّ مَظْهَرٍ عَامٍّ خَارِجِيٍّ هَادِئٍ جِدًّا، وَلَكِنَّ مَا يَجْرِي بِدَاخِلِ العَقْلِ هُوَ سَرَيَانٌ وَبُرْكَانٌ مِنَ الأَفْكَارِ وَالذِّكْرَيَاتِ وَالمَشَاعِرِ المُرَتَّبَةِ وَالمُسْتَحْضَرَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالحَبِيبِ مَثَلًا أَوْ أَيًّا كَانَ مُسْتَقْبِلَ الرِّسَالَةِ.

أَقْوَى مَا يَسْتَعْمِلُهُ المُتَخَاطِرُ هُوَ الحُبُّ:

لِكَيْ تكُونَ نَاجِحًا.. عَلَيْكَ أَنْ تُقَرِّرَ بِدِقَّةٍ مَا الَّذِي تُرِيدُ أَنْ تُحَقِّقَهُ.. ثُمَّ تَدْفَعَ الثَّمَنَ اللَّازِمَ لِلْحُصُولِ عَلَى مَا تُرِيدُهُ. (قَوْلٌ مَأْثُورٌ)

يَقُولُ النَّاسُ إِنَّ التَّحْفِيزَ لَا يَسْتَمِرُّ تَأْثِيرُهُ طَوِيلًا.. حَسَنًا.. وَكَذَلِكَ الِاسْتِحْمَامُ.. وَلِهَذَا نَنْصَحُ بِهِ بِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ.. (قَوْلٌ لِـ) زِيج زِيغْلَرْ.



دَوْرُ الحُبِّ فِي التَّخَاطُرِ

الحُبُّ هُوَ أَحَدُ أَهَمِّ الأَسْبَابِ الَّتِي يَبْحَثُ مِنْ أَجْلِهَا القُرَّاءُ فِي مَوَاضِيعِ التَّخَاطُرِ، وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ هُوَ مَا يَحْدُثُ لِلْمُتَحَابِّينَ مِنْ بُعْدٍ وَهِجْرَانٍ وَمَشَاكِلَ رُبَّمَا بَاعَدَتْ بَيْنَ الأَحِبَّةِ وَفَرَّقَتْ بَيْنَ القُلُوبِ، فَيَلْجَأُ مَنْ تَعَرَّضَ لِمِثْلِ هَذِهِ المَوَاقِفِ إِلَى أَيِّ بَصِيصِ أَمَلٍ يَرْبِطُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يُحِبُّ، وَقَدْ دَعَّمَ المُخْتَصُّونَ نَظَرِيَّاتِهِمْ بِالتَّخَاطُرِ بِبَعْضِ الأَدِلَّةِ وَالخُطُوَاتِ لِتُسَاعِدَ

الحَبِيبَ فِي التَّوَاصُلِ مَعَ مَحْبُوبِهِ، مَهْمَا كَانَتِ المَسَافَاتُ وَالقُيُودُ وَالحُدُودُ، وَمِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى هَذَا:

- إِيجَادُ مَكَانٍ هَادِئٍ حَيْثُ يُمْكِنُ لِلْمُتَخَاطِرِ أَنْ يَجِدَ السَّكِينَةَ وَالهُدُوءَ اللَّازِمَيْنِ فِيهِ.
- مُمَارَسَةُ الاسْتِرْخَاءِ لِكُلٍّ مِنَ العَقْلِ وَالجَسَدِ.
- الشَّهِيقُ وَالزَّفِيرُ بِطَرِيقَةِ العَدِّ لِلرَّقْمِ أَرْبَعَةٍ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِسَحْبِ النَّفَسِ بِعُمْقٍ وَالعَدِّ لِلرَّقْمِ أَرْبَعَةٍ، ثُمَّ إِفْلَاتُهُ بِزَفِيرٍ يَسْتَمِرُّ حَتَّى يَنْتَهِيَ المُتَخَاطِرُ مِنَ العَدِّ لِلرَّقْمِ أَرْبَعَةٍ، مَعَ تَكْرَارِ هَذِهِ العَمَلِيَّةِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ.
- إِغْلَاقُ العَيْنَيْنِ، وَمُحَاوَلَةُ رَسْمِ صُورَةِ الحَبِيبِ وَتَخَيُّلِهِ وَإِرْسَالِ مَشَاعِرِ الحُبِّ لَهُ. التَّرْكِيزُ بِأَنْقَى شُعُورٍ مِنَ المَشَاعِرِ الَّتِي يُكِنُّهَا المُتَخَاطِرُ لِمَحْبُوبِهِ، وَجَعْلُ هَذَا الشُّعُورِ بِكُلِّ أَبْعَادِهِ يَتَغَلْغَلُ فِي جَسَدِ المُتَخَاطِرِ.
- القِيَامُ بِإِعَادَةِ تَقْيِيمٍ لِمَشَاعِرِ القَلْبِ النَّبِيلَةِ وَجَعْلِهَا نَقِيَّةً صَافِيَةً دُونَ أَيِّ مَصَالِحَ مَادِّيَّةٍ.
- تَكْرَارُ بَعْضِ العِبَارَاتِ -حَتَّى وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عِبَارَاتٍ صَوْتِيَّةً وَإِنَّمَا بَاطِنِيَّةً- مِثْلُ: "أَنَا أُرْسِلُ حُبِّي بِشَكْلٍ غَيْرِ مَشْرُوطٍ، وَدُونَ

تَعَصُّبٍ، لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَحَكَّمَ بِأَفْعَالِي وَمَشَاعِرِي وَلَا أَنْ أُجبِرَ مَحْبُوبِي عَلَى حُبِّي".

- تَرْكِيزُ كُلِّ مَشَاعِرِ وَطَاقَةِ الحُبِّ الآنَ تُجَاه المَحْبُوبِ.
- تَخَيُّلُ طَاقَةِ الحُبِّ وَالقِيَامُ بِتَرْكِيزِهَا بِمُنْتَصَفِ القَلْبِ، وَجَعْلُهَا قَوِيَّةً قَدْرَ الإِمْكَانِ.
- تَخَيُّلُ حَبْلِ الصِّلَةِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ المُتَحَابَّيْنِ وَبِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ لَا تَشُوبُهَا شَائِبَةٌ.
- مُحَاوَلَةُ إِلْقَاءِ الرِّسَالَةِ وَطَاقَةِ الحُبِّ الَّتِي تَمَّ تَجْمِيعُهَا فِي القَلْبِ، ثُمَّ إِرْسَالُهَا عَبْرَ حَبْلِ الحُبِّ الَّذِي تَمَّ تَصَوُّرُه.
- الاِسْتِمْرَارُ عَلَى ذَلِكَ مُدَّةَ عَشْرِ دَقَائِقَ عَلَى الأَقَلِّ؛ لِلسَّمَاحِ لِلطَّاقَةِ بِالتَّدَفُّقِ بِأَكْبَرِ قَدْرٍ مُمْكِنٍ، وَأَكْبَرِ أَرِيحِيَّةٍ مُمْكِنَةٍ.

قَصَصٌ عَنِ التّخَاطُرِ حَوْلَ العَالَمِ وَالرُّؤْيَةِ مِنْ بُعْدٍ:

«الشّخْصُ الّذِي لَمْ يُخْطِئْ أَبَداً لَمْ يُجَرِّبْ شَيْئاً جَدِيداً أَبَداً.» أَلْبِرْتُ أَنْشْتَايْنُ

فِي عَامِ 1930م، نَشَرَ الرِّوَائِيُّ وَالمُصْلِحُ الاجْتِمَاعِيُّ **إِبْتُونْ سِنْكِلِيرْ** تَقْرِيراً مُفَصّلاً يَتَنَاوَلُ سِلْسِلَةً طُولِيّةً مِنَ التّجَارِبِ فِي مَا نَدْعُوهُ التّخَاطُرَ المَنْزِلِيّ، فِي كِتَابٍ دَعَاهُ (اللّاسِلْكِيّ العَقْلِيّ). كَانَ هُوَ عَادَةً المُرْسِلَ، وَزَوْجَتُهُ **مَارِي كَرِيْجْ سِنْكِلِيرْ** المُسْتَقْبِلَ.

مُذْ كَانَتْ طِفْلَةً، كَانَ يَظْهَرُ عَلَيْهَا بِشَكْلٍ دَوْرِيٍّ دَلَائِلُ التّخَاطُرِ، كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الأَوْلَادِ قَبْلَ أَنْ يَكْتَمِلَ نُمُوُّ عُقُولِهِمِ اليُسْرَى، فِي عُمْرِ الثّامِنَةَ تَقْرِيباً. وَكَانَتْ تِلْمِيذَةً مُتَحَمِّسَةً لِلْعَقْلِ البَشَرِيِّ، كَانَتْ تَرْغَبُ فِي مَعْرِفَةِ «مَا هِيَ حَقِيقَةُ العَقْلِ، وَكَيْفَ يَعْمَلُ، وَمَاذَا يُمْكِنُ العَمَلُ بِهِ». إِلَى ذَلِكَ، شَدّدَ زَوْجُهَا، «لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ أَكْثَرُ عَمَلِيّةً مِنْهَا، يَنْصَبُّ اهْتِمَامُهَا عَلَى الهُنَا وَالآنَ .. الأَشْيَاءِ الّتِي يُمْكِنُ رُؤْيَتُهَا وَلَمْسُهَا».

وَهُوَ يَضْرِبُ عِدّةَ أَمْثِلَةٍ عَلَى مَقْدِرَتِهَا عَلَى العُثُورِ عَلَى الأَشْيَاءِ المَفْقُودَةِ حَتّى بِوَاسِطَةِ الهَاتِفِ، وَالإِعْلَانِ عَمّا هُوَ وَشِيكُ الحُدُوثِ، حَتّى فِي اليَوْمِ الّذِي انْتَحَرَ فِيهِ صَدِيقُهَا الكَاتِبُ جَاكْ لَنْدُنْ .. دَاخَلَهَا شُعُورٌ مُفَاجِئٌ بِالقَلَقِ عَلَيْهِ.

كَانَتْ دائِماً قادِرَةً عَلَى كَشْفِ مَا كَانَ زَوْجُهَا يَعمَلُ بِوَاسِطَةِ الطَّرِيقَةِ المَعْرُوفَةِ الآنَ بِالرُّؤْيَةِ مِنْ بُعْدٍ.

كَانَتْ أَكْثَرُ مَوَاهِبِ مَارِي بُرُوزاً، وَبِفَضْلِ زَوْجِهَا أَفْضَلَهَا تَوْثِيقاً، تَكْمُنُ فِي إِعَادَةِ رَسْمِ الصُّورَةِ مِنْ مَسَافَةٍ. يَعْمِدُ إِبْتُونْ إِلَى رَسْمِ شَيْءٍ مَا عَلَى قُصَاصَةٍ مِنْ وَرَقٍ بَيْنَمَا تَقُومُ مَارِي، وَهِيَ فِي غُرْفَةٍ مُجَاوِرَةٍ، بِالاسْتِرْخَاءِ، وَالتَّرْكِيزِ، وَرَسْمِ مَا وَصَلَ إِلَى «لَا سِلْكِيهَا العَقْلِيِّ» أَوْ كِتَابَةِ وَصْفٍ لِلصُّورَةِ. تَكَرَّرَتْ هَذِهِ التَّجْرِبَةُ عَلَى أَيْدِيهِمَا مِئَاتٍ مِنَ المَرَّاتِ، وَكَانَتِ النَّتَائِجُ مُعَبِّرَةً، كَمَا عِنْدَمَا رَسَمَ إِبْتُونْ بَقَرَةً مُضْحِكَةً وَلِسَانُهَا مُدَلَّى، وَكَتَبَتْ مَارِي «بَقَرَةٌ عَدِيمَةُ القُرُونِ لِسَانُهَا مُدَلَّى»، أَوْ عِنْدَمَا رَسَمَ مَرْكَباً شِرَاعِيّاً كَتَبَتْ بِبَسَاطَةٍ «مَرْكَبٌ شِرَاعِيٌّ».

«أَقُولُ لَكُمْ وَنَظَراً لأَهَمِّيَّتِهِ فَقَدْ كَتَبْتُهُ بِحُرُوفٍ كَبِيرَةٍ: التَّخَاطُرُ يَحْدُثُ»، نَحَّصَ سِنْكِلِيرْ، وَهُوَ يُشَدِّدُ عَلَى أَنَّهُ كَمَا أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ «تَمَكَّنَ اسْتِثْمَارُهُ وَاسْتِخْدَامُهُ عَمْداً».

كَانَ بَيْنَ الشُّهُودِ الكُثُرِ عَلَى تَجَارِبِ آلِ سِنْكِلِيرِ المَنْزِلِيَّةِ أَلْبِرْتُ أَنْشْتَايْنْ، الَّذِي كَتَبَ مُقَدِّمَةً لِكِتَابِ (اللَّاسِلْكِيِّ العَقْلِيِّ) قَالَ فِيهَا: «إِنَّ الكِتَابَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يَحْظَى بِأَقْصَى اهْتِمَامٍ لَيْسَ مِنْ سَوَادِ النَّاسِ فَقَطْ بَلْ عُلَمَاءِ النَّفْسِ أَيْضاً». وَقَدْ لَقِيَ هَذَا الاهْتِمَامَ لِحُسْنِ الحَظِّ.

أَمّا فِي تَجْرِبَتِي أَنَا - الكَاتِبَ - فَبِاسْتِطَاعَتِي أَنْ أَجعَلَكَ تَرى كَرُؤْيَا مَارِي هَذِهِ .. وَتَكْتُبَ مَا أَقُولُهُ لَكَ .. وَتَسْمَعَ كَلَامِي الذِّهْنِيَّ .. وَتُشَارِكَنِي إِحْسَاسِي بِطَرِيقَةٍ تِلْقَائِيَّةٍ.

تَقُولُ مَارِي: «إِذاً لِلْقِيَامِ بِالتَّخَاطُرِ نُشَدِّدُ عَلَى أَهَمِّيَّةِ التَّرْكِيزِ بِاسْتِرْخَاءٍ، أَوْ كَمَا تَصِفُهُ هِيَ لَيْسَ التَّفْكِيرَ بَلْ كَبْحَ الفِكْرِ (إِغْلَاقَ العَقْلِ الأَيْسَرِ)». رُبَّمَا «تَقُولُ هِيَ، «يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لَدَى كُلٍّ مِنَّا كَيْنُونَاتٌ عَقْلِيَّةٌ عِدَّةٌ، أَوْ عُقُولٌ، وَأَحَدُهَا يَنَامُ (يَكُونُ لَا وَاعِياً وَخَالِياً مِنْ أَيِّ شَيْءٍ) بَيْنَمَا يُشْرِفُ الآخَرُ عَلَى الحَالَةِ».

تُتَابِعُ لِتُقَدِّمَ وَصْفاً مُمْتَازاً لِلْحَالَةِ النُّعَاسِيَّةِ، الَّتِي يَبْدُو أَنَّهَا أَجَادَتْ فَهْمَهَا قَبْلَ أَنْ تَسْتَدْعِيَ انْتِبَاهَ عُلَمَاءِ النَّفْسِ بِزَمَنٍ.

«الحَقِيقَةُ»، يَقُولُ رَاسِلْ تَارْغْ وَكِيثْ هَارَارِي، «هِيَ أَنَّ مُعْظَمَ النَّاسِ مُهْتَمُّونَ بِالخِبْرَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ لِأَنَّهَا تَحْصُلُ مَعَهُمْ مِنْ قَبْلُ...» مَا فَتِئَتْ تَحْصُلُ لَدَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ النَّاسِ فِي ظِلِّ شُرُوطٍ مُشَاهَدَةٍ وَمَضْبُوطَةٍ عَلَى شَكْلِ «الرُّؤْيَةِ مِنْ بُعْدٍ» الأَشْيَاءِ البَعِيدَةِ وَالَّتِي ابْتَكَرَهَا عَامَ 1972 كُلٌّ مِنْ د. تَارْغْ وَ د. هَارُولْدْ بِيتْهُوفِنْ فِي مَعْهَدِ سْتَانْفُورْدَ لِلْبُحُوثِ (الآنَ مَعْهَدُ سْتَانْفُورْدَ الدَّوْلِيُّ لِلْبُحُوثِ). فِي هَذِهِ التَّجَارِبِ يَجْلِسُ الأَشْخَاصُ مَوْضِعَ التَّجْرُبَةِ فِي غُرْفَةٍ عَادِيَةٍ مِنْ دُونِ زَخَارِفِ الجَوِّ المُحِيطِ

بِـ «غَانْزْفِيلْدْ» وَيُعْلِنُونَ بِبَسَاطَةٍ عَنْ انْطِبَاعَاتِهِمْ عَنِ المَوْقِعِ الَّذِي اخْتِيرَ بِشَكْلٍ عَشْوَائِيٍّ وَالَّذِي سَافَرَ إِلَيْهِ أَحَدُ القَائِمِينَ عَلَى التَّجْرُبَةِ، سَوَاءٌ تَمَّ ذَلِكَ بِطَرِيقَةِ الاِسْتِبْصَارِ المُبَاشِرِ [التَّخَاطُرِ بَيْنَ الشَّخْصِ مَوْضِعِ التَّجْرُبَةِ وَالقَائِمِ عَلَيْهَا] أَوْ أَكْثَرِ الظَّوَاهِرِ الـ (PSI) مُجْلِبَةً لِلْحَيْرَةِ اسْتِبَاقِ الحَوَادِثِ - فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَزَالُ غَيْرَ وَاضِحٍ.

فَيْلَسُوفٌ آخَرُ، الْبُرُوفِيسُور هـ.هـ بْرَايْسْ فِي جَامِعَةِ أُكْسفُورْدَ، اعْتَقَدَ أَنَّ [التَّخَاطُرَ شَيْءٌ يَجِبُ أَلَّا يَحْدُثَ إِطْلَاقاً، إِذَا كَانَتِ النَّظَرِيَّةُ الْمَادِّيَّةُ صَحِيحَةً، لَكِنَّهُ يَحْدُثُ بِالْفِعْلِ، لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ خَطَأٌ جَسِيمٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّظَرِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ، مَهْمَا تَكُنِ الْحَقَائِقُ الطَّبِيعِيَّةُ، الَّتِي تَدْعَمُهَا مُتَعَدِّدَةً وَمَهِيبَةً]. وَهَذَا يُوَضِّحُ سَبَبَ عَدَمِ تَزَايُدِ الْبَحْثِ فِي (PSI).. لِأَنَّهَا تَهْدِيدٌ كَبِيرٌ لِلْأَمْنِ الْأَكَادِيمِيِّ.

[لَسْتُ أَرْغَبُ فِي أَنْ أَكُونَ مُؤْمِناً بِالتَّخَاطُرِ]، اعْتَرَفَ إِبْثُونُ سِنْكِلِيرْ بَعْدَ أَنْ وَفَّرَ لَنَا بَعْضَ أَفْضَلِ الْأَدِلَّةِ عَلَيْهَا، [لِأَنِّي لَسْتُ أَعْلَمُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْهَا، وَلَا إِلَى أَيَّةِ نَظْرَةٍ فِي الْكَوْنِ سَتَقُودُنِي] حَتَّى وَهُوَ كَذَلِكَ، لَمْ يَخْشَ مُوَاجَهَةَ الْحَقَائِقِ وَمَدْلُولَاتِهَا.

[هُنَا نَوْعٌ مِنَ الْمَعْرِفَةِ جَدِيدٌ، قَرِيبٌ مِنْ عَتَبَةِ الْبَابِ يَنْتَظِرُنَا، وَلَا يَجِبُ أَنْ ننفِرَ مِنْ تفَاهَةِ الظَّوَاهِرِ]، كَثِيرٌ مِنَ الاكْتِشَافَاتِ الْكُبْرَى، كَالْكَهْرَبَاءِ، نَجَمَ عَنْ مُتَابعَةِ دَلَائِل تَافِهَةٍ، أَمَّا فِيمَا يَخُصُّ قُدْرَةَ الْعَقْلِ الْبَشَرِيِّ، لَيْسَتْ مِنَ الْعِلْمِيَّةِ فِي شَيْءٍ بَلْ مِنَ السَّخَافَةِ بِمَكَانٍ أَنْ نَضَعَ حَدّاً لِطَاقَاتِهِ الْكَامِنَةِ].

أَمَّا مَارِي سِنْكِلِير فَقَدْ كَانَت أَجْرَأَ وَأَكْثَر تَحْدِيداً فِي تَخْمِينَاتِهَا، إِنْ كَانَ الاسْتِبْصَارُ حَقِيقَةً، كَتَبَتْ، [فَقَدْ تَتَوَفَّرُ لَنَا إِذَنْ سُبُلُ الْوُصُولِ إِلَى كَافَّةِ أَشْكَالِ الْمَعْرِفَةِ، قَدْ نَكُونُ بِالْفِعْلِ يَنَابِيعَ، أَوْ مَنَافِذَ تَصْرِيفٍ لِعَقْلٍ كَبِيرٍ وَاحِدٍ...].

[إِنْ كَانَ التَّخَاطُرُ حَقِيقِيّاً، لَمَا كَانَ إِذَنْ عَقْلِي هُوَ عَقْلِي... أَنَا وَعَالَمُ الْبَشَرِ وَاحِدٌ].

تَخْمِينَاتُهَا هَذِهِ تَضَعُهَا فِي مَصَافِّ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْمَشَاهِيرِ.

يُونْغُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّ عُقُولَنَا كَانَتْ تَحْوِي [بُذُورَ الْوَعْيِ بِالْمُسْتَقْبَلِ] وَرَدَتْ إِلَيْنَا مِنْ عُقُولٍ أُخْرَى وَهِيَ تَنْتَظِرُ أَوَانَهَا كَيْ تَنْمُوَ وَتَتَحَوَّلَ إِلَى تَعْبِيرٍ وَاعٍ.

تيَّارُ [دِي شَارْدَانْ] رَأَى فِي الْمَادَّةِ الَّتِي شَكَّلَتْ جِسْمَهُ أَنَّهَا «كُلِّيَّةُ الْكَوْنِ أَمْتَلِكُهَا أَنَا جُزْئِيّاً»، وَتَمَاسَكُ أَجْزَاءُ الْكَوْنِ مَعَ بَعْضِهَا عَنْ طَرِيقِ مَا رَآهُ هُوَ عَلَى أَنَّهُ الْعَامِلُ الْحَاسِمُ فِي التَّطَوُّرِ: الْفِكْرُ.

لَقَدْ تَمَّ اخْتِبَارُ الشُّرُوطِ التَّجْرِيبِيَّةِ وَتَأْكِيدُهَا تَكْرَاراً عَلَى يَدِ الْعَدِيدِ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْمُسْتَقِلِّينَ بِاسْتِعْمَالِ طَرِيقَةِ «الْغَنْزْفِيلْدْ» الَّتِي أَتَيْنَا عَلَى ذِكْرِهَا. أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّظَرِيَّةِ، فَقَدْ نَطَقَ بِهَا بِشَكْلٍ مُفَصَّلٍ عَامَ 1962 «أَنْدرِيَا يُوهَارِيشْ»، دُكْتُورٌ وَطَبِيبُ أَعْصَابٍ، وَمُخْتَرِعٌ وَبَاحِثٌ مُسْتَقِلٌّ كَانَ يَشْتَغِلُ لِوَحْدِهِ فِي التَّحْقِيقِ فِي الظَّوَاهِرِ وَالنَّاسِ غَيْرِ الْعَادِيِّينَ، وَقَدْ تَمَّ تَجَاهُلُهَا عَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ مُنْذُئِذٍ.

ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ مُسْبَقاً أَنَّ التَّخَاطُرَ كَالتَّنْوِيمِ الْمِغْنَاطِيسِيِّ، يَسْتَدْعِي حَالَةً عَقْلِيَّةً عَلَى دَرَجَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الدِّقَّةِ لَدَى كُلٍّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْمَعْنِيَّيْنِ. كَانَ «يُوهَارِيشْ» أَوَّلَ مَنْ وَصَفَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ عَلَى أَنَّهُمَا «التَّنَبُّهُ الْأَدْرِينَالِيُّ» وَ«التَّنَبُّهُ الْكُولِينِيُّ»، وَأَجْرَى تَجَارِبَ مَخْبَرِيَّةً تَهْدِفُ إِلَى اخْتِبَارِ نَظَرِيَّتِهِ وَاسْتِحْدَاثِ التَّخَاطُرِ فِي ظِلِّ شُرُوطٍ مَضْبُوطَةٍ. يُعْتَبَرُ عَمَلُهُ تَكْمِلَةً هَامَّةً لِعَمَلِ بُحَاثَةِ «الْغَنْزْفِيلْدْ» وَقَدْ فَاتَ مَوْعِدُ إِعَادَةِ تَقْوِيمِهِ مُنْذُ زَمَنٍ.

تَشْتَرِكُ رِوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنِ التَّخَاطُرِ فِي سِمَةٍ وَاحِدَةٍ: مُرْسِلُ الرَّسَائِلِ يَكُونُ عِنْدَ ذَلِكَ فِي حَالَةِ تَأَزُّمٍ، بَيْنَمَا يَمِيلُ الْمُسْتَقْبِلُ إِلَى الاسْتِرْخَاءِ لِيَفْعَلَ شَيْئاً مُحَدَّداً أَوْ نَائِماً. «التَّنَبُّهُ الْأَدْرِينَالِيُّ» هُوَ التَّسْمِيَةُ الَّتِي يُطْلِقُهَا «يُوهَارِيشْ» عَلَى الْحَالَةِ الْأُولَى، الَّتِي يَتِمُّ فِيهَا تَنْشِيطُ الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ الْوُدِّيِّ نَحْوَ اتِّخَاذِ دَوْرٍ مُهَيْمِنٍ، فِي حِينِ أَنَّ حَالَةَ «التَّنَبُّهِ الْكُولِينِيِّ» تَحْتَ هَيْمَنَةِ جِهَازِنَا الْعَصَبِيِّ الْآخَرِ نَظِيرِ الْوُدِّيِّ.

يُشَكِّلُ هَذَانِ الْجِهَازَانِ مَعاً مَا يُعْرَفُ بِـ«الْجِهَازِ الْعَصَبِيِّ اللَّاإِرَادِيِّ»، الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَ أَفْعَالِنَا اللَّاإِرَادِيَّةِ مِثْلَ نَبَضَاتِ الْقَلْبِ، تَدَفُّقِ الدَّمِ وَالْهَضْمِ. كَمَا هِيَ الْحَالُ مَعَ أَدْمِغَتِنَا وَعُقُولِنَا، فَإِنَّهُ عِنْدَمَا تُزَوِّدُنَا الطَّبِيعَةُ بِاثْنَيْنِ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ، يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَوَقَّعَ أَنَّ لَهُمَا وَظَائِفَ مُكَمِّلَةً لَكِنَّهَا مُتَبَايِنَةً جِدّاً.

عِنْدَمَا «يَصِلُنَا إِفْرَازُ الْأَدْرِينَالِينِ»، تَتَقَلَّدُ الْمَسْؤُولِيَّةَ أَجْهِزَتُنَا الْعَصَبِيَّةُ الْوُدِّيَّةُ، مُسْرِعَةً نَبَضَاتِ قُلُوبِنَا، مُضَيِّقَةً أَوْعِيَتَهَا الدَّمَوِيَّةَ، مُوَسِّعَةً حَدَقَاتِ عُيُونِنَا.. وَبِصُورَةٍ عَامَّةٍ.. عَامِلَةً عَلَى تَأَهُّبِنَا لِلْوُصُولِ إِلَى حَالَةِ الاسْتِثَارَةِ الَّتِي تَتَجَلَّى فِي الاسْتِعْدَادِ لِلْفِعْلِ.

تُفْرِزُ كِلَانَا (جَمْعُ كِلْيَةٍ) مَادَّةً تُدْعَى «إِبِينِفْرِينْ» وَتُعْرَفُ عَادَةً بِـ«الْأَدْرِينَالِينِ» لِأَنَّهَا تَأْتِي مِنَ الْغُدَّتَيْنِ الْكَظَرِيَّتَيْنِ، وَمِنْهُ الْكَلِمَةُ «التَّنَبُّه

الْأَدْرِينَالِيُّ». وَهَذِهِ تَصِفُ الْحَالَةَ الَّتِي نَكُونُ عَلَيْهَا وَقْتَ الشِّدَّةِ، الْهَلَعِ، الْخَطَرِ الْكَبِيرِ، أَوْ تَوَقُّعِ الْمَوْتِ الْقَرِيبِ.

أَمَّا حَالَةُ «التَّنَبُّهِ الْكُولِينِيّ»، فَهِيَ عَكْسُهَا تَمَاماً، إِذْ يُنَبِّهُهَا مُرَكَّبٌ يُدْعَى «أَسْتِيلْ كُولِينْ».. فَيَعْمَلُ جِهَازُنَا الْعَصَبِيُّ نَظِيرُ الْوُدِّيّ عَلَى تَهْدِئَتِنَا حِينَ يَكُونُ فِي مَوْقِعِ الْمَسْؤُولِيَّةِ، عَنْ طَرِيقِ إِبْطَاءِ نَبَضَاتِ الْقَلْبِ، خَفْضِ ضَغْطِ الدَّمِ، تَضْيِيقِ حَدَقَةِ الْعَيْنِ وَالْمُسَاعَدَةِ فِي تَسْهِيلِ عَمَلِيَّةِ الْهَضْمِ.

«التَّنَبُّهُ الْأَدْرِينَالِيُّ»، إِذَنْ، هُوَ حَالَةُ التَّأَزُّمِ عِنْدَ الْمُرْسِلِ التَّخَاطُرِيِّ، وَ«التَّنَبُّهُ الْكُولِينِيُّ» هُوَ حَالَةُ الِاسْتِرْخَاءِ عِنْدَ الْمُسْتَقْبِلِ.

مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ هُنَاكَ دَرَجَاتٍ لِكُلِّ حَالَةٍ. لَمْ تَكُنْ حَيَاةُ «أَبْتُونْ سِنْكْلِيرْ» عَلَى دَرَجَةٍ مِنَ الْخُطُورَةِ بَيْنَمَا كَانَ يَبْعَثُ بِالصُّوَرِ إِلَى زَوْجَتِهِ فِي الْغُرْفَةِ الْمُجَاوِرَةِ، وَلَا أَنَا كَذَلِكَ، وَأَنَا أَبْعَثُ لِكُلِّ مَنْ حَوْلِي بِالصُّوَرِ وَالْكَلَامِ التَّخَاطُرِيِّ، كَمَا لَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ حَيَاةُ « كَارْلْ سَارْجِنْتْ» أَثْنَاءَ تَجْرِبَةِ «الْغَنْزْفِيلْدْ». لَكِنَّ الِاثْنَيْنِ كِلَيْهِمَا كَانَا يُرَكِّزَانِ عَلَى مُهِمَّتَيْهِمَا، وَعَلَى دَرَجَةٍ مِنَ التَّنَبُّهِ الْأَكْثَرِ نَشَاطاً وَهُمَا عَازِمَانِ عَلَى إِرْسَالِ رِسَالَةٍ. فِي كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ كَانَ الْمُسْتَقْبِلُ مُسْتَرْخِياً، فِي تَشْغِيلِ الْعَقْلِ الْأَيْمَنِ وَفِي تَنَبُّهٍ أَنْ يَسْتَقْبِلَ. لَمْ يَكُنِ الْمُرْسِلُ وَالْمُسْتَقْبِلُ فِي حَالَةٍ عَقْلِيَّةٍ مُغَايِرَةٍ فَحَسْبُ كَمَا بَيَّنَ «يُوهَارِيشْ»، بَلْ كَذَلِكَ فِي حَالَةٍ فِيزْيُولُوجِيَّةٍ مُغَايِرَةٍ.

هَذِهِ هِيَ أَوَّلُ خُطْوَةٍ نَحْوَ تَنْفِيذِ لُغْزِ التَّخَاطُرِ، فَهُوَ يَحْدُثُ فَقَطْ حِينَ يَكُونُ الطَّرَفَانِ الْمَعْنِيَّانِ فِي الْحَالَةِ الْمُنَاسِبَةِ.

يُورِدُ «يُوهَارِيشْ» كَدَعْمٍ لِنَمُوذَجِهِ قَضِيَّةَ أَحَدِ الْعُمَّالِ يَعْمَلُ لَحَّاماً فِي خَنْدَقٍ عَمِيقٍ بِالْقُرْبِ مِنْ شَارِعِ «وَاشِنْطُنْ» فِي «بُوسْطُنْ» حِينَمَا غَارَتِ الْأَرْضُ فَوْقَهُ وَدَفَنَتْهُ حَيّاً، وَكَانَ بِمُفْرَدِهِ. وَعَلَى مَبْعَدَةِ عِدَّةِ أَمْيَالٍ كَانَ أَحَدُ أَصْدِقَائِهِ فِي الْعَمَلِ يَلْحَمُ فِي مَكَانٍ آخَرَ.. حِينَ طَرَأَتْ لَهُ عَلَى نَحْوٍ تِلْقَائِيٍّ فِكْرَةُ ذَهَابِهِ إِلَى شَارِعِ «وَاشِنْطُنْ».. لِمُجَرَّدِ التَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ - فَغَادَرَ مُبَكِّراً - وَهُوَ يُوَضِّحُ لِزَمِيلٍ لَهُ أَنَّ «هُنَالِكَ خَطْبٌ مَا».

وَعِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى الْمَوْقِعِ وَجَدَ يَداً تَنْتَشِلُ رِئْبَانَ مِنَ الْأَرْضِ، بَعْدَ نِصْفِ سَاعَةٍ أَخْرَجَ زَمِيلَهُ حَيّاً.

كَانَ وَاضِحًا أَنَّ الْعَامِلَ الْمَدْفُونَ تَحْتَ الْأَرْضِ هُوَ الْمُرْسِلُ.. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، يَقُولُ: لَقَدْ كَانَ تَحْتَ وَطْأَةِ شِدَّةٍ فَائِقَةٍ، يُوَاجِهُ الاحْتِمَالَ الْقَوِيَّ فِي أَنَّهُ كَانَ مُشْرِفًا عَلَى الْمَوْتِ.. لِذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ عِنْدَهُ حَالَةُ [تَنَبُّهٍ أَدْرِينَالِيٍّ قَوِيَّةٍ].

مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، صَدِيقُهُ كَانَ فِي الْحَالَةِ الْمُنَاسِبَةِ تَمَاماً مِنَ «التَّنَبُّهِ الْكُولِينِيِّ»، كَوَّنَ مَعَهَا مُسْتَقْبِلاً تَخَاطُرِيّاً جَيِّداً، صَحِيحٌ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَائِمًا

أَوْ مُسْتَرِيحاً، كَمَا أَخْبَرَ آلْ نِيكُولْ: [كَافَّةُ أَنْوَاعِ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الْمُلَائِمَةِ تَدُورُ فِي خَلَدِكَ، وَأَنْتَ بِالْكَادِ تَدْرِي أَنَّكَ تَعْمَلُ].

وَيُتَابِعُ.. إِنَّ عَمَلِيَّةَ «الْإِرْسَالِ» التَّخَاطُرِيّ لَيْسَتْ عَمَلِيَّةً نَابِذَةً مِثْلَ بَثِّ الْمَوْجَاتِ اللَّاسِلْكِيَّةِ، إِنَّهَا حَالَةٌ مِنَ التَّرْكِيزِ النَّفْسَانِيِّ وَمُعَاكِسَةٌ فِي الْأَسَاسِ - جَاذِبَةٌ.

[لَا يَبْعَثُ الْمُرْسِلُ بِأَيِّ شَيْءٍ] بَلْ هُوَ بِالْأَحْرَى مَرْكَزُ جَذْبٍ تَجْذِبُ إِلَيْهِ انْتِبَاهَ الْمُسْتَقْبِلِ.

مُحَاوَلَاتٌ كَثِيرَةٌ جَرَتْ مُنْذُ الْعِشْرِينِيَّاتِ لِتَعْلِيلِ التَّخَاطُرِ بِلُغَةِ الْمَوْجَاتِ اللَّاسِلْكِيَّةِ أَوِ الْكَهْرُومَغْنَاطِيسِيَّةِ، لَكِنَّهَا لَمْ تُفِدْ كُلُّهَا شَيْئاً. مَعَ ذَلِكَ، هُنَاكَ فِي الطَّبِيعَةِ قُوَّةٌ تَعْمَلُ عَبْرَ مَسَافَاتٍ طَوِيلَةٍ وَهِيَ وَثِيقَةُ الصِّلَةِ بِمَوْضُوعِ التَّخَاطُرِ مَأْلُوفَةٌ جِدّاً لَدَيْنَا: الْجَاذِبِيَّةُ.

تَعْمَلُ الْجَاذِبِيَّةُ فَقَطْ عِنْدَمَا تَكُونُ هُنَالِكَ كُتْلَتَانِ، مِثْلَ وُجُودِ كَوْكَبٍ وَتُفَّاحَةٍ، وَهُنَا تَعْتَرِضُنَا مُشْكِلَةٌ، لَيْسَ لِلْعَقْلِ كُتْلَةٌ، بِقَدْرِ مَا نَعْلَمُ، لِذَلِكَ كَيْفَ يَتَأَتَّى لَهُ أَنْ يَجْذِبَ أَيَّ شَيْءٍ؟ وَلَسْتُ بِقَادِرٍ عَلَى التَّعْلِيلِ، وَلَيْسَ غَيْرِي بِقَادِرٍ، كَمَا لَيْسَ بِوُسْعِي سِوَى الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ يَفْعَلُ، أَوْ، عَلَى الْأَقَلِّ يَبْدُو عَلَيْهِ مِنْ عَمَلِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ، وَفِكْرَةُ أَنَّ التَّخَاطُرَ هُوَ جَاذِبِيَّةٌ عَقْلِيَّةٌ أَكْثَرَ مِمَّا هُوَ لَاسِلْكِيٌّ عَقْلِيٌّ تَجْعَلُ سُلُوكَهُ أَقَلَّ غُمُوضًا بِشَكْلٍ طَفِيفٍ.

يَقُولُ لَنَا الْمَنْطِقُ الْعَامُّ إِنَّ الرَّجُلَ الْمَدْفُونَ فِي خَنْدَقِهِ أَرْسَلَ رِسَالَةَ اسْتِعَانَةٍ إِلَى صَدِيقِهِ فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنْ بُوسْطُنَ، لَا بُدَّ أَنَّ نَوْعاً مِنَ الْمَعْلُومَاتِ قَدْ عَبَرَ الْأَثِيرَ بِسُرْعَةٍ، أَو جُزَيْئَاتِ الْهَوَاءِ، بَيْنَهُمَا.. إِنَّ أَبْسَطَ عَمَلِيَّةٍ مُشَابِهَةٍ يَبْدُو أَنَّهَا تَتَمَثَّلُ فِي الْبَثِّ وَالِاسْتِقْبَالِ اللَّاسِلْكِيِّ، يَبْدُو أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ عَقْلَ الْمُسْتَقْبِلِ كَانَ مُؤَلَّفًا عَلَى التَّرَدُّدِ الْمُنَاسِبِ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، أَمْرٌ بَسِيطٌ.

وَكَذَا خَطَأٌ، لَيْسَ التَّخَاطُرُ أَيَّ نَوْعٍ مِنَ الْإِشْعَاعِ الْكَهْرُومَغْنَاطِيسِيِّ، لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا وَجَدْنَا مَشَقَّةً فِي كَشْفِ مَوْجَاتِهِ، وَلَسَوْفَ يَتَنَاقَصُ مَعَ ازْدِيَادِ الْمَسَافَةِ حَسَبَ قَانُونِ التَّرْبِيعِ الْعَكْسِيِّ، وَهَذَا مَا لَا يَحْدُثُ، فَهُوَ لَنْ يَتَخَطَّى **أَقْفَاصَ «فَارَادِي»** الْمَعْدِنِيَّةَ الْحَاجِبَةَ الَّتِي تُوقِفُ كَافَّةَ الْإِشْعَاعَاتِ الْمَعْرُوفَةِ فِي **الطَّيْفِ الْكَهْرُومَغْنَاطِيسِيِّ**[9] بِاسْتِثْنَاءِ الْمَوْجَاتِ الطَّوِيلَةِ جِدّاً، وَهُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُذْكَرُ فِي مَعْرِضِ عَدَمِ انْتِقَالِ الْإِشَارَاتِ التَّخَاطُرِيَّةِ عَنْ طَرِيقِ الْمَوْجَاتِ الطَّوِيلَةِ جِدّاً، إِنَّ فِكْرَةَ التَّخَاطُرِ كَلَاسِلْكِيٍّ عَقْلِيٍّ كَانَتْ سَتَبْدُو أَكْثَرَ مَعْقُولِيَّةً مُنْذُ خَمْسِينَ عَاماً،

---

[9] **الطيف الكهرومغناطيسي:** يتكون من نطاقات من الأطوال الموجية المختلفة. وأهم أنواع الموجات الكهرومغناطيسية مرتبة ترتيبًا تصاعديًا حسب الطول الموجي هي: أشعة جاما، فالأشعة السينية، فالضوء فوق البنفسجي، فالضوء المرئي، فالأشعة تحت الحمراء، فالموجات المتناهية الصغر، ثم موجات الراديو. ويبلغ طول أشعة جاما حوالي 10^{-11} متر، بينما يبلغ طول بعض موجات الراديو الطويلة أكثر من 10,000 كم.
ولكل أنواع الموجات الكهرومغناطيسية خواص الضوء المرئي؛ فهي تنعكس وتنتشر وتنكسر.

لَكِنَّهَا الْيَوْمَ لَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ بِبَسَاطَةٍ: [هَذَا لَا يُلْغِي أَيَّةَ إِمْكَانِيَّةٍ لِوُجُودِ سُطُوحٍ بَيْنِيَّةٍ بَيْنَ الطَّيْفِ الْكَهْرُومَغْنَاطِيسِيّ وَقُوَّةِ (PSI) عَنْ طَرِيقِ مِثْلِ هَذِهِ الْمَفَاهِيمِ الْغَرِيبَةِ كَـ«السُّولِيتُونَاتِ» وَالْمَوْجَاتِ الْمُوَجَّهَةِ، فَهِيَ تَسْتَبْعِدُ التَّخَاطُرَ فَقَطْ كَجُزْءٍ مِنَ الطَّيْفِ الْكَهْرُومَغْنَاطِيسِيّ، كَمَا يُفْهَمُ حَالِياً].. فِيمَا يُرَجِّحُ **عُلَمَاءُ النِّسْبِيَّةِ** فِكْرَةَ تَحْدِيدِ سُرْعَةِ التَّخَاطُرِ[10].

بِالْعَوْدَةِ إِلَى فِكْرَةِ الْجَاذِبِيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، تَعْتَرِضُنَا مُشْكِلَةٌ أُخْرَى.. مَا هُوَ أَكْثَرُ غُمُوضاً مِنْ حَقِيقَةِ أَنَّ الرِّسَالَةَ التَّخَاطُرِيَّةَ تَصِلُ بِشَكْلٍ أَوْ بِآخَرَ مِنْ (أ) إِلَى (ب).. هُوَ حَقِيقَةُ أَنَّ (ب) تَصِلُ إِلَيْهَا الرِّسَالَةُ وَلَيْسَ (ج) أَوْ (د) أَوْ بَقِيَّةَ الْعَالَمِ.. التَّخَاطُرُ انْتِقَائِيٌّ، الْجَاذِبِيَّةُ لَا.

إِذَا كَانَ الْعَامِلُ الْمَدْفُونُ يَبُثُّ إِشَارَةَ «النَّجْدَةِ» فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ «بُوسْطُنَ» فَكَيْفَ تَأْتِي لِصَدِيقِهِ الْعَامِلِ وَحْدَهُ فَقَطْ كَيْ يَلْتَقِطَهَا؟ لِمَاذَا لَمْ تُسْرِعْ زَوْجَتُهُ وَأَوْلَادُهُ إِلَى نَجْدَتِهِ؟ لَقَدْ فَكَّرَ بِهِمْ أَثْنَاءَ مِحْنَتِهِ، قَالَ: لَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ اسْتَقْبَلَ أَفْكَارَهُ، رُبَّمَا كَانُوا يَتَنَاوَلُونَ الشَّايَ مَعًا، يُدَرْدِشُونَ وَيُرَكِّزُونَ بِشَكْلٍ تَامٍّ عَلَى مَا كَانَ أَمَامَهُمْ.. نَوَافِذُ عُقُولِهِمُ الْيُمْنَى مُغْلَقَةٌ تَمَاماً؟ أَمَّا صَدِيقُهُ، مِنَ النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى، فَكَانَتْ نَوَافِذُهُ مَفْتُوحَةً،

[10] يقول علماء النسبية: بالنسبة للموجات الكهرومغناطيسية فإنها تنتشر في الفضاء بسرعة عظيمة، ولكنها ثابتة القيمة إلى أبعد الحدود، وهذه السرعة هي سرعة الضوء. وبسبب معرفتنا للإشعاع الكهرومغناطيسي، فنحن نميل إلى رفض فكرة انتقال الأفكار والأحداث خلال الفضاء بسرعة غير محدودة. ونميل إلى الاعتقاد بأن هذه الاضطرابات والتأثيرات تنتقل بسرعة بالغة العظم، إلا أن هذه السرعة محدودة القيمة.

كَانَ يَقُومُ بِعَمَلٍ جَسَدِيٍّ رُوتِينِيٍّ، وَكَمَا قَالَ هُوَ نَفْسُهُ كَافَّةُ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الْمُلَائِمَةِ كَانَتْ تَتَّفِقُ فِي ذِهْنِهِ بَيْنَمَا كَانَ يَلْحَمُ، فِي هَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ، تَفَتَّقَ كَذَلِكَ ذِهْنُهُ عَنْ شَيْءٍ مُلَائِمٍ.. لِمَاذَا هُوَ وَلَيْسَ أَحَدٌ غَيْرُهُ!

يَبْدُو أَنَّ هُنَاكَ مُؤَهِّلَانِ وَاضِحَانِ، أَحَدُهُمَا أَنَّهُ كَانَ فِي حَالَةٍ كُولِينِيَّةٍ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَعْرِفَةٍ بِالرَّجُلِ الْأَوَّلِ الْمَدْفُونِ، إِنَّ الْغَالِبِيَّةَ الْعُظْمَى لِكُلِّ حَالَاتِ التَّخَاطُرِ الْمُفِيدِ الَّتِي رُوِيَتْ بِشَكْلٍ مَوْثُوقٍ تَحْدُثُ إِمَّا بَيْنَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ نَفْسِهَا أَوْ أُنَاسٍ يَعْرِفُونَ بَعْضَهُمْ جَيِّدًا، سَوَاءٌ انْطَوَى الْأَمْرُ عَلَى أَيَّةِ رَوَابِطَ عَاطِفِيَّةٍ أَمْ لَا.

اخْتِبَارَاتُ رِيشِيهْ:

لَيْسَ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّاجِحِ وَغَيْرِهِ فِي قُدُرَّاتِ كُلٍّ مِنْهُمَا.. بَلْ فِي رَغْبَةِ كُلٍّ مِنْهُمَا فِي بُلُوغِ أَقْصَى مَا يُمْكِنُهُ.

وَاظَبَ الدُّكْتُورُ «رِيشِيهْ» عَلَى اهْتِمَامِهِ بِالتَّنْوِيمِ الْمِغْنَاطِيسِيِّ، التَّخَاطُرِ وَالظَّوَاهِرِ «الْمِيتَانَفْسِيَّةِ» كَمَا دَعَاهَا، خِلَالَ حَيَاتِهِ الْمَدِيدَةِ وَالنَّشِطَةِ إِلَى جَانِبِ زَمِيلِهِ «بِيِيرْ جَانْيِيهْ» أَحَدِ رُوَّادِ عِلْمِ النَّفْسِ الْحَدِيثِ (بِالْمُنَاسَبَةِ كَانَ هُوَ الَّذِي ابْتَكَرَ كَلِمَةَ «اللَّاوَعْيِ» 1889).. أَجْرَى عِدَّةَ تَجَارِبَ غَيْرَ عَادِيَةٍ مَعَ سَيِّدَةٍ تُدْعَى «لِيُونِي.ب».. وَالَّتِي كَانَتْ مِنْ أَكْثَرِ الْمَدْرُوسِينَ فِي زَمَانِهَا دِرَاسَةً كَامِلَةً.

كَانَتْ لَهَا الْخَاصِّيَّةُ الَّتِي تُدْعَى «الِاسْتِبْصَارُ الْمُتَنَقِّلُ» أَوِ «الرُّؤْيَةُ مِنْ بُعْدٍ» وَهَذَا مُشَابِهٌ لِلتَّخَاطُرِ.. بِاسْتِثْنَاءِ أَنَّهُ لَا يَتَوَجَّبُ وُجُودُ مُرْسِلٍ وَاعٍ لِلْمَعْلُومَاتِ، يَنْطَلِقُ الْمُسْتَقْبِلُ بِبَسَاطَةٍ إِلَى هُنَاكَ وَيَلْتَقِطُهَا وَهُوَ يَرْقُدُ فِي حَالَةِ تَفَكُّكٍ عَقْلِيٍّ.. انْطَوَتْ أَكْثَرُ تَجَارِبِ «رِيشِيهْ» جُرْأَةً عَلَى مَزْجِ التَّنْوِيمِ الْمِغْنَاطِيسِيِّ مَعَ الِاسْتِبْصَارِ الْمُتَنَقِّلِ بِشَكْلٍ أَمْكَنَهُ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِي سُلُوكِ الْمَرْأَةِ تَحْتَ التَّجْرِبَةِ.. دُونَ مَعْرِفَتِهَا وَمِنْ بُعْدٍ.. هَذَا يُدْخِلُ سِمَةً جَدِيدَةً كُلِّيًّا فِي الْمُنَاقَشَةِ حَوْلَ التَّخَاطُرِ.. احْتِمَالُ أَلَّا يَقْتَصِرَ الْأَمْرُ عَلَى

تَبَادُلِ الْمَعْلُومَاتِ مِنْ بُعْدٍ بِوَسَائِلَ غَيْرِ عَادِيَةٍ.. بَلْ إِمْكَانِيَّةِ بَثِّ الْأَوَامِرِ وَتَنْفِيذِهَا دُونَ أَنْ يَعْرِفَ الْمُسْتَقْبِلُ أَيَّ شَيْءٍ عَنْهَا.

فِي إِحْدَى تَجَارِبِ «رِيشِيه».. إِحْدَى تَجَارِبِهِ الْعَفْوِيَّةِ (وَهِيَ الْأَكْثَرُ نَجَاحًا فِي الْأَغْلَبِ).. صَاحَ لِزُمَلَائِهِ الْأَطِبَّاءِ أَثْنَاءَ تَنَاوُلِهِمْ وَجْبَةَ طَعَامٍ، قَائِلاً لَهُمْ بِأَنَّ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَجْعَلَ أَحَدَ مَرْضَاهُ يَدْخُلُ فِي غَيْبُوبَةٍ وَيَسِيرُ فِي نَوْمِهِ رَأْساً إِلَى غُرْفَةِ الطَّعَامِ، قَامَ بِإِرْسَالِ تَعْلِيمَاتِهِ الْعَقْلِيَّةِ كَمَا يَجِبُ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ لِمُدَّةِ خَمْسَ عَشْرَةَ دَقِيقَةً شُطِبَتِ التَّجْرُبَةُ بِاعْتِبَارِهَا أَخْفَقَتْ.. ثُمَّ دَخَلَ أَحَدُهُمْ غُرْفَةَ الطَّعَامِ وَهُوَ يَقُولُ إِنَّ مَرِيضَةً تَنْتَظِرُ خَارِجًا فِي الرِّوَاقِ تَبْحَثُ عَنْ «د. رِيشِيه»، وَقَدْ بَدَا عَلَيْهَا أَنَّهَا مُسْتَغْرِقَةٌ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ.

رَأَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّ التَّخَاطُرَ وَالتَّنْوِيمَ الْمِغْنَاطِيسِيَّ لَهُمَا سِمَةٌ وَحِيدَةٌ مُشْتَرَكَةٌ عَلَى الْأَقَلِّ.. حَالَةُ «التَّنَبُّهِ الْكُولِينِيِّ»، وَهَذِهِ يَتِمُّ اسْتِجْرَارُهَا تِلْقَائِيًّا فِي الشَّخْصِ الْخَاضِعِ لِلتَّنْوِيمِ.. وَهِيَ الْحَالَةُ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا الْمُسْتَقْبِلُ التَّخَاطُرِيُّ إِذَا أُرِيدَ لِلرِّسَالَةِ أَنْ تَصِلَ.. سَوَاءٌ حَدَثَ ذَلِكَ بِصُورَةٍ طَبِيعِيَّةٍ أَوِ اسْتُجِرَّ عَمْداً.

وَالْآنَ عَلَيْنَا مُوَاجَهَةُ احْتِمَالِ وُجُودِ عَامِلٍ ثَالِثٍ وَهُوَ الْحَرَكَةُ (التَّفَجُّرُ) النَّفْسَانِيَّةُ (بَسَايكُوكِينِيسِي)، لَهُ عَلَاقَةٌ بِعَمَلِيَّةِ الانْتِقَالِ التَّخَاطُرِيِّ تَحْتَ التَّنْوِيمِ الْمِغْنَاطِيسِيِّ.

يَعُودُ أَصْلُ تَسْمِيَةِ «التَّفَجُّرِ» إِلَى «**د. رُوبِرْت أ. مِكُونِيلْ**»، عَالِمِ فِيزْيَاءٍ فِي جَامِعَةِ «بِيتْسْبِيرْغْ» وَرَئِيسٍ سَابِقٍ لِلرَّابِطَةِ الْبَارَاسِيكُولُوجِيَّةِ.. عَامَ 1979 كَتَبَ مَقَالاً تَحْتَ هَذَا الْعُنْوَانِ: «التَّنْوِيمُ الْمِغْنَاطِيسِيُّ كَتَفَجُّرٍ نَفْسَانِيٍّ».

يَأْتِي لَنَا الدَّلِيلُ مِنَ الاتِّحَادِ السُّوفْيِيتِيِّ قَدِيمًا.. كَانَ «**فَلَادِيمِيرْ دِيورُوفْ**» مُؤَدِّياً فِي السِّرْكِ بِاعْتِبَارِهِ أَحَدَ أَكْثَرِ الْمُمَثِّلِينَ التَّرْفِيهِيِّينَ شَعْبِيَّةً فِي رُوسْيَا مَا قَبْلَ الثَّوْرَةِ.. فَقَدْ سَحَرَ الْحُضُورَ بِحَيَوَانَاتِه الْمُدَرَّبَةِ بِدِقَّةٍ وَخَاصَّةً كِلَابَهُ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ إِفَادَتِهِ مِنَ الْوَسَائِلِ الْمِيكَانِيكِيَّةِ الْمُعَيَّنَةِ مِثْلَ الصَّافِرَاتِ فَوْقَ الصَّوْتِيَّةِ.. فَإِنَّهُ اقْتَنَعَ بِالتَّدْرِيجِ أَنَّهُ قَدْ نَمَّى اتِّصَالاً عَقْلِيًّا مُبَاشِراً مَعَ كِلَابِهِ وَخَاصَّةً أَحَدَ كِلَابِ صَيْدِ الثَّعَالِبِ وَيُدْعَى «بِيكِي».. إِلَيْكُمْ وَصْفَهُ لِوَاحِدَةٍ مِنْ أُولَى تَجَارِبِهِ.

وَهَبْ أَنَّ لَدَيْنَا الْمَهَمَّةَ التَّالِيَةَ: اقْتِرَاحُ أَنْ يَذْهَبَ الْكَلْبُ إِلَى إِحْدَى الطَّاوِلَاتِ وَيَأْتِينَا بِكِتَابٍ مِنْهَا... أَتَنَاوَلُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيَّ كَمَا لَوْ كُنْتُ أَغْرِسُ فِي ذِهْنِهِ بِصُورَةٍ رَمْزِيَّةٍ فِكْرَةَ كَوْنِهِ تَحْتَ سُلْطَتِي كُلِّيَّةً.. أُثْبِتُ

بَصَرِي عَلَى عَيْنَيْهِ.. وَإِذْ يَدْخُلُ «بِيكِي» فِي مَا يَبْدُو أَنَّهُ غَيْبُوبَةٌ مِسْمَارِيَّةٌ، يَتَصَوَّرُ «دِيُورُوفْ» عِنْدَهَا بِشَكْلٍ دَقِيقٍ مَا يُرِيدُ مِنَ الْكَلْبِ أَنْ يَفْعَلَ ثُمَّ «أُدْخِلُ فِي رَوْعِهِ مَا أَدْخَلْتُهُ فِي رَوْعِي لِلتَّوِّ.. أَضَعُ أَمَامَهُ عَقْلِيّاً ذَلِكَ الْجُزْءَ مِنَ الْأَرْضِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى الطَّاوِلَةِ.. وَمِنْ ثَمَّ رِجْلَ الطَّاوِلَةِ.. ثُمَّ غِطَاءَ الطَّاوِلَةِ وَأَخِيرًا الْكِتَابَ» مَا عَلَيْهِ عِنْدَئِذٍ سِوَى أَنْ يُصْدِرَ أَمْراً عَقْلِيّاً لِيَقْفِزَ «بِيكِي» مُبْتَدِئاً عَمَلَهُ وَمُنَفِّذاً الْمَهَمَّةَ كَآلَةٍ أُوتُومَاتِيكِيَّةٍ.

أَحَدُ الْأَكَادِيمِيِّينَ «فَلَادِيمِيرْ بَخْتِيرِيفْ»، وَهُوَ طَبِيبُ أَعْصَابٍ بَارِزٌ أَصْبَحَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِمَعْهَدِ بُحُوثِ الدِّمَاغِ فِي «لِينِينْغْرَادَ». وَقَدْ أَقْنَعَتْهُ التَّجَارِبُ الَّتِي جَرَتْ فِي بَيْتِهِ مَعَ «دِيُورُوفْ» وَ«بِيكِي» أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ التَّأْثِيرُ فِي الْكَلْبِ بِطَرِيقَةِ «إِيحَاءِ الْفِكْرَةِ»، وَقَدْ وَجَدَ فِي النِّهَايَةِ أَنَّ فِي مَقْدُورِهِ أَنْ يَقُومَ بِذَلِكَ مَعَ «بِيكِي» وَكَلْبِهِ الْخَاصِّ «غَابِيشْ»، وَقَدْ أَخَذَ التَّجَارِبَ بِمَحْمَلِ الْجِدِّ.

أَجْرَى «بَخْتِيرِيفْ» كَذَلِكَ مِئَاتِ التَّجَارِبِ فِي انْتِقَالِ الصُّوَرِ عَلَى نَحْوٍ يُشَابِهُ تَجَارِبَ آلِ «سِنْكْلِيرْ»، وَقَدْ وَجَدَ أَنَّ مُسْتَقْبِلًا تَخَاطُرِيًّا جَيِّدًا يُمْكِنُهُ أَنْ يَلْتَقِطَ لَيْسَ الصُّورَةَ - أَيِ الشَّيْءَ الْهَدَفَ فَحَسْبُ - بَلْ كَذَلِكَ بَعْضَ الْأَفْكَارِ الْمُرْتَبِطَةِ بِهِ مِنْ قِبَلِ الْمُرْسِلِ، عِنْدَ وَضْعِ كُتْلَةِ زُجَاجٍ مَشْرُوخٍ كَهَدَفٍ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، وَصَفَتْ إِحْدَى الْمُسْتَقْبِلَاتِ انْطِبَاعَاتِهَا عَلَى

أَنَّهَا «انْعِكَاسَاتٌ فِي مَاءٍ - قَمْحُ سُكَّرٌ مَخْرُوطِيٌّ - قِمَّةٌ ثَلْجِيَّةٌ - جَبَلٌ جَلِيدِيٌّ، طَوْفٌ جَلِيدِيٌّ فِي الشَّمَالِ أَضَاءَتْهُ الشَّمْسُ - تَكَسُّرٌ لِلْأَشِعَّةِ» لَيْسَ هَذَا بِالْوَصْفِ الدَّقِيقِ جِدّاً لِكُتْلَةٍ مِنَ الزُّجَاجِ لَكِنَّهُ يَصِفُ بِالْفِعْلِ انْطِبَاعَاتٍ يُتَوَقَّعُ أَنْ تَطْرَأَ عَلَى عَقْلِ الْمُرْسِلِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا.

إحداث السلوك بالتخاطرِ:

النجاحُ يصيبُ من يحاولُ ويستمرُ في المحاولةِ بطريقةِ تفكيرٍ إيجابيةٍ.

قدمَ الدكتورُ الروسيُ كوستانتين بلاتنوف، وكانَ تلميذاً لبختريفٍ وأصبحَ فيما بعدُ عالمَ نفسٍ تجريبيٍ بارزٍ وأستاذاً في جامعةِ كركوفَ، عدةَ تجاربَ ناجحةٍ على الملأِ للتنويمِ المغناطيسيِّ. أخبرَ الحضورَ أنَّه سيريهم أنَّ بالإمكانِ تنويمَ شخصٍ بطريقةِ الأمرِ العقليِّ، عندما يغطي وجهَه بيديهِ، قالَ .. يكونُ بذلكَ إيذاناً ببدءِ التجربةِ. أحضرتِ الآنسةُ ميخاييلوفا، وهيَ الشخصُ المجربُ عليهِ، وأجلستْ إلى طاولةٍ على المسرحِ في الوقتِ الذي وقفَ فيهِ بلاتنوفُ وراءَ سبورةٍ بشكلٍ لم يكنْ بإستطاعتِها رؤيةُ وجهِه، ثمَّ حسبَ كلامِه «بعدَ أن غطيتُ وجهي، كونتُ صورةً عقليةً عنِ المرأةِ موضوعِ التجربةِ م.»

وقدِ استسلمتْ للرقادِ، وقد قمْتُ بتركيزِ انتباهي الشديدِ على ذلكَ لمدةٍ تقاربُ الدقيقةَ، كانتْ نتيجةً تامةً، خلدتْ م. للنومِ في غضونِ بضعِ ثوانٍ وتمَّ الإيقاظُ بنفسِ الطريقةِ، وقد تكررَ هذا عدةَ مراتٍ.

وقد تكررَ عملُ **بلاتونوفَ** على يدِ الدكتورِ **ك. كوتكوف** بمساعدةِ زميلينِ لهُ أجرى ما سماهُ «قطعةَ عملٍ صغيرةٍ في انتقالِ الفكرةِ من بعدُ». كانَ الشخصُ المدروسُ فتاةً في سنِّ المراهقةِ أمكنَهم إنامتُها مراراً ومن ثمَّ إيقاظُها ثانيةً عن طريقِ أوامرَ كلاميةٍ، (بكلمةِ نومٍ، أعتقدُ أنَّهم قصدوا غيبوبةً عميقةً، أو نومَ العقلِ الأيسرِ). وكانَ أكثرُ التجاربِ متعةً تلكَ التي أعطيتْ فيها أوامرُ من بعدُ تطلبُ إليها المجيءَ إلى المختبرِ في وقتٍ محددٍ، الأمرُ الذي فعلتْهُ على نحوٍ ثابتٍ، «حين سألوها عن سببِ مجيئِها، كانتْ تجيبُ بوجهٍ عامٍ، والارتباكُ يعلو وجهَها: لستُ أدري .. لقد فعلتُ ذلكَ وكفي.. أردتُ المجيءَ»».

تركَ لنا كوتكوفُ وصفاً ذا فائدةٍ كبيرةٍ يتناولُ كيفيةَ إحداثِ السلوكِ بالتخاطرِ، هناكَ كما قالَ: ثلاثةُ أعمالٍ لا تنقصُهم أولاً، عليهِ أن يخلدَ إلى الراحةِ، الاسترخاءِ، «يتمُ عقلياً» بتعليماتِهِ، ثمَّ عليهِ أن يتصورَ المجربَ عليهِ يقومُ بما كانَ يودُّ منهُ، وأخيراً وهوَ الأكثرُ أهميةً من كلِّ ما عداهُ، يأتي «عاملُ الرغبةِ» فهو «يرغبُ بقوةٍ» إلى المجربِ عليهِ أن يطيعَ.

تجارب بافلوف المشهورةُ:

ظلَّ العالمُ النفسيُّ السوفياتيُّ الشهيرُ **إيفان بافلوف** ـ خلالَ ثلاثينَ سنةً ـ يدرسُ عملَ الدماغِ .. وقدِ اكتشفَ أنَّه يمكنُ لتكرارِ ترابطِ مثيرٍ صناعيٍّ، مثلِ الجرسِ، أن يقومَ مقامَ المثيرِ الطبيعيِّ مثلِ الطعامِ في إحداثِ ردِّ فعلٍ فسيولوجيٍّ متمثلٍ في سيلانِ اللعابِ (بالإضافةِ إلى حالةٍ من **التنويمِ المغناطيسيِّ**[11]) .. وأطلقَ على هذا اسمَ المنعكسِ الشرطيِّ .. وفي واحدةٍ من أشهرِ تجاربِهِ، دربَّ كلباً ليقومَ بردِّ فعلٍ بهذهِ الطريقةِ. وكانَ بافلوفُ يؤمنُ بأنَّ كلَّ العاداتِ المكتسبةِ، بل حتى الأنشطةِ العقليةِ العليا للإنسانِ، تعتمدُ على سلسلةٍ من الانعكاساتِ المشروطةِ، وهذا دليلٌ على نطاقِ التحكمِ في السلوكِ الداخليِّ لأعضاءِ الكلبِ من خلالِ وسيطٍ خارجيٍّ.

[11] **التنويم المغناطيسي:** يقول شرتوك، مدير المعهد النفسي بباريس: إن التنويم المغناطيسي يجب أن نعتبره حالة حيوية رابعة، تضاف إلى اليقظة والنوم والحلم، وهي تختلف اختلافًا بينًا عن أي من الحالات الثلاث، وإن كان وصفها صعبًا يجمع فيه بين التنويم والتجميد. ويرجح العالم بافلوف الشهير أن هذه الظاهرة تعمل كنظام دفاعي شبيه في وظيفته بوظائف النوم. ويقول أن الترقب العميق من جانب الكلاب لقرع الجرس ووصول الطعام أدى ببعضها إلى حالة من التجمد الكامل، حتى بعد تقريب الطعام منها.

ملخصُ التفسيرِ العلميّ لأشراطِ التخاطرِ:

وفقَ تجاربِ الغنزفيلدِ:

يتمُّ التخاطرُ بينَ طرفينِ يكونُ المستقبلُ فيهما في حالةِ إغلاقٍ للجزءِ الأيسرِ من الدماغِ أو إيقافٍ للتفكيرِ وسطَ مكانٍ خالٍ تماماً من الضوضاءِ والمرسلُ في حالةِ تركيزٍ جادٍّ، ومتواصلٍ لمدةٍ تفوتُ 10 دقائقَ.

وفقَ تجربةِ يوهاريشٍ:

يتمُّ التخاطرُ بينَ مرسلٍ أدرينالِيٍّ ومستقبلٍ كولينِيٍّ. أي يكونُ المرسلُ في حالةِ تأزمٍ وتوترٍ من متوسطةٍ إلى شديدةٍ والمستقبلُ يكونُ في حالةِ استرخاءٍ جيدٍ.

ظاهرةُ الـPK (الفاعليةُ العضليةُ اللاواعيةُ):

ما يتخيلُهُ ويصدقُهُ المرءُ منا .. فإنَّه قادرٌ على تحقيقِهِ .. نابليون هيل.

بعدَ أن ناقشتُ ظاهرتي التنويمِ المغناطيسيِّ والتخاطرِ، سأنتقلُ الآنَ إلى البسايكوكينيسيسِ (PSICOKINISSISE (PK. فكما كانَ في التخاطرِ والاستبصارِ تظهرُ لنا جلياً قوةُ العقلِ في نقلِ الصورِ والأحاسيسِ والأفكارِ وحتى الكلامِ العقليِّ، في ظاهرةِ الـ PK تظهرُ لنا قوةُ العقلِ في تحريكِ الأشياءِ الجامدةِ عن بعدٍ بفعلٍ فاعليةٍ عضليةٍ لا واعيةٍ.

فقد كانتْ عدةُ تجاربَ عن تحريكِ طاولاتٍ بالجلوسِ حولَها واضعينَ الأياديَ فوقَها ومحاولةِ التركيزِ وإعطاءِ الأوامرِ والرغبةِ الشديدةِ في أن تستجيبَ الطاولةُ للتحركِ، وفي معظمِ التجاربِ المجربةِ كانتْ ناجحةً، وكانتْ الطاولةُ تقومُ بحركةٍ كما لو كانتِ استجابةً مباشرةً لفكرةٍ، إنَّما عندما يكونُ تلقينُ الفكرةِ دونَ جهدٍ، ودونَ وجودِ أثرٍ لإلحاحٍ ما، كانتِ الطريقةُ التي تحملُ الطاولةَ على التحركِ تكمنُ في التقربِ منها «ببهجةٍ، وخفةٍ، وحذقٍ، بثقةٍ وسلطانٍ لكن دونَ عاطفةٍ»، بعضُ الناسِ كانوا أفضلَ في هذا من غيرِهم، معَ التشديدِ على أنَّه لا ضرورةَ هناكَ لوجودِ «وسيطٍ» خاصٍّ، لكن لو كانَ الشخصُ متوتراً، تعباً، أو ليسَ على ما

يرامَ فحسبُ، لما تمخضَ الأمرُ عن كبيرِ فاعليةٍ، وإن لم تُنفَ الفاعليةُ على الإطلاقِ.

ملاحظاتٌ كهذهِ ذاتُ أهميةٍ نفسيةٍ كبرى، وقد أرسى **الدكتورُ غاسبارين** مبادئَ الـ PK ممثلةً في:

1. الإرادةُ، هيَ حالةٌ معينةٌ من الحالاتِ العضويةِ البشريةِ، يمكنُ أن تؤثرَ من بعدٍ على الأجسامِ الجامدةِ، بوسائلَ غيرِ الفعلِ العضليِّ.

2. تحتَ الظروفِ نفسِها، يمكنُ إيصالُ الفكرةِ مباشرةً من فردٍ إلى آخرَ بطريقةٍ لا واعيةٍ.

طبيبٌ نفسانيٌّ آخرُ، د. خوريه. سي. فيراز من البرازيلِ، قد وجدَ صلاتٍ لافتةً للنظرِ بينَ المواهبِ العقليةِ غيرِ العاديةِ، بما فيها «الوساطةُ» وولاداتِ الطفلِ الأزرقِ، والتي يعتقدُ فيها أنَّ النقصَ الحادَّ في الأكسجينِ يتسببُ عادةً في تنشيطِ مناطقَ هاجعةٍ في الدماغِ.

الفصل الثاني

قصتي معَ التخاطرِ والرؤيةِ من بعدُ:

مَنْ عاينَ أفضلُ ممنْ سمعَ.

يومٌ صعبٌ

فيما بعدُ

تجاربُ التخاطرِ والرؤيةِ من بعدُ:

- التجربةُ الأولى: التخاطبُ الذهنيُّ ونقلُ الأفكارِ في نفسِ الغرفةِ.
- التجربةُ الثانيةُ: منَ الغرفةِ المجاورةِ ومن خلالِ جدارٍ.
- التجربةُ الثالثةُ: منَ الشارعِ القريبِ الذي يبعدُ 50 متراً.
- التجربةُ الرابعةُ: بعدَ عدةِ شوارعَ من مسافةِ 150 متراً.
- التجربةُ الخامسةُ: من على بعدِ 8 كيلومتراتٍ.
- التجربةُ السادسةُ: من على بعدِ 25 كيلومتراً.
- التجربةُ السابعةُ: من على بعدِ 1200 كيلومترٍ.

- التجربةُ الثامنةُ: رحلةُ الرجوعِ.
- الفرضيةُ الأولى
- الفرضيةُ الثانيةُ
- فرضيةُ أن يكونَ الكلامُ الذهنيُّ موجةً فوقَ صوتيةٍ.
- بعضُ العواملِ التي تزيدُ قوةَ التخاطرِ والرؤيةِ من بعدُ.

طفولتي

مراهقتي

قصةُ شابٍ متخاطرٍ - فيفري 2019 -

لا تذهبْ إلى حيثُ سيقودُكَ الطريقُ .. بل اذهبْ حيثُ لا يوجدُ طريقٌ .. واتركْ أثرَكَ هناكَ.

يومٌ صعبٌ:

في أحدِ أيامِ الشتاءِ من عامِ 2016 .. كانَ يومُ المعرفةِ بالنسبةِ لي .. يوماً صعباً .. يوماً خارقاً .. يوماً عجزتْ كلُّ أنواعِ الكلماتِ التي يعبّرُ بها المعبرونَ عن تصرفاتِهم أو حالاتِهم النفسيةِ عن التعبيرِ عنه .. فلقد أحسستُ بخليطٍ من الحيرةِ الشديدةِ .. والرغبةِ في الضحكِ والقهقهةِ .. والذهولِ والعجزِ تماماً عن الفهمِ والتعبيرِ .. والخوفِ الشديدِ من الذي جرى لي .. وكيفَ سأكملُ حياتي مع هذا التحولِ المفاجئِ الذي طرأَ على حواسي .. وكأنني دخلتُ في بعدٍ غيرِ البعدِ الثلاثيِّ الذي نعيشُه كأناسٍ عاديينَ.

كلُّ هذا كانَ خلاصةً أو تعبيراً بسيطاً عن الشعورِ العجيبِ والمخيفِ الذي صاحبَ يومَ العلمِ بالمعجزةِ الخارقةِ التي طرأتْ معي .. التي ستغيرُ حياتي رأساً على عقبٍ. فلقد تمكنتُ بعدَ عمليةِ ربطٍ للأحداثِ والكلماتِ التي قيلتْ أمامي من أشخاصٍ كنتُ أسمعُهم في رأسي من هذا الاكتشافِ المذهلِ.

فلقد تيقنتُ ذلكَ اليومَ أنني في حالةِ تخاطرٍ عن بعدٍ مع كلِّ المحيطينَ بي، نعم كلِّ المحيطينَ بي من دونِ استثناءٍ، تخاطرٍ مفتوحٍ دائماً أو في حالةِ إرسالٍ واستقبالٍ متبادلٍ بيني وبينَهم بشكلٍ دائمٍ. وكانَ هذا التخاطرُ من النوعِ العظيمِ .. غيرِ الذي درستُهُ في بعضِ الكتبِ .. كانَ عبارةً عن إرسالِ بعضِ الصورِ يقرأُها أو بالأحرى يراها الفردُ المرسلُ إليهِ بعينيهِ، أي هوَ إرسالٌ ذهنيٌّ عن بعدٍ بكلِّ معنى الكلمةِ. أما فيما يخصُّ تجاربَ العلماءِ المسجلةِ .. فهيَ تنجحُ بعدَ جهدٍ مضنٍ .. في إرسالٍ من النوعِ الضعيفِ .. حتى أنَّ الصورةَ المرسلةَ يكونُ البعضُ منها مموهاً بالإضافةِ لبعضِ الكلماتِ المنطوقةِ فقط وليسَ كلَّها.

أما في حالتي فهوَ إرسالٌ أو نقلٌ لكلِّ شيءٍ بأدقِّ التفاصيلِ، كلِّ ما أراهُ، كلِّ ما أسمعُهُ كلِّ ما أقولُهُ، كلِّ ما أهمسُ بهِ في نفسي، كلِّ ما أحسُّهُ بجسدي بأعضائي الخارجيةِ والداخليةِ يحسُّهُ معي كلُّ من حولي في دائرةٍ قطرُها يتزايدُ ويتناقصُ متجاهلاً كلَّ ما هوَ ماديٌّ من حولي من أبنيةٍ أو حائطٍ أو حديدٍ أو خرسانةٍ مسلحةٍ، ففي بعضِ الأحيانِ أتواصلُ مع أشخاصٍ تفصلُني معهم عدةُ أبنيةٍ أو شوارعَ.

كلُّ هذا صاحبَهُ تزايدٌ رهيبٌ في حاسةِ السمعِ .. فصرتُ قادراً على سماعِ الحديثِ العاديّ بينَ اثنينِ تفصلُني بناياتٌ عنهم وكأنَّهم بجانبي.

كلُّ هذا أيقنتُهُ في هذا اليومِ الصعبِ .. تأكدتُ من كلّ هذا أو استنتجتُهُ عن طريقِ ربطِ الكلامِ .. أي ربطِ كلامِ المتحدثينَ معي بطلاقةٍ عن طريقِ التخاطرِ، فقد كانوا يومئونَ لي أو يحاولونَ أن يوصلوا لي فكرةً أنهم قادرونَ على رؤيةِ وسماعِ كلِّ ما أراهُ وأسمعُهُ من حولي بطريقةٍ كنا نجهلُها، فقد كنتُ أشكُّ في بعضِ الأحيانِ أنَّ هناكَ نوعاً من كاميراتِ التجسسِ تراقبُني .. نعم بطريقةِ الإيحاءِ تمَّ إعلامي من كلِّ المحيطينَ بي.

وحتى بعدَ مرورِ 3 سنواتٍ من بدايتِها لازالَ يشدهمُ الذهولُ والعجبُ من هاتهِ الطريقةِ للكلامِ - طريقةِ الكلامِ الداخليّ - أي نقومُ بالكلامِ وكأننا نتكلمُ مع أنفسِنا داخلياً فنسمعُ ونردُّ على بعضِنا البعضِ .. بالإضافةِ إلى الذهولِ من إحساسِهم الحقيقيّ الخارقِ بكلِّ ما أحسُّهُ.

فلقد كانَ كلُّ المحيطينَ بي في هذهِ الفترةِ هم من ساهمَ في إعلامي كلٌّ بطريقتِهِ .. وكانَ البعضُ منهم خائفاً عليَّ من الصدمةِ الأولى .. الكلُّ يريدُ أن يوصلَ لي الفكرةَ أو مقدارَ المعجزةِ أو التحولَ الفارقَ الذي طرأَ على حواسي أو حواسِهم، الكلُّ كانَ مشوشاً جداً. فالأمرُ كانَ جديداً

كلياً على الكلِّ .. فلا أحدَ من السكانِ كانَ يحملُ أيةَ فكرةٍ عنِ التخاطرِ عن بعدٍ وعن إمكانيةِ حدوثِهِ بالفعلِ .. فكانَ الأمرُ كلُّهُ بمثابةِ المعجزةِ بكلِّ معنى الكلمةِ .. وكانَ الكلُّ يعاملُني كصاحبِ المعجزةِ الربانيةِ بوقارٍ واحترامٍ شديدٍ مشكورونَ عليهِ وأدعو اللهَ أن يأجَرهم عليهِ، ولكن صعبَ عليهمُ الأمرُ بشدةٍ لشدةِ خوفِهم عليَّ من الصدمةِ وربما الجنونِ كما قالَ لي أحدهم أو حتى الانتحارِ عندَ العلمِ بما طرأَ من تحولٍ على جسمي، أو هذا ما لمعَ في ذهني من تعبيرٍ حينها، ولكن بعدَ مدةٍ تغيرَ مفهومي ولا يزالُ يتغيرُ إلى هذهِ اللحظةِ لأنَّ العلمَ أوِ الدينَ لا يحملانِ تفسيراً كبيراً أو شاملاً لكلِّ ما يحدثُ معي وحتى التخاطرُ عن بعدٍ والاستبصارُ الذي سأحاولُ أن أذكرَهُ فيما بعدُ باختصارٍ، لا يمثلانِ حالتي بأتمِّ معنى الكلمةِ، فالتخاطرُ الذي درستُهُ أو الذي سبقَ ذكرُهُ لا يمثلُ إلا جزءاً يسيراً من إمكانياتي وطاقاتي الجديدةِ القديمةِ التي بدأتْ في التشكلِ والتطورِ عبرَ عدةِ مراحلَ منذُ طفولتي سأقومُ بذكرِها بالترتيبِ فيما بعدُ في فصولِ الكتابِ.

فكونُنا مسلمينَ أولَ ما يطرأُ على تخيلِنا أو مخيلتِنا في الوهلةِ الأولى كتعبيرٍ على هذهِ الحادثةِ هيَ أنها معجزةٌ أو كرامةٌ ربانيةٌ لأنَّ التاريخَ الإسلاميَّ حافلٌ بالكراماتِ الإلهيةِ التي يهبُها اللهُ سبحانَهُ وتعالى لأوليائِهِ العبادِ

الزهادِ الذينَ يتقونَ اللهَ ويعبدونَهُ عبادةً مخلصةً وقانتةً .. فكلُّ تعمقٍ في العبادةِ تنزهاً عن كلِّ شركٍ وإثمٍ يستلزمُ كرامةً منَ اللهِ .. وهذا ما لا يعني بهِ هذا الكتّابُ ولا يستطيعُ حصرَهُ .. المهمُّ أنَّ الأمرَ اختلطَ عليَّ وعلى الناسِ المحيطينَ بي بينَ معجزةٍ وبينَ سحرٍ وبينَ علمٍ أتقنتهُ وتمكنتُ منهُ.

وهذا ما قمتُ أنا بالخصوصِ بدارستهِ في ذهني كوني مُلِمٌّ ببعضِ أبجدياتِ ما سبقَ ذكرُهُ، فذهبتْ آراؤُساعةً إلى كرامةٍ إلاهيةٍ كوني ملتزماً منذُ زمنِ إنهاءِ فترةِ جامعتي التزاماً أحسبهُ إن شاءَ اللهُ جيداً أجعلهُ متواصلاً بتلاوةِ القرآنِ والوردِ اليوميّ والإكثارِ منَ الذكرِ .. هذا طبعاً معَ الحفاظِ على صلاتي وعباداتي ومحاولةِ التقوى وهذا هوَ الأهمُّ في كلِّ ما سبقَ ذكرُهُ.

وكونُنا مسلمينَ محافظينَ فأولُ ما فكرتُ فيهِ بعدَ علمي بكلِّ أبعادِ وخطورةِ وحقيقةِ الموقفِ .. هوَ أنَّ كلَّ من يحيطُ بي يستطيعُ أن يرى جسمي أثناءَ تغييرِ ملابسي .. إن أنا نظرتُ إلى مناطقي التناسليةِ .. فجالتْ أسئلةٌ في رأسي متعددةٌ، فتارةً أقولُ كيفَ سأقومُ إذاً بالاغتسالِ من دونِ إزعاجٍ، أو كيفَ أغيرُ ملابسي، أو كيفَ أقضي حاجتي في المرحاضِ،

كلُّ هذهِ التخميناتِ كانتْ تدورُ في رأسي كدوامةٍ مخيفةٍ سريعةٍ جداً مع مئاتِ الأفكارِ عن سببِ كلِّ هذا الذي حصلَ معي.

جلستُ في فراشي ذلكَ اليومَ مرتعباً جداً بعدَ تأكدي من مشاهدةِ الجميعِ لي وسماعِهم وتخاطرِهم معي في اللحظةِ .. أحاولُ أن أرتبَ أفكاري وأبحثَ عن تفسيرٍ.

فساعةً كنتُ أربطُ كلَّ ما كانَ يقالُ لي في المرحلةِ التي سبقتْ علمي بالقضيةِ، فقد كنتُ ذا ذاكرةٍ قويةٍ جداً، وساعةً أعودُ بذاكرتي لأهمِّ الحوادثِ في حياتي لعلي أجدُ ما يفسرُ ما حصلَ معي من تغيراتٍ، ولعلَّ أطرفَ تعبيرٍ قيلَ لي هوَ أنني طفرةٌ وراثيةٌ حصلتْ مع البشرِ، وأنني جنسٌ جديدٌ وآخرونَ يشجعونَني على الزواجِ لأنجبَ أولاداً يشبهوني، كلُّ هذهِ الأفكارِ وغيرِها كانتْ تتوالى جميعاً بدونِ الرسوِّ على الحلِّ أوِ المعنى أوِ التعليلِ الصحيحِ.

فيما بعدُ:

يعتمدُ النجاحُ في إدراكِ الظواهرِ على الملاحظةِ الجيدةِ.

ظللتُ أياماً وأياماً وأنا أفكرُ في حالةِ ذهولٍ شديدٍ ودماغي لا ينفكُّ يفكرُ بغزارةٍ أصابتْني بالخوفِ من سرعةِ التفكيرِ، ورحتُ أحاولُ حصرَ كلِّ إمكانياتِ هذا الجديدِ الذي طرأَ على قدراتي الحسيةِ والسمعيةِ والشميةِ والبصريةِ (حتى البصريةُ، لقد رأيتُ في حادثتينِ أرواحاً سفليةً أو كما نسميهِ جناً). وهذا بالطبعِ ما لا نستطيعُ رؤيَتَهُ بمجالِ رؤيتِنا العاديةِ المحصورةِ بينَ فوقِ البنفسجيةِ وتحتِ الحمراءِ.

فكلَّ يومٍ كنتُ أكتشفُ شيئاً جديداً فمرةً قوةَ سمعي .. أركزُ معها جيداً فأجدُها تأتي لي بأصواتِ من هم يبعدونَ عني بمئاتِ الأمتارِ .. ومرةً حاسةَ شمي وقوتَها الشديدةَ أيضاً .. أجدُها تأتي لي بروائحَ لأشياءَ تبعدُ عني كثيراً. حتى أنني كنتُ أركزُ عندَ ركوبي الحافلةَ معَ الركابِ على رأسِ أحدهم منَ الوراءِ جيداً وبالرغمِ أنَّهُ يجلسُ في أولِها وأنا في آخرِها إلا أنني أسمعُ بما يهمسُ بهِ لصاحبِهِ .. بالرغمِ من عجزِ الشخصِ الذي يجلسُ وراءَهُ عن سماعِهِ.

ولعلَّ أحرجَ شيءٍ في القضيةِ هوَ لحظةُ قيامي بقضاءِ حاجتي في الحمامِ، أما كلُّ ما عداها فكانَ مضحكاً وفي بعضِ الأحيانِ ممتعاً لي ولمن حولي كثيراً.

لإكتسابِ المعرفةِ على المرءِ أن يدرسَ .. ولإكتسابِ الحكمةِ عليهِ أن يلاحظَ .. مارلين فوس سافانت

بدارستي أو ملاحظتي الشديدةِ لحالتي كوني أقدرَ من يمكنُهُ أن يصفَها أستطيعُ حصرَ حالتي في:

• سمعٍ قويٍ لدرجةِ سماعِ كلامِ رجلٍ يبعدُ ألفَ مترٍ كأنَّهُ بجانبي.

• حاسةِ شمٍ قويةٍ كذلكَ بنفسِ المسافةِ.

• الإحساسِ والكلامِ الذهنيِّ معَ أيِّ شخصٍ أسمعُهُ كلاماً مفهوماً أكثرَ من كلامِهِ الخارجيِّ ولو كانَ بيننا عدةُ أبنيةٍ منَ الخرسانةِ المسلحةِ.

• حاسةٍ بصريةٍ عاديةٍ ما عدا ما سبقَ ذكرُهُ عن تلكَ الحادثتينِ وأتحفظُ عليهما لأنَّهما حصلا معي لحظةَ وحدةٍ شديدةٍ في أمكنةٍ مخيفةٍ .. لا تحصلُ هذهِ الأشياءُ معي دائماً.

أستطيعُ إذاً أن أفسرَ ما حصلَ لي بناءً على ما درسناهُ سابقاً أنَّهُ مزيجٌ منَ التخاطرِ والاستبصارِ (الرؤيةِ من بعدٍ)، معَ حصرِ الحالةِ أنَّهُ أنا المرسلُ

دائماً في حالةِ الرؤيةِ من بعدٍ، وفي حالةِ الكلامِ كنتُ أتكلمُ بشكلٍ عاديٍّ أعني كلاماً عقلياً معَ كلِّ من يحيطُ بي مهما كانتِ المسافةُ حتى 1000 ألفِ مترٍ ولو كانتْ عدةُ بناياتٍ تفصلُنا، وكانَ الكلامُ يصدرُ مني ومنَ السامعِ، أي كنتُ مستقبلاً ومرسلاً، أما في حالةِ إيصالِ الفكرةِ فقد كنتُ المرسلَ الأقوى تقريباً، إذا أهملنا فهمي لأفكارِهم عن طريقِ فهمي إيحاءَ الكلماتِ عن طريقِ الكلامِ الذهنيِّ، فأنا إذاً الوحيدُ المرسلُ للأفكارِ، أو الذي يستطيعُ من حولَهُ فهمَ أفكارِهِ أو دراسةَ ذاكرتِهِ مهما كانتِ الفكرةُ غامضةً أو مستترةً.

أي كلُّ ظواهرِ PSI كانتْ تحدثُ معي بقوةٍ هائلةٍ ودائمةٍ وأنا في حالةِ مرسلٍ فقط في الرؤيةِ من بعدٍ ومرسلٍ ومستقبلٍ في التخاطرِ من بعدٍ.

لعلي أصفُ نفسي أحياناً، كأني كيانٌ عملاقٌ، أو عقلٌ عملاقٌ وكلُّ عقولِ من حولي لها الحريةُ التامةُ في التجولِ في أفكاري وسماعِها، دونَ أن يبذلوا أيَّ مجهودٍ فكريٍ .. أي كلُّ شيءٍ يحدثُ تلقائياً.

بعدَ مدةٍ منَ التحدثِ عن هذهِ الظاهرةِ معَ رُفقتي .. أصبحَ الأمرُ مسلياً .. كأنَّهُ لعبةٌ سحريةٌ. قررتُ التحققَ من نجاحي تجريبياً بالاستعانةِ بصديقٍ .. ندوّنُ كلَّ ما نسمعُ .. ما نرى .. ما ينتقلُ من أفكارٍ.

تجاربُ التخاطرِ والرؤيةِ من بعدُ:

لا أظنُّ هناكَ صفةً ضروريةً للنجاح أكثرَ أهميةً من صفةِ المثابرةِ والإصرارِ .. فهيَ تكادُ تتغلبُ على كلِّ ما يعاندُها.. ربما حتى قوانينَ الطبيعةِ .. جون روكفلر .. صناعيٌ أمريكيٌّ.

في حقيقةِ الأمرِ هوَ تدوينٌ ووصفٌ للحالةِ أثناءَ التحققِ من صحةِ الموضوع.

يمكنُ القولُ بشكلٍ عامٍ .. إنَّ الإنسانَ الأكثرَ نجاحاً في الحياةِ .. هوَ من تتوفرُ لديهِ أفضلُ وأحسنُ المعلوماتِ .. بنيامين دسرائيلي.

التجربةُ الأولى: التخاطبُ الذهنيُّ ونقلُ الأفكارِ في نفسِ الغرفةِ.

كانَ صديقي إسحاقُ هوَ مساعدي الشخصيَّ في التجربةِ .. في أولِ الحالِ: كانتْ في نفسِ الغرفةِ.. اتفقنا على القيامِ بأمرٍ أشبهَ بلعبةٍ سحريةٍ ماهرةٍ .. كانتِ الخطةُ أن آتيَ بورقةٍ لي ولإسحاقَ ويبتعدَ كلٌّ منا عنِ الآخرِ .. أنا في طرفٍ وهوَ في الطرفِ الآخرِ منَ الغرفةِ .. وبعدَها قلتُ لهُ عليكَ بتدوينِ كلِّ ما تسمعُهُ من كلماتٍ والأمرُ نفسُهُ بالنسبةِ لي فقد كنتُ أكتبُ ما أرددُ من كلماتٍ في نفسِ الوقتِ، جهزنا الميقاتياتِ (في هواتفِنا النقالةِ).. وبعدَها بدأتِ التجربةُ .. كانتِ الساعةُ الواحدةَ بعدَ

الظهرِ عندما قلتُ تخاطرياً أمزحُ معهُ (لماذا تنظرُ لي) وأومأتُ لهُ بكتابتِها وكتبتُها أنا أيضاً .. دوّنتُ الوقتَ والجملةَ .. لاحظنا النتيجةَ فكانتْ مدويةً .. لقد كانتْ نفسَ الكلماتِ ونفسَ الوقتِ .. ضحكنا بشدةٍ .. ورحنا نواصلُ التجربةَ بترديدِ المزيدِ منَ الجملِ .. (كيفَ حالُكَ) فيجيبُني (بخيرٍ وأنتَ) .. كانتِ النتائجُ مبهرةً وناجحةً 100 %.

بعدَها وفي نفسِ اليومِ والغرفةِ قررنا تدوينَ انتقالِ الفكرةِ .. بنفسِ الطريقةِ .. أومأتُ لهُ ببدايةِ التجربةِ والتدوينِ .. نظرتُ لشباكِ النافذةِ .. كانَ مفتوحاً .. وفكرتُ حينَها بالنهوضِ وإغلاقِهِ .. وكتبتُ فكرتي .. بعدَها اطلعنا على النتيجةِ وكانتْ منتظرةً، كررنا التجربةَ وكنا نستمتعُ كثيراً بنجاحِها الدائمِ.

انتقلنا بعدَها لتدوينِ الرؤيةِ من بعدُ .. كانَ الأمرُ أروعَ من سابقِيهِ .. تحولتِ التجربةُ إلى لعبةٍ سحريةٍ حقيقيةٍ .. كانتْ في الغرفةِ مكتبةُ كتبٍ .. ذهبتُ إليها وأومأتُ لهُ (بالكلامِ الذهنيِّ) بكتابةِ ما يرى مباشرةً .. أولُ كتابٍ حملتُهُ منَ المكتبةِ .. كانَ "البرمجةُ اللغويةُ العصبيةُ" لإبراهيمَ الفقي .. مباشرةً أومأَ لي أنَّهُ كتبَ الإجابةَ .. ذهبتُ إليهِ وجدتُ الإجابةَ التاليةَ (كتابُ البرمجةِ اللغويةِ العصبيةِ لإبراهيمَ الفقي بالإضافةِ إلى صورةٍ لهُ واقفاً يضحكُ) .. فرحتُ بالإجابةِ كثيراً .. لأنَّ موضوعَ

التجربةِ كانَ التحققَ التامَّ من نجاح التخاطرِ والرؤيةِ من بعدُ .. كررتُ التجربةَ .. أخذتُ ألبومَ صورٍ كانَ على الكمبيوترِ .. اخترتُ إحداها عشوائياً .. كانتْ للزعيمِ الجزائريِّ الراحلِ هواري بومدين يبتسمُ .. تكررَ نجاحُ التجربةِ بدونِ أيِّ ارتباكٍ أو خطأٍ .. كررنا التجربةَ مرةً أخرى وأحياناً كانَ إسحاقُ يتسرعُ ويصفُ لي تخاطرياً (بالكلامِ الذهنيِّ) الصورةَ قبلَ كتابتِها .. لكني أصرُّ عليهِ بكتابةِ ما يراهُ .. تمتعنا باللعبةِ السحريةِ .. كانتْ نتائجُ 10 عشرِ صورٍ صحيحةً بنسبةِ 100 % .. انتقلنا مباشرةً إلى التجربةِ الثانيةِ.

التجربةُ الثانيةُ: منَ الغرفةِ المجاورةِ ومن خلالِ جدارٍ:

قررنا بعدَ نجاحِ التجربةِ الأولى في نفسِ الغرفةِ جعلَ الأمرِ أكثرَ صعوبةً .. ذهبَ إسحاقُ إلى غرفةٍ أخرى .. - وتبقى أفضلُ طريقةٍ للاستقبالِ هيَ الاستلقاءُ في فراشِ النومِ في مكانٍ هادئٍ لأنَّهُ يعرفُ جيداً أفضلَ الطرقِ - بالتجريبِ - لذا فضلَ الاستلقاءَ على سريرٍ جاهزٍ مقابلاً لي خلفَ الجدارِ مغمضاً عينيهِ .. كلمتُهُ ذهنياً ثانيةً .. هل أنتَ جاهزٌ .. أجابَني بنعم .. قلتُ لهُ اكتبْ .. (تحيا الجزائرُ.. Viva L'algerie.. One Two Three) العبارةُ الجماهيريةُ الجزائريةُ الشهيرةُ .. لم يمثلِ الجدارُ أيَّ فارقٍ في نجاحِ التجربةِ .. كتبَها كما هيَ بدونِ نقصانٍ ..

كررنا تدوينَ الكلامِ الذهنيّ حتى تأكدنا .. ثمَّ بعكسِ التجربةِ بجعلي أنا المستقبلَ الذي يدوّنُ كلامَهُ المرسلَ الذي يدوّنُه هوَ أيضاً ووقتَهُ في نفسِ التوقيتِ .. واستمرَّ نجاحُ التجربةِ .. التوقيتُ نفسُهُ والكلماتُ نفسُها.

انتقلنا إلى تجربةِ الرؤيةِ من بعدٍ مباشرةً بعدَ ذلكَ .. طبعاً كانتِ الرؤيةُ من بعدٍ تُسجَّلُ كوني أنا المرسلَ فقط ولستُ أقدرُ على استقبالِها كالكلامِ الذهنيّ .. استعنتُ بالكمبيوترِ مثلَ التجربةِ الأولى .. فتحتُ ملفَّ الصورِ كالعادةِ .. كانَ الكلامُ الذهنيُّ يعملُ كوسيلةِ اتصالٍ مباشرةٍ وآنيةٍ ومجانيةٍ بيننا .. كانَ نجاحُ وصولِ الصورةِ إليهِ يُعبَّرُ عنهُ دائماً بكلامٍ ذهنيّ يسبقُ اطلاعي على تدويناتِهِ الصحيحةِ دائماً.

سهولةُ وتلقائيةُ التجاربِ دفعَنا أيضاً إلى محاولةِ تدوينِ نقلِ الأفلامِ .. فقد كانَ إسحاقُ وكلُّ المحيطينَ بي يتفرجونَ معي أيَّ فيلمٍ أتفرجُهُ .. كلٌّ من مكانِهِ .. منَ الغرفِ الأخرى .. منَ المنازلِ المجاورةِ .. كنا نتفرجُ على فيلمٍ سوياً أنا وإسحاقُ .. أنا من مكاني من أمامِ كمبيوتري وهوَ منَ الغرفةِ الأخرى خلفَ الجدارِ .. نتفرجُ .. وعلَّقَ هوَ أنَّهُ يرى الفيلمَ كأنَّهُ أنا .. يراهُ ويحسُّ بكلِّ الأفكارِ والأحاسيسِ التي تعتريني أثناءَ تشغيلي للفيلمِ .. ولم يحسَّ إسحاقُ بالتعبِ أبداً مهما طالَ تركيزُهُ معي ومعَ الفيلمِ الذي يراهُ في عينيهِ .. بالرغمِ أنها بلغتْ – مدةُ الفيلمِ – في بعضِ الأيامِ من

ساعتينِ إلى ثلاثِ ساعاتٍ .. كانَ دائماً يعلقُ أنَّهُ تمتعَ كثيراً بالاستلقاءِ والتفرجِ على فيلمٍ داخلَ عقلِهِ معروضٍ على شاشةِ عينيهِ .. معَ التمتعِ بإحساساتي الداخليةِ التي تعملُ كأنَّها بهاراتٌ للوجبةِ.

أثناءَ التفرجِ على الأفلامِ كنا نستعملُ بنجاحٍ كلَّ أنواعِ ظواهرِ PSI (نقلٌ للأفكارِ والأحاسيسِ والصورِ والكلامِ الذهنيّ والرؤيةِ من بعدٍ).

التجربةُ الثالثةُ: منَ الشارعِ القريبِ الذي يبعدُ 50 متراً:

عندَ تفكيرِنا بتدوينِ التجربةِ من على بعدِ 50 متراً .. قررنا إعادتَها بالتدريجِ كما في التجربةِ الأولى .. بدأنا بالكلامِ الذهنيّ .. فلما نجحتِ التجاربُ بنسبةِ 100 %. انتقلنا إلى تدوينِ الصورِ .. كانتِ الصورُ عشوائيةً من ملفٍ في الحاسوبِ يحوي أكثرَ من 3000 ثلاثةِ آلافِ صورةٍ .. ينجحُ إسحاقُ دائماً في أكثرَ من عشرةِ صورٍ .. بعدَها نوقفُ التجربةَ .. كنا نمرُّ بسرعةٍ لأنَّ نجاحَ التجربةِ بطريقةٍ تلقائيةٍ فقدَ بريقَ الفرحةِ بهِ منذُ مدةٍ .. فكنا نحاولُ المضيَّ قدماً حتى حصرِ المسافةِ التقريبيةِ لكلِّ نوعٍ من هذهِ الظواهرِ.

كلُّ الظواهرِ من هذهِ المسافةِ ناجحةٌ .. بما فيها نقلُ الفيلمِ - أوِ المشاهدةُ المشتركةُ للأفلامِ - ما على إسحاقَ إلا الجلوسُ بهدوءٍ مطأطئاً رأسَهُ قليلاً متجهاً بعينيهِ لأسفلَ الجهةِ اليمنى .. محاولاً التركيزَ حتى يعملَ رابطاً بينَهُ

وبيني ليصلَ إلى إحساسي (وفي لغةِ قراءةِ العيونِ فإنَّ النظرَ لأسفلَ دليلُ التركيزِ).. وليسمعَ ما أقولُ .. ويفهمَ كلَّ شيءٍ .. ليسَ للقيامِ بهذهِ الأفعالِ دلالةٌ على صعوبةِ إنجاحِ التجربةِ ولكنَّهُ ليتخلصَ من تشويشاتِ محيطِهِ.

التجربةُ الرابعةُ: بعدَ عدةِ شوارعَ من مسافةِ 150 متراً:

كنّا من قبلُ نستطيعُ أن نتحادثَ ذهنياً بشكلٍ عاديّ .. لكن كلما ازدادَ إسحاقُ ابتعاداً عن غرفتي أخذَ ردُّهُ عليَّ ذهنياً يقلُّ وضوحاً .. في المقابلِ لم يتأثرْ وصولُ صوتي إلى ذهنِهِ - بالإضافةِ إلى صوتِ من يكلمُني ذهنياً عن قربٍ في بعضِ الأحيانِ - لذلكَ لسماعِ صوتِهِ .. كنتُ أستعينُ بأمرِهِ بالكلامِ بصوتٍ عالٍ قليلاً في الهواءِ لأسمَعَهُ - مستغلاً زيادةَ حاسةِ سمعي - لذلكَ كانتِ المسافةُ اللازمةُ لنجاحِ الكلامِ الذهنيّ تتأثرُ بعدةِ عواملَ:

- حينَ لا أبرحُ غرفتي ننجحُ بالأخذِ والردِّ ذهنياً لمسافةٍ تزيدُ عن 50 متراً بعدَها يستمرُّ هوَ فقط بسماعِي .. فلا أسمعُهُ إلا إذا تكلمَ - كلاماً عادياً - رافعاً صوتَهُ قليلاً.

- أما حينَ جلوسي في شرفةِ منزلي أو في الساحةِ الخارجيةِ لهُ - أي في الهواءِ الطلقِ - فتزيدُ تلكَ المسافةُ إلى ما بينَ 100 إلى 250 متراً

.. بعدَها يستمرُّ بسماعِي فقط .. فلا أسمعُهُ إلا عندما إلا إذا تكلمَ - كلاماً عادياً - بصوتٍ أقوى قليلاً.

- بالإضافةِ إلى عاملِ الليلِ والنهارِ فسكونُ الليلِ يزيدُ نقاوةَ الصوتِ وبالتالي تظهرُ لنا زيادةٌ في المسافةِ.

كلُّ تجاربِ المرحلةِ السابقةِ كانتْ مدونةً وموثقةً في نفسِ الوقتِ بشكلٍ ناجحٍ كما في سابقاتِها منَ التجاربِ.

أما فيما يخصُّ انتقالَ الأفكارِ فهيَ من جانبٍ واحدٍ - إلا في حالاتٍ شاذةٍ سيأتي ذكرُها فيما بعدُ - أي من جانبي أنا المرسلِ فقط .. تابعنا التدوينَ بنجاحٍ واتضحَ أنَّهُ لا وجودَ لمشكلةٍ أمامَ انتقالِ أفكاري وأحاسيسي حتى بعدَ ابتعادِ إسحاقَ عن منزلي لأكثرَ من 250 متراً .. لكن اتضحَ أنَّ عاملَ الهواءِ الطلقِ مساعدٌ أكثرُ في انتقالِ الإحساسِ والفكرةِ.

كانَ إسحاقُ يواصلُ تدوينَ مراحلِ التجربةِ المختلفةِ .. مرحلةً بعدَ مرحلةٍ .. وفي بعضِ الأحيانِ لا أسمعُ ردَّهُ ذهنياً على سؤالي عن مدى جاهزيتِهِ لبدايةِ التجربةِ لكونِهِ ابتعدَ كثيراً .. فأطلبُ منهُ - بأمرٍ ذهنيٍّ لفظيٍّ - أن يرنَّ لي على هاتفي رنةً واحدةً ويقطعَ الاتصالَ .. كانتْ تلكَ هيَ كلمةَ السرِّ بيننا .. حينَ وصولِ رنتِهِ يبدأُ التدوينُ لكلٍّ منَ الهدفِ

والوقتِ .. بدأنا بتسجيلِ نجاحِ وصولِ الصورِ .. واصلنا تكرارَ التجربةِ حتى الوصولِ إلى 10 عشرِ صورٍ .. وككلِّ مرةٍ كانَ النجاحُ حليفَنا .. عندها كلمتهُ ذهنياً أنني أريدُ استعدادَهُ لبدءِ تجربةِ انتقالِ الفيديو أو الأفلامِ .. رنَّ هاتفي معلناً بدايةَ التجربةِ والتدوينِ .. استعنتُ بملفٍ في الحاسوبِ يحوي أكثرَ من 100 مئةِ فيديو كليب لمختلفِ الفنانينَ العربِ كالشابِ خالد وحسني ومامي والزهوانيةِ والهاشمي قروابي وغيرِهم منَ الجزائريينَ المشهورينَ وبعضِ الفيديوهاتِ المشرقيةِ لإليسا وكاظمِ الساهرِ وديانا حداد وأصالة ونانسي ووائل وراغب وغيرِهم ... إلى أن وصلتُ إلى فيديوهاتٍ غربيةٍ لإيمينام وفيفتي سانت وبوبا وريهانا وغيرِهم ... كنتُ أتعمدُ المشهورينَ لكي يستطيعَ التعرفَ عليهم .. نجحتِ التجربةُ نجاحاً مبهراً كالعادةِ .. سجلنا نفسَ المعلوماتِ لاسمِ الفنانِ واسمِ الأغنيةِ ووقتِ البدءِ في الاستماعِ إليها .. واستمرتِ التجربةُ لأكثرَ من عشرةِ فيديوهاتٍ .. كانَ فيها وصولُ كلٍّ من (الفيديوهاتِ والإحساسِ وكلامي الذهنيِّ) وصولاً نقياً صافياً من على بعدِ أكثرَ من 250 متراً.

التجربةُ الخامسةُ: مِن على بُعدِ 8 كيلومتراتٍ

كانَ كلُّ مَن هو حاضرٌ في دائرةٍ مركزُها أنا ونصفُ قطرِها أكبرُ مِن 150 مترًا يستطيعُ التَّحادثَ ذهنيًّا معي ومع كلُّ مَن يريدُ أن يتحادثَ،

بشرطِ أن أكونَ في وسطِ الشارعِ في الهواءِ الطلقِ. تيقَّنَ الكلُّ مِن نجاحِ التجربةِ لأبعدِ الحدودِ، ومِن كلِّ مكانٍ مهما بلغتِ المسافةُ. وهذا ما شجَّعَنا على تدوينِ تجربةٍ مِن على بُعدِ 8 كيلومتراتٍ.

كانت بلديةُ "بن عزوز" في ولايةِ سكيكدةَ الواقعةِ شرقَ الجزائرِ هي مقرَّ إقامةِ التجربةِ، أمَّا إسحاقُ فقد توجَّهَ لمدينةِ "بومعيزة" التي تبعدُ عن مركزِ البلديةِ بالمسافةِ المذكورةِ. قرَّرنا لإنجاحِ التجربةِ الاستعانةَ بالهاتفِ النقالِ لنقلِ الأوامرِ (بالبدءِ أو الانتهاءِ مِن التجربةِ)، لكنَّنا تفاجأنا بمعلومةٍ جديدةٍ، وهي أنَّ إسحاقَ حينَ يكلِّمُني بالهاتفِ يستطيعُ أن يوصلَ لي كلامَهُ الذهنيَّ عبرَ الهاتفِ ويسمعَ معهُ كلامي الذهنيَّ أيضًا. فرحنا بهذه النتيجةِ ودوَّنَّاها مع النتائجِ.

ككلِّ مرَّةٍ، استطاعَ إسحاقُ سماعَ كلامي الذهنيَّ، وتسجيلَ إحساسي وفكرتي، كما استطاعَ تسجيلَ عدَّةِ صورٍ كانت مِن بينِها صورُ رؤساءِ الجزائرِ مِن "بن بلة" إلى "بوتفليقة". وبعدَها نجحَ في تسجيلِ الفيديوهاتِ بأسماءِ مطربيها وأسماءِ أغانيها وميقاتِ البدءِ في الاستماعِ إليها. كانت التجربةُ ممتعةً، ولم يَزَلْ مفعولُ المعجزةِ قائمًا.

تنبَّهَ إسحاقُ لشيءٍ مهمٍّ؛ فمِن خلالِ ملاحظتِهِ الدقيقةِ استنتجَ أنَّهُ لا يستطيعُ -مثلًا- قراءةَ كلِّ ما يوجدُ في الصورةِ مِن أرقامٍ أو كلماتٍ إنْ أنا

لم أركِّزْ عليها جيدًا وأقرأُها بلساني أو بعقلي، وكانت هذه النتيجةُ مفيدةً لي. أمَّا الصورةُ فيستطيعُ فهمَها لأنِّي حينَ أُسقِطُ عليها نظري تنتقلُ معلوماتُها مِن عقلي إلى عقلِه تخاطريًّا في نفسِ الوقتِ؛ لنقلْ نفسَ الوقتِ لأنَّنا لم نستطعْ حسابَ سرعةِ التخاطرِ التي بدتْ مشابهةً لسرعةِ الضوءِ. فتركيزي في الصورةِ يجبُ أن يزيدَ وقتُهُ عن ثانيةٍ أو اثنتينِ لأتمكَّنَ مِن الإحاطةِ بفهمِ الصورةِ جيدًا.

برزَ مع تدقيقِ الملاحظةِ ما يلي: فمثلًا، عندَ رؤيتي لصورةِ الراحلِ "هواري بومدين"، أركِّزُ فيما يجري في عقلي داخليًّا، فأجدُ كأنَّهُ توجدُ فكرةٌ لاسمِ صاحبِ الصورةِ تريدُ أن تُنطَقَ؛ إذًا فمعرفتُهُ بماهيَّةِ الصورةِ تعتمدُ على انتقالِ الفكرةِ بالدرجةِ الأولى. لهذا لاحظتُ أنَّ عدمَ تركيزي في رقمٍ معيَّنٍ أو كلمةٍ أو جملةٍ، أو حتَّى عدمَ فهمي لصورةٍ معيَّنةٍ، يؤدِّي بالضرورةِ إلى عدمِ فهمِ إسحاقَ لها.

وبدراستي لهذا الموضوعِ وجدتُ أنَّني حينَ أركِّزُ في كلمةٍ كأنَّ دماغِي ينطقُها بصوتٍ خافتٍ جدًّا لا يُسمعُ بل يُحسُّ؛ وهذا هو السرُّ. ففي أجزاءٍ مِن الثانيةِ أرى الحروفَ فتنتقلُ إلى دماغي معلوماتُ كلِّ حرفٍ وطريقةُ كتابتِهِ ونطقِهِ. أمَّا الصورةُ فالأمرُ أكثرُ تعقيدًا؛ فكلُّ صورةٍ تحملُ مئاتِ الألوانِ ومواقعَها، وتنتقلُ عبرَ الشبكيةِ إلى الدماغِ مع مفهومِ

الصورةِ العامِّ في أجزاءٍ مِن الثانيةِ. وعندما يضعُ لها عقلي عنوانًا في ذلك الوقتِ الوجيزِ، ينتقلُ العنوانُ مع الصورةِ تخاطريًّا ويصبحُ لما يراهُ المستقبلُ معنىً.

بناءً على ذلك، فلو حاولتُ بعثَ كلمةٍ مكتوبةٍ لإسحاقَ وأخطأتُ -غيرَ عامدٍ- في قراءتِها بالنظرِ إليها فقط، فسيخطئُ إسحاقُ أيضًا في استقبالِها وتدوينِها، لأنَّ ما يصلُ إليهِ هو "فكرتي" أنا حولَ الموضوعِ وليسَ الواقعَ المجرَّدَ.

برهنةُ انتقالِ الفكرةِ: أساسُ التخاطرِ والرؤيةِ عن بُعدِ

إذَا بُرْهِنَ هُنَا أَنَّ انتقالَ الفكرِ هوَ أساسُ التخاطرِ والرؤيةِ عن بُعدِ، فلَا يُعَدُّ نجاحُ كلِّ تلكَ الظواهرِ في كلِّ تلكَ التجاربِ السابقةِ إلَّا نجاحًا لانتقالِ الفكرةِ العامةِ للموضوعِ المُرادِ التيقُّنُ مِن إرسالِهِ. وهذَا بالرغمِ مِن أنَّ الأمرَ يبدو في البدايةِ أنَّ أساسَ انتقالِ كلِّ تلكَ الظواهرِ هوَ الكلامُ الذهنيُّ.

استنتجتُ ذَلكَ مِن دقةِ الملاحظةِ والاستماعِ جيدًا لِمَا يحدثُ في عقلي داخليًّا، حَيْثُ تيقَّنْتُ أنَّ فكرتي تُنطَقُ داخليًا وتُسْمَعُ تخاطريًّا، سواءً أكنتُ أهُمُّ بالبوحِ بِهَا بشفتيَّ أمْ لَا. تترجمُ معظمُ تركيزاتي في المواضيعِ إلَى كلامٍ داخليٍّ يُسْمَعُ تخاطريًّا، وذلكَ بشكلٍ إراديٍّ؛ أيْ أنَّ عقلي

الباطنَ يحاولُ دائمًا التعليقَ علَى المواضيعِ التي أُمعنُ النظرَ فيهَا، لَكِنْ إنْ شئتُ إخراصَ هَذَا التعليقِ وعدمَ السماحِ لَهُ بالنطقِ، يكونُ الأمرُ أسهلَ مَا يكونُ.

التجربةُ السادسةُ: مِن علَى بُعدِ 25 كيلومترًا

أغوانَا النجاحُ المتواصلُ فقرَّرنَا الانتقالَ أبعدَ هَذِهِ المرةَ. وفي الحقيقةِ، نجاحُ التجربةِ كنَّا نعلمُ بِهِ مِن قبلُ، لَكِنْ أردنَا البرهنةَ بتدوينِ التجربةِ ووقتِهَا، فكانتِ النتيجةُ كنجاحِ تجربةٍ سحريةٍ. كلمتُ "إسحاقَ" عندَ نجاحِ التجربةِ الأُولَى بالهاتفِ وطلبتُ مِنْهُ ألا يرجعَ عِنْدِي، بَلْ يذهبَ بعيدًا إلَى بلديةِ "عزابة" التي تبعدُ عنِّي بمَا يزيدُ عَن 25 كيلومترًا.

وصلَ إسحاقُ بعدَ 20 دقيقةً لمدينةِ "عزابة"، كلمنِي بالهاتفِ وكانَ جالسًا فِي كرسيٍّ فِي مقهًى، وكانَ مجلسُهُ فِي ساحةِ المقهَى الخارجيةِ، أَيْ فِي الهواءِ الطلقِ. رنَّ لِي معلنًا بدايةَ التجربةِ، فخرجتُ إلَى الفناءِ الخارجيِّ وقلتُ لَهُ مكلمًا إيَّاهُ ذهنيًّا: (أشعلْ سيجارةَ "مارلبورو" واشربْ قهوتَكَ). اتصلَ بِي مباشرةً وقالَ لِي جُملَتِي وهُوَ يضحكُ، واتضحَ أنَّهُ سمعَهَا مباشرةً لأنَّهُ لَمْ يقطعِ الاتصالَ مَعِي ذهنيًّا بتاتًا.

تكررتْ تجربةُ الكلامِ الذهنيِّ، وكنَّا نتكلمُ باللهجةِ العاميةِ الجزائريةِ. أتممنَا الشطرَ الأولَ بنجاحٍ، غيرَ أنَّهُ فِي كلِّ مرةٍ يتصلُ بِي ويقولُ لِي الجملةَ

صحيحةً، ولَكِنْ يعجزُ بعضَ الشيءِ عَنِ التعبيرِ عَن مشاعري وأحاسيسي أثناءَ إرسالي لَهَا، كأنْ يقولَ لِي -مثلًا-: قلتَ ذَلِكَ وأنتَ تستهزئُ، أو وأنتَ غاضبٌ، أو وأنتَ سعيدٌ، أو وأنتَ جازمٌ بصحةِ مَا تقولُ، وغيرَ ذَلِكَ مِن الأوصافِ لإحساسي ونفسيتي أثناءَ كلامِي الذهنيِّ المرسلِ لَهُ.

أصبحَ الهاتفُ وسيلةَ اتصالِنَا، فانتقلنَا مباشرةً للعبةِ الفيديوهاتِ. قلتُ لَهُ فِي الهاتفِ: سأختارُ فيديو وأتفرجُ عليْهِ، وعندَ إيقافي لَهُ اتصلْ بِي. وكانَ ذَلِكَ، فَلَمْ يلبثْ بعدَ إيقافي لَهُ بدقيقةٍ إلَّا واتصلَ بِي قائلًا: (La CAMEL) للشابِ خالدٍ. وقالَ متابعًا: كُنْتُ أسمعُهَا وأرَى الشابَ خالدًا بالبرنوسِ الأصيلِ وكلَّ تفاصيلِ الفيديو كليب، بالإضافةِ إلَى إحساسي بالنشوةِ المصاحبةِ للفيديو. نعم، لَقَدْ أحسَّ بمشاعري المصاحبةِ. أعدنَا التجربةَ وكانتْ ناجحةً أيضًا، ثُمَّ أفلَ إسحاقُ عائدًا للمنزلِ حاملاً مَعَهُ تدوينَ كلِّ التجاربِ الماضيةِ.

ملاحظاتٌ حولَ الأنماطِ الإدراكيةِ للتخاطرِ

عندما أَتَى إسحاقُ ودخلَ عليَّ وأعطانِي كراسةَ التدوينِ، وجدتُ ملاحظةً كبيرةً كتبَ فيهَا: (أَتَعْلَمُ أنَّ كلامَكَ هوَ أشدُّ مَا نجحَ فِي الوصولِ، أكثرَ مِنْ أيِّ شيءٍ آخرَ؟ صوتُكَ لَا يتكلَّفُ مِنْ أيِّ شخصٍ إمعانَ التركيزِ، بخلافِ الصورِ والأفلامِ التِي كانتْ تهدفُ فِي العينينِ مفاجئةً إيَّاكَ. فِي

أولِ الأمرِ لَا تفهمُ مَا هَذَا، وبعدَهَا بإمعانِكَ التركيزَ قليلًا تفهمُ الموضوعَ وتواصلُ بمجردِ الانغماسِ فِي التركيزِ التفرجَ بدونِ انقطاعٍ، كأنَّكَ بتركيزِكَ ذَاكَ قمتَ بوصلِ سلكِ اتصالٍ بينَكَ وبينَ المُرسِلِ - أنَا -. لذلكَ كنتُ أَتِيهُ كثيرًا فِي طريقِي، لَكِنَّكَ حينَ تُكلِّمُ أحدَهُمْ ذهنِيًّا كنتُ أسمعُ حديثَكُمَا. وعندَ تكلُّمِكَ بصوتٍ عالٍ - صوتِي العاديّ - كنتَ كَمَنْ يوقظُنِي مِنْ تِيهِي، وكأنَّ المتكلِّمَ بجوارِي وأنَا مِنْ أشدِّ سامعيهِ).

ملاحظاتُهُ قيِّمةٌ جدًّا لدرجةِ شرحٍ لِي مَا لَمْ أكنْ أصلُ إليهِ بتفكيري. فرحتُ كثيرًا بنجاحِ مسعَانَا، وفتحتِ النتائجُ المؤكدةُ الآفاقَ أَمَامِي لأذهبَ بعيدًا بتجاربِي، ولَكِنْ هَذِهِ المرةَ كنتُ أنَا مَنْ سيسافرُ وعندَ الوصولِ سأحاولُ تجريبَ مراحلِ تجربتِنَا.

التجربةُ السابعةُ: مِنْ علَى بُعدِ 1200 كلم

كانتْ ظروفُ عملِي تحتمُ عليَّ الذهابَ إلَى ولايةِ "تلمسان" التِي تبعدُ عَنْ ولايةِ "سكيكدة" بحوالي 1200 كلم. ركبتُ الحافلةَ متوجهًا نحوَهَا علَى الطريقِ السيَّارِ الجديدِ شرق-غرب. استمرتِ الرحلةُ 15 ساعةً للوصولِ. وصلتُ متعبًا جدًّا، وَمَا كدتُ أصلُ علَى الساعةِ السابعةِ صباحًا حَتَّى

استسلمتُ للنومِ حَتَّى منتصفِ النهارِ. مَا كدتُ أُفِيقُ جيدًا مِنْ نومي حَتَّى رنَّ هاتفي، إنَّهُ إسحاقُ، كنتُ أفكرُ فِيهِ لحظةَ استفاقَتِي.

قالَ لِي كالسابرِ لأغوارِ عقلِي: "+كنتَ تفكِّرُ بِي فاتصلتُ بِكَ+". قلتُ لَهُ: "+وكيفَ ذَلِكَ؟+". قالَ: "هَذَا الشعورُ أعرفُهُ جيدًا، أعرفُهُ مِنْ قبلِ أَنْ يصبحَ لعقلِكَ مثلُ هَذِهِ القوةِ. كَانَ كأَنَّهُ شعورٌ يَهِبُّ عليَّ فجأةً، كلُّ شيءٍ فِيَّ يَحُثُّنِي علَى الاتصالِ بِكَ، قلبِي مَلِيءٌ بِكَ، كأَنَّ خوفًا عَلَيْكَ يعتريني، أُحِسُّ كأَنَّكَ تنادِينِي. أمَّا الآنَ فبالمناسبةِ فَقَدْ ألممتُ ببعضِ المعلوماتِ أودُّ أَنْ أتكلَّمَ معكَ فيهَا". قلتُ لَهُ: "كلِّي آذانٌ صاغيةٌ". قالَ: "إنَّ الأمرَ يجري فِي بعضِ الأحيانِ كأَنَّكَ بجانبي، حَتَّى إنِّي شككتُ أنَّكَ لَمْ تبْرَحْ مكانَكَ". سألتُهُ: "متَى كَانَ ذَلِكَ؟". قالَ: "طولَ الليلِ أسمعُ، وفِي بعضِ الأحيانِ - أظنُّكَ تكونُ عندَهَا فِي مكانٍ مُضَاءٍ - أَرَى، ولَكِنَّنِي لَا أَفْقَهُ مَا أرَى. لَكِنَّ الأمرَ لَا يكونُ متواصلاً، يكونُ متقطِّعًا - أحيانًا لفترةٍ طويلةٍ - لساعاتٍ. لِذَا، مَتَى نقومُ بالتجربةِ؟". قلتُ لَهُ: "بعدَ قليلٍ"، وأقفلتُ الخطَّ.

تناولتُ وجبةَ الغذاءِ وأحضرتُ كوبَ الشاي وصعدتُ إلَى سطحِ المنزلِ الَّذِي كنتُ أَبِيتُ فِيهِ. اتصلتُ بإسحاقَ علَى أملِ ابتداءِ التجربةِ. رفعَ السماعةَ وصدمنِي أنَّهُ فِي هَذِهِ اللحظاتِ لَا يُحِسُّ وَلَا يسمعُ شيئًا -

خصوصًا لَا يسمعُ شيئًا - وأيضًا لَا يَرَى شيئًا. وقالَ أَنَّهُ سيكلِّمِنِي مَتَى رَجَعَ الحالُ كَمَا كَانَ.

استمرَّ الحالُ كَذَلِكَ إلَى مغربِ الشمسِ حِينَ سمعتُهُ يكلِّمِني تخاطرِيًّا. ذُهِلْتُ لِمَا جَرَى. كلمتُهُ بالهاتفِ علَى الفورِ. أجابنِي: "+سبحانَ اللهِ، لقدْ كنتُ أنَا مَنْ أُكلِّمُكَ+". إذًا، قلتُ لَهُ: "+حتَّى فكرةُ سؤالِكَ وصلتْكَ؟+". أجابنِي يضحكُ وقالَ: "+كأنَّكَ بجانبي، حَتَّى إنِّي سمعتُ الناسَ التِي كانتْ تكلِّمُكَ، وحديثُكُمْ هوَ الَّذِي حثَّنِي علَى تجريبِ المشاركةِ ككلِّ مرةٍ+".

موجةُ الصوتِ الذهنيِّ: شبكةُ اتصالٍ جماعيةٍ

وفاجأني أنَّ الناسَ هناكَ - حيثُ إسحاقُ - يركبونَ موجةَ صوتِي كعادتِهِم، ويغتنمونَ الفرصةَ ويتحادثونَ ذهنِيًّا عَن بُعدٍ كأنِّي بجوارِهم. وأضحكنِي حينَ قالَ: (أظنُّ أنَّ كلَّ الجزائرِ مِن الَّذينَ يسمعونَ صوتَكَ ذهنِيًّا يستغلُّونَ الفرصةَ ويركبونَ أصواتَهُمْ لموجةِ كلامِي الذهنِيِّ ويتحادثونَ ذهنِيًّا).

إذًا، هَذِهِ هِيَ نتيجتُنَا الجديدةُ: كلُّ مكانٍ يصلُ إليهِ صوتِي الذهنيُّ، يستطيعُ كلُّ مَنْ يريدُ أنْ يستغلَّ الجوَّ الَّذِي أصبحَ تخاطرِيًّا، ويتشاركُ مَعَ القريبِينَ مِنْهُ كلامًا ذهنِيًّا، بدونِ حتَّى أنْ أسمعَ أنَا كلامَهُم.

التجربةُ تحتَ الماءِ وتوسُّعُ النطاقِ الجغرافيّ

كانتْ إقامتِي فِي ولايةِ "تلمسان" فِي أقصَى غربِهَا الساحليّ، علَى الحدودِ المغربيةِ، فِي مدينةٍ تُدعَى "مرسى بن مهيدي" تمتعُ بشواطئِهَا الساحرةِ. استمرتْ إقامتِي لأسبوعٍ، ولكونِنَا فِي منتصفِ شهرِ جوانَ، كَانَ يومُ صيفيٌّ حارٌّ. حملتُ نفسِي وأقبلتُ علَى أجملِ شاطئٍ فِيهَا - شاطئُ الصخرةِ أو "لاموسكاردا" - وكانتِ المفاجأةُ حينَ سباحتِي أنَّ جميعَ ظواهرِ الـ PSI صالحةٌ مِنْ تحتِ الماءِ. أثناءَ غطسِي تحتَ الماءِ لَمْ تنقطعْ محادثاتِي الذهنيةُ مَعَ بعضِ المصطافينَ، وخاصةً الأطفالَ مِنْهُم، فقدْ أعجبتْهُمْ رؤيةُ قاعِ البحرِ بعينِي فِيمَا أستمرُّ بالتقدمِ سابحًا كسمكةٍ، يعلّقونَ تخاطرِيًّا علَى مَا أجدُهُ تحتَهُ مِنْ أصدافٍ وغيرِهَا.

أضحكتْنِي يومهَا بعضُ المحادثاتِ الذهنيةِ لبعضِ المصطافاتِ علَى الشاطئِ، كانتْ مغتربةً فِي إسبانيا، قالتْ لِي: "إنَّ أقرباءَهَا كلَّمُوهَا أنَّهُمْ يرونَنِي ويسمعونَنِي هَذِهِ الأيَّامَ فِي إسبانيا وأنَّهُمْ فِي أشدِّ الحيرةِ مِنْ ذَلِكَ". وآخرُ قالَ: "إنَّ أصدقاءَهُ فِي المغربِ كَذَلِكَ". أصابونِي ببعضِ الفضولِ: إلَى أيِّ حَدٍّ يُمْكِنُ أَنْ تصلَ المسافةُ؟ بعدَهَا تذكرتُ أنَّ إسحاقَ يبعدُ عنِّي بمسافةٍ تعادلُ خمسةَ أضعافِ البُعدِ بينِي وبينَ إسبانيا، وحتَّى فرنسا أقربُ مِنْهُ إليَّ.

تحليلُ شروطِ الاستقبالِ: الغانزفيلد والتركيزُ

أخذتْنِي الأفكارُ بعيدًا، سرحتُ فِي أنَّنِي أيضًا فِي موقعِي بجانبِ إسحاقَ فِي الطرفِ الآخرِ بجوارِ الحدودِ التونسيةِ، يستطيعُ سكانُ تونسَ وإيطاليا وليبيا مِنْ سماعِي ورؤيتِي (رؤيتِي لأنَّ هَذَا هوَ التعبيرُ المختصرُ الَّذِي يَحْلُو للناسِ إطلاقُهُ علَى نجاحِ ظاهرةِ الرؤيةِ عَن بُعدٍ). لَا يتطلبُ الأمرُ مِنْهُمْ إلَّا أَنْ يتيهُوا ويسرحُوا بالهَمِّ قليلاً أَوْ أَنْ يسترخُوا أَوْ يقبلُوا علَى النومِ، إلَّا ويتفاجئُوا بسماعِهِمْ لكلامِي الذهنيِّ والعاديِّ بالإضافةِ لتمكُّنِهِمْ مِنَ الرؤيةِ أيضًا.

الشروطُ البسيطةُ لنجاحِهِمْ فِي الاستقبالِ تؤيدُ النتائجَ التِي خلصَ إليهَا أوائلُ العلماءِ الدارسينَ لـ "الغانزفيلد" (Ganzfeld) والتخاطرِ، الَّذِينَ استنتجُوا شرطَ الاسترخاءِ فِي المستقبلِ. أمَّا شرطُ المُرسِلِ (التركيزُ لعشرةِ دقائقَ علَى الأقلِّ) فهوَ شرطٌ أظنُّ أنَّنِي تجاوزتُهُ بالتعودِ علَى الأمرِ، فأصبحَ التركيزُ يفيدُ فِي تتابعِ نقلِ الفيلمِ - مَا يفسِّرُ أنَّهَا أكثرُ الأُمورِ المرسلةِ نجاحًا بالرؤيةِ مِنْ بُعدٍ.

شروطُ الإرسالِ والاستقبالِ: دورُ التنبهِ الأدرينالِيِّ والكولينيِّ

أمَّا الشروطُ التِي برهنتْهَا تجاربُ "يوهاريش"، فَفِي حالِ توفُّرِهَا يكونُ النجاحُ أقوَى وَلَا يُعْدَمُ فِي حالِ عدمِ توفُّرِهَا. أَيْ عندما أكونُ فِي وضعٍ

متأزّمٍ – أوْ تنبُّهٍ أدرينالِيٍّ (Adrenergic Arousal) – يكونُ الإرسالُ أقوَى بأضعافٍ مِنَ الحالةِ العاديةِ. وأكثرُ أنواعِ التَّأزُّمِ التِي جُرِّبَتْ بشكلٍ عفويٍّ بدونِ ترتيبٍ مِنْ قَبْلُ هِيَ: حالاتُ غضبِي وتوتُّرِي وقلقِي ومرضِي وَمَا يصاحبُ المرضَ مِنْ حالةِ يأسٍ، حَتَّى خوفِي مِنْ أيِّ أمرٍ ماديٍّ أوْ معنويٍّ كعدمِ وصولِي فِي الوقتِ المحددِ لِمكانٍ محددٍ. كانتْ كلُّ هَذِهِ الحالاتِ وغيرُهَا تزيدُ علَى مَا يبدو تنبُّهِي الأدرينالِيَّ، فتثبتُ صحةَ تقويةِ الإرسالِ.

أمَّا المستقبلُ فيشتركُ مَعَ تجاربِ "الغانزفيلد" فِي شرطِ الاسترخاءِ، لأنَّ الاسترخاءَ يفرزُ بالضرورةِ تنبُّهًا كولينِيًّا (Cholinergic Arousal). بَلْ يتعدَّاهُ فِي حالةِ تأزُّمِي إلَى شرطِ أَنْ يكونَ المستقبلُ عاديًّا فقطْ لينجحَ استقبالُهُ، كَأَنْ يكونَ جالسًا فِي مقهىً أوْ فِي سيارتِهِ أوْ يأكلُ أوْ يتمشَّى أوْ فِي دكَّانِهِ أوْ علَى مكتبِهِ، وغيرِهَا مِنَ الحالاتِ التِي يشغلُهَا الإنسانُ العاديُّ.

فرضيةُ الموجاتِ الصوتيةِ القويةِ والصدى الذهنِيِّ

استخلصتُ مَعَ الأيَّامِ أنَّهُ كلَّمَا كَانَ توتُّرِي زائدًا زادتْ قوةُ جميعِ ظواهرِ الـ PSI، فتصلُ حالتِي كاملةً للمستقبلينَ العاديِّينَ (إحساساتِي وأفكارِي والموضوعُ بكاملِهِ وصورُ مُحِيطِي أوْ فيلمُ رؤيتِي للمحيطِ الكائنِ فِيهِ وكلامِي

الذهنيُّ وكلامُ المحيطينَ بِي ساعتَهَا). تنتشرُ انتشارَ الصوتِ إنْ صَحَّ التعبيرُ، وتزيدُ قوةُ توتُّرِي مِنْ ضخامةِ حِمْلِ معلوماتِي علَى الموجاتِ الصادرةِ مِنْ دماغِي. أظنُّ أنَّ الكلامَ الذهنيَّ ينتقلُ فِي موجاتٍ صوتيةٍ قويةٍ جدًّا كموجاتِ صوتِ الحوتِ الَّذِي ينجحُ فِي عبورِ مئاتِ الكيلومتراتِ مَهْمَا كانتِ الحواجزُ، تَحَازَ مَعَ هَذَا الظنِّ صحةَ فرضيةِ أَنَّ الصوتَ **أمواجٌ متنقلةٌ**[12]، والماءُ مِنْ بينِ الأوساطِ المفضلةِ لانتقالِهَا.

كانتْ وسطُ المنزلِ الَّذِي اكتريتُه للمبيتِ أشبهَ بصالةٍ كبيرةٍ كَبْرَ ثلاثِ غرفٍ. ساهمَ الفراغُ الزائدُ فِي ذَلِكَ المنزلِ فِي عِظَمِ الصَّدَى الناتجِ عَنِ استقبالِ الكلامِ الذهنيّ عَنِ القريبِينَ مِنِّي. نِمْتُ ليلتِي الأُولَى جيدًا إلَى الفجرِ، وعندَ استفاقَتِي مِنَ النومِ العميقِ، ترجعُ فَجْأَةً كَمَا هوَ معروفٌ سابقًا حالةُ الإرسالِ المتواصلِ لجميعِ الظواهرِ الساميةِ السابقةِ الذكرِ.

ديناميكياتُ الظواهرِ الخارقةِ (PSI) خلالَ مراحلِ النومِ

للإشارةِ، فإنَّ نجاحَ هَذِهِ الظواهرِ يندلعُ أثناءَ نومِي لحظةَ وصولِي إلَى آخرِ فصولِ النومِ. ونلاحظُ فِي هَذِهِ المرحلةِ رجوعَ حاسَّةِ السمعِ للإنسانِ

[12] **طبيعة الصوت:** وتنتج الموجات من جسم مهتز. ففي حالة حركة الجسم المهتز إلى الخارج، يحدث ضغط على الوسط المحيط به، فتنتج منطقة ضغط. وعندما يتحرك الجسم بعد ذلك للداخل، يتمدد الوسط في الحيز الذي كان يشغله الجسم. وتسمى منطقة التمدد هذه "تخلخلاً". وباستمرار تحرك الجسم إلى الداخل والخارج، تنتقل سلسلة من الضغوط والتخلخلات بعيدًا عنه. وتتكون الموجات الصوتية من هذه الضغوط والتخلخلات. (في الكلام، الجسم المهتز هو الأوتار الصوتية).

بخلافِ النومِ العميقِ؛ ففِي الكثيرِ مِنَ الأحيانِ تنجحُ أصواتُ أشياءَ محيطةٍ بِي فِي الدخولِ فِي أحلامِي (كمذياعٍ باتَ ليلَهُ مشتغلاً، أوْ جهازِ تلفازٍ، أوْ صوتِ منبّهٍ أوْ رنَّةِ هاتفٍ...). وبهذَا نفسّرُ نجاحَ كلِّ المحيطينَ بِي فِي الكلامِ مَعِي أثناءَ عيشِي أحلامِي أوْ رؤيايَ قبيلَ استفاقَتِي (**مرحلةُ النومِ المتناقضِ**[13] أوْ حركةِ العينِ السريعةِ - REM Sleep)، بالإضافةِ إلَى استقبالِهَا أَيْ عيشِهَا مَعِي كأنَّهَا أحلامُهُمْ. (هَذِهِ المعلوماتُ استقيتُهَا بالتجريبِ المتواصلِ مَعَ مذياعِي وبعضِ الأشخاصِ الَّذِينَ عاشَرُونِي فِي مختلفِ أمكنةِ إقامتِي).

تحليلُ الإدراكِ الواعي ودورُ العقلِ اللاواعيِّ فِي الأحلامِ

[13] **مراحل النوم:** استطاع فولكير أن يحدد سبع مراحل لما نسميه النوم، ابتداءً من حالة الوعي الضعيف حتى أعماق الكابوس المُطبق.
أولاها مرحلة انتقالية بين اليقظة والنوم، تحتشد في المخ أشعة ذات موجة طويلة تسمى (ألفا). بعد دقائق، تختلط في المرحلة الأولى الحقيقية للنوم مختلف الأنواع من الموجات، ثم تتباين الاهتزازات في الثانية والثالثة. وعندما يدخل الشخص في المرحلة الرابعة، تزداد موجات المخ تباطؤًا، وهي مرحلة النوم العميق (وهي المرحلة التي يُقطع الإرسال تمامًا فيها عمن بجواري، ولا يستطيعون أيضًا التواصل معي ذهنيًا فيها).
بعد تسعين دقيقة من النوم العميق، ندخل إلى مرحلة تُدعى "النوم المتناقض" أو "النوم الظاهري" أو "نوم حركة العين السريعة" ((REM Sleep؛ لأن موجات المخ خلاله تكون مشابهة لحالة اليقظة. تتصاعد دقات القلب فيها، ترتفع درجة الحرارة، يضطرب ضغط الدم وتتدفق الهرمونات والأحماض الأمينية، وتصبح سرعة حركات العين فيها خرافية، وينتقل نشاط المخ فيها إلى الحالة المختلطة التي تسمى الأحلام. مع تقدم الليل، يزداد الخيال العقلي كثافة في الأحلام على جميع مراحل النوم، وتتكرر حدوث حالة النوم المتناقض. ونحن عندما نستيقظ لحالنا دون مساعدة أحد أو شيء، غالبًا ما نفيق من إحدى حالات النوم المتناقض (وهذه هي المرحلة التي يسري فيها التخاطر بشكل عادي، ويستطيع من كان بإمكانه سابقًا استقبالي استقبال أحلامي كأنها أحلامه، بل ويستطيعون الكلام ذهنيًا معي أثناءه — أو الكلام مع البطل الذي أجسده في تلك الأحلام — ويستمر ذلك إلى يقظتي).

وأكثرُ مِنْ ذَلِكَ، فَفِي خضمِّ ملاحظاتِي الدائمة برزَ للعيانِ استنتاجٌ مبهرٌ: فِي آخرِ فترةِ حُلْمِي الَّذِي يسبقُ اليقظةَ، تبدأُ هُناكَ مرحلةٌ يزيدُ فِيهَا إدراكِي الواعي لسمعِي شيئًا فشيئًا. ومعَ استمرارِ الملاحظةِ الشديدةِ لعمقِ ذَاكَ الإدراكِ ومحاولةِ الفهمِ (للإشارةِ، فإنَّ محاولةَ فهمِي تكونُ بعدَ استعادةِ عقلِي الواعي لَمْسَكَ زمامَ أُمُورِي - يبدو أَنَّهُمَا هُوَ واللاواعي يتشاركانِ فِي المرحلةِ السابقةِ لليقظةِ وبعدَهَا يستلمُ الواعي أُمُورَهُ المكلَّفَ بِهَا، ويتفرَّغُ اللاوعيُّ لأُمُورِهِ المعتادةِ)، فتكونُ استنتاجاتِي مبنِيَّةً على تذكُّرِي لفصولِ الحُلْمِ.

فِي مرحلةِ مَا قبلَ الأخيرةِ التِي تسبقُ اليقظةَ، لاحظتُ بغرابةٍ مصدرَ صوتِ الشخصياتِ التِي تمثّلُ فيلمَ حُلْمِي، مصدرُهُ ومصدرُ كلامِي فِي هَذَا الفيلمِ واحدٌ، يأتِي مِنْ عمقِ الدماغِ. إنَّهُ العقلُ اللاواعي يمثّلُ كلَّ الشخصياتِ بهيئتِهَا وشخصيتِهَا وبصمةِ صوتِهَا (معتادةً أوْ غيرَ معتادةٍ)، كأنَّهُ يمثّلُ مونولوغًا مسرحيًّا متداخلاً متطورًا جدًّا. كشفتُ دهاءَهُ لأنِّي كنتُ أحسُّ بمشاعرِ كلِّ تِلْكَ الشخصياتِ، فأنَا - مثلاً - أُوجِّهُ كلامَ إهانةٍ غاضبًا لِرجلٍ، ثُمَّ أحسُّ بامتعاضِ الرجلِ مِنْ هَذِهِ الإهانةِ إحساسًا كاملاً بشعورِهِ وردِّ فعلِهِ. يتداخلُ الإحساسُ والكلامُ لشخصيتينِ أوْ أكثرَ أحيانًا بأعجوبةٍ، نعم، أعجوبةُ مقدرةِ هَذَا العقلِ.

التداخلُ بينَ الوعيِ واللاوعيِّ: ديناميكياتُ الإرسالِ التخاطريِّ

بعدَهَا تأتِي المرحلةُ التِي تسبقُ اليقظةَ مباشرةً، والتِي يضعفُ فِيهَا تأثيرُ العقلِ اللاواعي أَمَامَ الواعِي، فيزدادُ إدراكِي بحواسِّي وتنفسِي ومحيطِي أكثرَ، متداخلاً كلُّ هَذَا مَعَ الحلمِ (كأنَّهَا أحلامُ اليقظةِ). فِي هَذِهِ المرحلةِ يندلعُ تدريجيًّا إرسالُ هَذَا الحلمِ تخاطرِيًّا، فتبدأُ الأصواتُ أولاً وبعدَهَا الفيلمُ، فَأُدْرِكُ حينَهَا إدراكًا واعيًا وتخاطرِيًّا لأصواتِ المجاورينَ لِي وتعليقِهِمْ علَى الحلمِ أوْ كلامِهِمْ معِي. ويتمُّ كلُّ هَذَا بتداخلٍ رهيبٍ لَا يؤثرُ أيُّ مِنْهُمْ علَى نسقِ الحلمِ، ولَكِنِّي إنْ أردتُ إجابتَهُمْ ذهنيًّا يتوقفُ حلمِي بعدَهَا بلحظاتٍ اضطرارِيًّا، وكأنَّ سمعَهُمْ لَا يؤثرُ والردَّ عَلَيْهِمْ ذهنيًّا يؤثرُ.

سرعةُ العقلِ اللاواعيِّ والتحليلُ النفسيُّ

(للإشارةِ، فإنَّ المحيطينَ يجْزِمُونَ أنَّ معظمَ كلامِهِمْ وتدخلِهِمْ ذهنِيًّا، سواءً فِي هَذَا الموضعِ - الحُلْمِ - أوْ فِي اليقظةِ، يكونُ بطريقةٍ لَا إراديةٍ لَيْسَ باستطاعتِهِمُ التحكمُ فِيهَا. يتمُّ ذَلِكَ بسرعةٍ آنيَّةٍ وذكاءٍ أقوَى قبلَ حَتَّى هضمِ وفهمِ الموضوعِ)، (وهَذَا يفسِّرُ أنَّ العقلَ اللاواعيَّ يتَمَتَّعُ بذكاءٍ وسرعةٍ فِي الفهمِ وإبداءِ ردِّ الفعلِ والرأيِ تفوقُ كثيرًا سرعةَ وذكاءَ العقلِ الواعِي)، (أوْ أنَّهُ عقلِي الواعِي وزيادةَ قوةِ إرسالِي كشفتِ

الطريقةَ الحقيقيةَ التِي يفهمُ ويجيبُ بِهَا قبلَ أَنْ تترجمَ إلَى كلماتٍ مِنْ جهازِ الكلامِ البشريِّ، الَّذِي يعجزُ فِي بعضِ الحالاتِ عَن مواكبةِ طريقةِ التعبيرِ المبهرةِ، أوْ حَتَّى الشجاعةِ فِي قولِ مَا نطقَهُ عقلُهُ اللاواعي، وهَذَا مَا يعبِّرُ عنهُ "سيجموند فرويد" فِي قولِهِ: "+أَنْ يكونَ الإنسانُ صريحًا تمامًا مَعَ نفسِهِ هوَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ تمرينٌ جيدٌ+"، بالإضافةِ إلَى أنَّهُ يَرَى صعوبةً حَتَّى فِي صحةِ مخارجِ الحروفِ عندَ مَنْ يعانُونَ صعوبةً خِلقيَّةً فِي ذَلِكَ).

معجزةُ سماعِ ذوي الاحتياجاتِ الخاصةِ تخاطرِيًّا

وأذكرُ هُنَا أنَّهُ وبفعلِ هَذَا التخاطرِ تحققتْ معجزةٌ: أَنَّنِي أستطيعُ سماعَ كلامِ الأصمِّ والأبكمِ (كلامَهُ الذهنيَّ)، وكلامِ المخبولِ والمجنونِ الَّذِي يغلبُ بكمُهُ وسيلانُ لعابِهِ علَى حالتِهِ، وكلَّ مَنْ لَمْ ولَنْ يستطيعَ الآخرونَ سماعَهُ. فهَذَا وحدَهُ أعظمُ معجزةٍ.

ليسَ تأثُّرُ الدماغِ بالأصواتِ حينَ النومِ أمرًا غريبًا، فَهِيَ مبرهنةٌ علميًّا بالطريقةِ التاليةِ:

آليةُ استجابةِ دماغِ النائمِ للمؤثراتِ الصوتيةِ

إِنَّ النائمَ يُغمِضُ عينَيْهِ فلَا يَرَى شيئاً، وتتوقفُ لديهِ حاسةُ اللمسِ، وكذلكَ حاسةُ الشمِّ، ولكنَّ هناكَ حاسةً وَهِيَ السمعُ تبقى متنبهةً لأيِّ صوتٍ خارجيٍّ؛ لذلكَ نَرَى كثيراً مِنَ النائمينَ وهُوَ نائمٌ يَرَى حلماً تدورُ أحداثُهُ حولَ كلمةٍ أُلقِيَتْ بجانبِهِ.



فبالرغمِ مِن أَنَّ الإنسانَ وهُوَ نائمٌ لَا يشعرُ بأيِّ شيءٍ، إِلَّا أَنَّ الأذنَ تبقى تعملُ وتدخلُ إليها أيُّ ترددات صوتيةٍ وتنقلُهَا إِلَى الدماغِ، الذي يقومُ بمعالجةِ هذهِ المعلوماتِ الواردةِ.

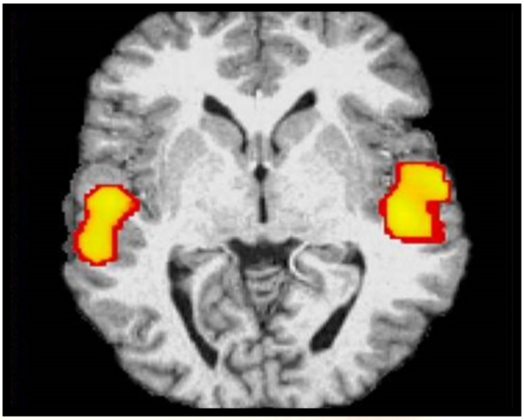
إِنَّ حاسةَ السمعِ تقومُ بالكثيرِ، بل وتحافظُ علَى التوازنِ أثناءَ النومِ؛ فالنومُ هوَ آيةٌ تستحقُّ أنْ نتفكرَ فِيهَا، وهذهِ الأذنُ سخرَهَا اللهُ لَنَا، فأقلُّ

شيءٍ نقدمُهُ كشكرٍ للهِ أنْ نستخدمَهَا لنسمعَ بها كلامَ خالقِنَا ورازقِنَا سبحانَهُ وتعالَى.

إن النائم يغمض عينيه فلا يرى شيئاً، وتتوقف لديه حاسة اللمس، وكذلك حاسة الشّم، ولكن هناك حاسة وهي السمع تبقى متنبهة لأي صوت خارجي، لذلك نرى كثيراً من النائمين وهو نائم يرى حلماً تدور أحداثه حول كلمة ألقيت بجانبه.

الدراساتُ الإشعاعيةُ والوظيفيةُ لدماغِ النائمِ

إذَا جِئْنَا بإنسانٍ نائمٍ وأجرَيْنَا عليهِ مسحاً لدماغِهِ بواسطةِ جهازِ المسحِ بالرنينِ المغنطيسيِّ الوظيفيِّ (fMRI)، فإننا نلاحظُ أنَّ دماغَهُ يستجيبُ للأصواتِ التي تترددُ بجانبِهِ، بل إِنَّ الدماغَ يعالجُ هذهِ الأصواتِ، وبالتالي يمكنُنَا أنْ نقولَ إِنَّ حاسةَ السمعِ لها عملٌ مهمٌّ أثناءَ النومِ.



تُظهِرُ صورُ الدماغِ بواسطةِ جهازِ (fMRI) أنَّ العضوَ المركزيَّ يبقى في حالةِ نشاطٍ أثناءَ النومِ، حيثُ يقومُ بمعالجةِ المعلوماتِ التي اختزنَهَا طيلةَ النهارِ وترتيبِهَا وتنسيقِهَا في خلايا خاصةٍ. وتُعدُّ الإشاراتُ الصفراءُ علَى الصورِ دليلاً علَى المناطقِ التي تنشطُ مِنَ الدماغِ أثناءَ النومِ بعدَ التأثيرِ علَى هذا النائمِ بكلماتٍ محددةٍ. طبعاً هذهِ المناطقُ تختلفُ مِن شخصٍ لآخرَ، وتختلفُ معَ نفسِ الشخصِ حسبَ حالتِهِ النفسيةِ وحسبَ الحلمِ الذي يراهُ وهُوَ نائمٌ وحسبَ الأصواتِ التي يسمعُهَا وهُوَ نائمٌ.

تأثيرُ الضغطِ الفيزيائيِّ علَى الاستقبالِ التخاطريِّ

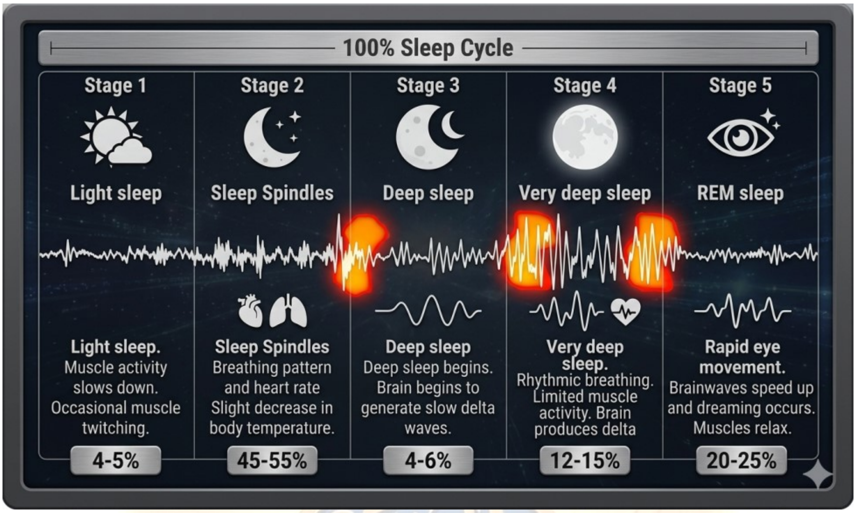
كمَا أنَّني لاحظتُ أنَّني عندمَا أضغطُ أصابعَ راحةِ يدِي علَى المنطقتينِ المتناظرتينِ لِجنبَيِ الرأسِ؛ بحيثُ يكونُ الإصبعُ الصغيرُ فِي نفسِ خطِّ العينينِ فِي آخرِ منبتِ شعرِ الرأسِ والأصابعُ الأخرى متجهةً إِلَى الأعلى،

لاحظتُ أنَّ هذهِ الطريقةَ توقِفُ استقبالِي للكلامِ الذهنيِّ للأشخاصِ، بينما يبدو أنَّهَا لَا توقِفُ إرسالِي لمختلفِ ظواهرِ الـ (PSI). وهذهِ المنطقةُ هِيَ نفسُهَا المبيَّنةُ فِي الشكلِ الأخيرِ، وتستطيعُ هذهِ الطريقةُ أَيْضاً إيقافَ استقبالِي للكلامِ الذهنِيِّ.



الخرائطُ الدماغيةُ وديناميكياتُ النومِ الموجيةِ

ويؤكدُ العلماءُ أنَّ عملَ الدماغِ معقدٌ جدًّا حيثُ يتأثرُ بالكلماتِ التي يسمعُهَا، ويحاولونَ رسمَ خرائطَ للدماغِ بهدفِ معرفةِ مَا يفكرُ بِهِ الإنسانُ، أَيْ يقومونَ بعمليةٍ عكسيةٍ، يرصدونَ نشاطَ الدماغِ لتحويلِهِ إِلَى كلماتٍ!



طالما ظنَّ الإنسانُ أنَّ النومَ عمليةٌ بسيطةٌ، ولكنْ تبيَّنَ حديثاً أنَّهَا مِنْ أعقدِ العملياتِ الطبيعيةِ التي تحدثُ؛ فقدِ اكتشفَ العلماءُ أنَّ هناكَ مراحلَ للنومِ، وأنَّ الدماغَ يطلقُ موجاتٍ كهرطيسيةً أثناءَ النومِ بتردداتٍ مختلفةٍ. ولذلكَ فإنَّ اللهَ تعالى نبَّهَنَا إِلَى هذهِ النعمةِ العظيمةِ بقولِهِ: {وَمِنْ آيَاتِهِ}، أَيْ مِنْ معجزاتِهِ، فالنومُ هو بحقٍّ معجزةٌ ونعمةٌ وآيةٌ تستحقُّ أنْ نتفكرَ فِيهَا.

نلاحظُ فِي الشكلِ خمسَ مراحلَ للنومِ، كلُّ مرحلةٍ تتميزُ بأنَّ الدماغَ يصدرُ تردداتٍ تختلفُ عَنِ الأخرى (موجاتٌ كهرطيسيةٌ)، والمرحلةُ العميقةُ هِيَ تِلْكَ التي يطلقُ الدماغُ فِيهَا تردداتٍ منخفضةً جدًّا (أقلُّ مِنْ 3 هرتز)، وهِيَ مرحلةٌ مهمةٌ للإبداعِ والشفاءِ. وهذهِ الترددات تنطلقُ

مِنْ منطقةِ الناصيةِ التي كانَ النبيُّ الأعظمُ يسلِّمُهَا للهِ تعالى فيقولُ فِي دعائِهِ: "نَاصِيَتِي بِيَدِكَ". وربما هذهِ الترددادتُ موجودةٌ فِي صوتِ القرآنِ الذي نسمعُهُ، واللهُ أعلمُ.

الربطُ بينَ الظواهرِ الطاقيةِ والتأثيراتِ غيرِ المرئيةِ

بالرجوعِ إِلَى دارسِي عِلْمِ السحرِ وهالةِ الإنسانِ، أَوْ حتَّى عِلْمِ الأحلامِ ونجاحِ الجنِّ فِي التحكمِ فِي أحلامِ الإنسانِ، يساعدُ الاكتشافُ السالفُ الذكرِ إِلَى معرفةِ طريقةٍ يمكنُ للجنِّ استغلالُهَا للتحدثِ مَعَ أيِّ إنسانٍ عاديٍّ أثناءَ استغراقِهِ فِي أحلامِهِ. وتمكِّنُ هذهِ الطريقةُ الجنَّ مِنَ اللعبِ بعواطفِ الإنسانِ وترويعِهِ والاستخفافِ بِهِ إنْ شاءُوا. وسيأتي ذكرُ ذَلِكَ آنفاً فِي بابِ "مَاذا قَالَ الدينُ".

ملاحظاتٌ إضافيةٌ حولَ الاستقبالِ والبيئةِ الفيزيائيةِ

رجوعًا إِلَى غرفتِي بعدَ عشرةِ أيَّامٍ، الأمرُ الَّذِي حيَّرنِي فِي ذَلِكَ المنزلِ هوَ قوةُ صوتِ مَنْ يتصلُ بِي ذهنيًّا فِيهِ (لعبَ الفراغُ فِي زيادةِ الصَّدَى)، كأنَّهُ يصرخُ فِيَّ. فِي فجرِ أحدِ الأيَّامِ صرخَ صوتُ إسحاقَ ينادِينِي باسمِي، تعرَّفتُ عليهِ مباشرةً، قالَ: "إنَّ الأمرَ واضحٌ جدًّا الآنَ كأنِّي قريبٌ مِنْهُ". استنتجتُ عندَ ذَلِكَ أنَّ الفجرَ وهدوءَهُ واسترخاءَ الإنسانِ التامَّ أثناءَ

استفاقَتِهِ مِنَ النومِ علَى الفراشِ (الاسترخاءُ الَّذِي يلعبُ دورَ التربةِ الخصبةِ) هِيَ العواملُ المثلى لإرسالِ واستقبالِ ظواهرِ الـ (PSI).

الحالةُ المثلى للإرسالِ والاستقبالِ: بينَ الاسترخاءِ والتركيزِ

كَانَ وصفُ إسحاقَ لحالتِهِ أثناءَ الاستفاقةِ الأُولَى مِنَ النومِ أكثرَ تعبيرًا، قالَ: "كأنَّنِي مُخَدَّرٌ ومنتشٍ لَا أقوَى علَى فتحِ عينِيَّ كاملتينِ"، تِلْكَ هِيَ الحالةُ المثلى للاستقبالِ. لَكِنْ مَا يتعارضُ مَعَ تجاربِ العلماءِ الدارسينَ لشروطِ حدوثِ كلِّ هَذِهِ الظواهرِ هوَ أنَّ حالتي فِي معظمِ الأحيانِ فِي حالةِ استرخاءٍ تامٍّ (حالتِي غيرُ متأزمةٍ وغيرُ مركزةٍ) ورغمَ ذَلِكَ أنجحُ فِي الإرسالِ. وأحسنُ مثالٍ آخرَ تجربةٌ مَعَ إسحاقَ، كانتْ حالتِي فِي حالةِ خَدَرٍ مشابهةٍ لحالتِهِ، فِي أقصَى حالاتِ الاسترخاءِ، بالإضافةِ إِلَى مثالِ الإرسالِ والاستقبالِ أثناءَ الحلمِ (إذَا كَانَ الحلمُ غيرَ مزعجٍ) حالةُ نشوةٍ ونعاسٍ. إذًا، ورغمَ صحةِ الاشتراطاتِ التِي برهَنُوهَا وجرَّبْنَاهَا شخصيًّا، نكادُ نجزمُ أنَّ **للاسترخاءِ دورًا رئيسيًّا فِي الإرسالِ ناهيكَ عَنِ الاستقبالِ**؛ لأنَّ للاسترخاءِ دورًا أساسيًّا فِي كلِّ رياضاتِ العقلِ التِي أتقنَهَا القدماءُ، ونذكرُ مِنْهَا: اليوغا، والتنويمُ المغناطيسيُّ...

بَيْدَ أنَّنِي لَا أحصرُ شروطَ النجاحِ فِي الاسترخاءِ؛ لأنَّ للتركيزِ أَيْضًا دورًا فِي قصتِي؛ لأنَّ عينِيَّ لَا تنفكانِ تتيبَّسَانِ فِي أعلَى الوسطِ أوِ اليسارِ لأسمعَ

أولاً كلامَ الآخرينَ الذهنيَّ جيدًا، ولأستطيعَ ثانياً إرسالَ كلامِي. (وبالرجوعِ لِعِلْمِ قراءةِ العيونِ، فإنَّ النظرَ لأعلَى دليلٌ علَى أنَّ الإنسانَ يصوّرُ شيئًا مِنَ الذاكرةِ). وفِي بعضِ الأحيانِ أستعملُ التركيزَ بهَذِهِ الطريقةِ وبشدةٍ لحظةَ إرسالِي لفيلمٍ ذهنيٍّ - وهُوَ الإرسالُ الَّذِي يجهدُنِي قليلاً - وهِيَ لقطاتٌ مِنْ إنتاجِ مخيلتِي حينَ أعجزُ فِي وصفِ فكرةٍ لأحدِهِمْ، أُنشِئُ مُجسَّمًا أوْ فيلمًا قصيرًا بمخيلتِي وأبعثُه لَهُ ذهنِيًّا مَعَ الكلامِ، فيفهمُ قصدِي فِي ثوانٍ معدودةٍ، بدونِ كلامٍ عاديٍّ.

التجربةُ الثامنةُ: رحلةُ الرجوعِ

لَمْ تَطُلْ مدةُ إقامَتِي فِي ولايةِ "تلمسانَ"، كانتْ أوقاتُ الاستيقاظِ مِنَ النومِ عندَ الفجرِ هيَ أوقاتَ الذروةِ. كانَ صوتُ إسحاقَ عندَهَا يصلُنِي مِنَ السماءِ، مِنْ جهةِ النافذةِ، كأنَّهَا الوسطُ الأسهلُ لاختراقِهِ، يصلُنِي قوِيًّا جدًّا كأنَّهُ عملاقٌ يكلمُنِي مِنْ فوقِ السحابِ. لَمْ يكنِ التواصلُ جَيِّدًا، لَكِنَّ إسحاقَ كعادتِهِ يشرحُ أنَّهُ فِي بعضِ الأحيانِ مِنَ اليومِ يصلُهُ الإرسالُ هوَ ومَنْ بجوارِهِ، يقولُ إنَّ الأمرَ أشبهُ بأمواجِ البحرِ، تسرِي وتسلِّمُ قواهَا وحمولتَهَا لبعضِهَا البعضِ بسرعةٍ عاديةٍ، لَكِنْ لَا أحدَ يضمنُ اتجاهَهَا والمسافةَ التِي تقطعُهَا. وعندَ هياجِي (تأزُّمِي حسبَ تجاربِ "يوهاريش") يهيجُ هَذَا البحرُ وتعظمُ وتعلو أمواجُهُ، فتنتشرُ وتسيرُ الظواهرُ

السامية لحظتَهَا بالسرعةِ القصوى، لتصلَ لأبعدِ مَا يتصورُهُ العقلُ فِي نقاوةٍ وشموليةٍ.

ركبتُ بعدَ أسبوعينِ لمدينةِ "وهرانَ" الساحليةِ (جوهرةِ الغربِ الجزائريِّ)، التِي تبعدُ 250 كيلومترًا عَنْ مكانِ إقامَتِي الأخيرِ فِي "تلمسانَ". كانتْ وجهَتِي إلَى صديقٍ لِي يُدْعَى "عبدَ الوهابِ"، لَمْ أكدْ أبدأُ حديثِي معَهُ إلَّا وحدثَنِي عَنْ كلِّ الأشياءِ التِي لَمْ تنقطعْ رؤيتُهَا وسماعُهَا عَنْ إدراكِهِ. حتَّى الأفلامُ التِي كنتُ أمضِي الوقتَ ليلاً بالتفرجِ عَلَيْهَا علَى جهازِ حاسوبِي كَانَ يشاركنِي رؤيتَهَا. حتَّى إنَّهُ شاركنِي إدراكَ ورؤيةَ طريقِ الوصولِ إليهِ؛ يحسُّهُ ويراهُ كأنَّهُ أنَا، مِنْ بدايةِ تفكيرِي فِي المضيِّ إليهِ إلَى طريقِي إلَى المنزلِ.

لَمْ تَطُلْ مدةُ مكوثِي معَهُ، وكانَ لِي عملٌ ضروريٌّ مَعَ أحدِهِمْ فِي العاصمةِ "الجزائرِ" يقتضِي مبيتِي ليومٍ واحدٍ. قصدتُ عندَ خروجِي مِنَ الفندقِ مكانِي المفضلَ فِيهَا (حديقةَ الحامّةِ)، كنتُ أنوي مراسلةَ إسحاقَ مِنْ هُناكَ. لَمْ يطلْ تحدثِي معَهُ بالهاتفِ، وكالعادةِ يستطيعُ التحدثَ معِي ذهنيًّا خلالَ الهاتفِ. أخبرَنِي أنَّ الأمرَ كعادتِهِ لَكِنَّهُ أصبحَ قوِيًّا بعضَ الشيءِ، لَا يكادُ المرءُ يكونُ تائِهًا قليلاً إلَّا ويسمعُ كلامًا ذهنيًّا فِي أذنيهِ، وعندَهَا إنْ أرادَ التركيزَ قليلاً فِي عينيهِ (لَا يحتاجُ أنْ يغمضَهُمَا)، فَلَا

يلبثُ إِلَّا ويَرَى مَا أَرَى. وهذا فِي حَدِّ ذاتِهِ معجزةٌ إِنْ أمعنَّا التفكيرَ فِيهَا، فأنتَ تَرَى مَا أَرَى ولَكِنَّكَ لَا تُعْدَمُ رؤيةَ مَا تراهُ أمامَكَ، الصورتانِ متداخلتانِ، وبيدِكَ الخيارُ أَيُّ مِنْهُمَا تريدُ أنْ تَرَى، فَلَا تحتاجُ إِلَّا أنْ تركزَ قليلاً فِي الفيلمِ الدخيلِ ليتضحَ لَكَ أكثرَ، وأثناءَ ذَلِكَ يتأثرُ انتباهُكَ لرؤيتِكَ الأصليةِ، ولَا يحتاجُ رجوعُكَ إِلَى رؤيتِكَ، إِنْ أردتَ، إِلَّا أجزاءً مِنَ الثانيةِ.

محدوديةُ الذاكرةِ العاملةِ والفروقُ الجندريةُ فِي الاستقبالِ

لَكِنَّ هُنَاكَ حالةً ثالثةً، فَمَنْ يستغرقُ فِي التفكيرِ بعيدًا بعقلِهِ مستخدمًا ذاكرَتَهُ فِي تذكُّرِ أمرٍ مَا، أَوْ مستخدمًا دماغَهُ فِي التخطيطِ لأمرٍ مَا، لَنْ يستطيعَ الاستقبالَ ولَوْ كَانَ بالقربِ مِنِّي. أَيْ أَنَّ هُنَاكَ فِي الدماغِ منطقةً تعملُ عملَ الذاكرةِ الحيةِ (RAM) فِي الحاسوبِ، تُوضَعُ فِيهَا كلُّ معلوماتِ وبرمجياتِ إدراكِكَ، إدراكُكَ لذاتِكَ وللمحيطِ الكائنِ فِيهِ، وتفكيرُكَ وسائرُ العملياتِ الدماغيةِ. يشغلُ كلُّ هَذَا هذهِ الذاكرةَ الحيةَ، فإنْ كَانَ تركيزُكَ فِي الكلامِ الذهنيِّ والرؤيةِ عَنْ بُعدٍ شَغَلَ هَذَا التركيزُ كاملَ ذاكرتِكَ الحيةِ، فَلَنْ يسمحَ لَكَ بإدراكِ شيءٍ آخرَ. هَذَا إِذَا استثنَيْنَا النساءَ، لأَنَّ نمطَ دماغِهِنَّ تشابكيٌّ، يستطعْنَ التركيزَ مَعَ عدةِ أشياءَ فِي وقتٍ واحدٍ.

ظاهرةُ الصدَى الذهنيّ وجذبِ الانتباهِ القسريّ

فِي موضوعٍ آخرَ، يستذكرُنِي موقفٌ يتكررُ حدوثُهُ مَعَ المحيطينَ بِي عَنْ قُرْبٍ (حوالي 50 مترًا)؛ علَى مستوى سمعِي تختلطُ أصواتُ كلِّ مَنْ يمرُّ فِي هَذَا المجالِ، فكلُّ مِنْهُمْ يُصدِرُ صوتاً مَا أثناءَ مرورِهِ أوْ مكوثِهِ داخلَ هَذَا الحيِّز. فِي معظمِ الأحيانِ يكونُ انتباهُهُمْ مَعَ إدراكِهِمُ العاديّ ولحظتِهِمُ الآنيةِ. فيحدثُ - مثلاً - أَنْ يصرخَ أحدٌ مِنْ علَى بُعدِ 50 مترًا بشكلٍ عاديّ (كأنْ ينادِيَ بصوتٍ عالٍ علَى بعضِ رفقتِهِ)، فينجذبُ انتباهِي إِلَى مصدرِ الصوتِ، فيسرِي الأمرُ كأنَّنِي وجهتُ إليهِ موجةً دماغيةً مركزةً، فيحسُّ كأنَّ صوتَهُ رجعَ إليهِ بلمحِ البصرِ وأقوَى وأعمقَ مِنْهُ؛ يسمعُ صدَى صوتِهِ فِي عقلِهِ. وللطرافةِ، أصبحَ يفهمُ مَنْ يسمعُ صدَى صوتِهِ أنَّنِي مركزٌ فيهِ - أوْ أنَّ فكرةَ تركيزِي فِي صوتِهِ انتقلتْ فِي لمحِ البصرِ إِلَى عقلِهِ - فيهبُنِي تركيزَهُ لَا إراديًا.

تلاشِي الاتصالِ التخاطريِّ بغيابِ القصديةِ

برجوعِنَا إِلَى رحلةِ الرجوعِ مِنَ العاصمةِ، ركبتُ ليلاً وكنتُ أتحدثُ ذهنيًّا مَعَ مَنْ أراهُ عبرَ نافذةِ الحافلةِ إِلَى أَنْ غلبَنِي النعاسُ. وعندَ وصولِي فجرًا للمنزلِ، لَمْ يستفقْ أحدٌ لحضورِي إلَّا عندَ استلقائِي فِي فراشِي. فهمتُ مِنْ هَذَا أنَّ طولَ مدةِ عدمِ الاستقبالِ - ولنسمِّهَا "عدمَ البثِّ

المباشرِ مَعَ شراكةِ الأحاسيسِ" - أنسَى الأشخاصَ (أنسَى العقولَ) الاستقبالَ رغْمَ دخولِهِمْ فِي نطاقِ البثِّ الممتازِ (بعدَ غرفةٍ أوْ جدارٍ أوْ أربعةٍ أوْ 50 مترًا ببساطةٍ)، فكلُّهُمْ ذهبَ مِنْ بالِهِمُ التركيزُ.

مِنْ رَحِمِ الملاحظةِ تولدُ الفرضياتُ

"يكفينِي أنْ أكونَ فنَّانًا يرسمُ بحريةٍ فِي مخيلتِهِ.. الخيالُ أكثرُ أهميةً مِنَ المعرفةِ.. المعرفةُ ذاتُ حدودٍ تقفُ عندَهَا.. الخيالُ يلفُّ العالمَ كلَّهُ" - ألبرتُ آينشتاينُ.

الفرضيةُ الأُولَى: نَسْخُ المعلوماتِ مِنْ هالةٍ إِلَى هالةٍ

الأمرُ المؤكدُ أنَّ مَنْ لَا يتخيلونَ وجودِي لَا يستقبلونَ، وعندَ اقترابِي بمسافةِ عشرةِ أمتارٍ - لَا يهمُّ وجودُ جدارٍ أوْ غُرَفٍ فاصلةٍ - أَصِلُ أَنَا وحولِي مَا يشبهُ هالَتِي المسجلَ فِيهَا كلُّ إدراكِي. ومَنْ يكونُ فِي حقلِ هَذِهِ الهالةِ لَا يلبثُ قليلاً إلَّا ويستقبلُ كلَّ شيءٍ. ولكلِّ إنسانٍ هالةٌ، فثبتَ لِي أنَّ الإرسالَ هوَ عبارةٌ عَنْ نَسْخٍ لكلِّ معلوماتِ إدراكِي مِنْ علَى هالَتِي إِلَى هالةِ مَنْ بجوارِي، ومِنْ هالةٍ إِلَى هالةٍ يتمُّ النسخُ بلمحِ البصرِ. ولكلِّ خَلْقٍ هالةٌ، حتَّى الجمادِ؛ حتَّى يقرأَهَا المستقبلونَ فِي هالاتِهِمْ كأنَّهَا إدراكُهُمْ. وإذَا كَانَ التأزُّمُ يزيدُ قوةَ الإرسالِ، فإنَّهُ إمَّا يزيدُ حجمَ هالَتِي بآلافِ الأضعافِ (وهُوَ الأرجحُ) أوْ يقومُ بتسريعِ الإرسالِ والنسخِ وشموليتِهِ.

وعندَ الاستقبالِ يتمُّ إنشاءُ مَا يشبهُ القنواتِ بينَكَ وبينَ الهالةِ الأُمِّ. لَا تُقَصُّ هَذِهِ القنواتُ إلَّا بابتعادِ المستقبلِ كثيرًا أوْ بالنومِ - نومِي أوْ نومِهِ - العميقِ (ولَوْ كَانَ قريبًا)، أوْ باستعمالِ ذاكرتِكَ الحيةِ بشكلٍ كلِّيٍّ فِي تركيزٍ آخَرَ لَا يسمحُ معهَا باستقراءِ إدراكٍ آخَرَ. ومَنْ يقولُ لماذا يتمُّ النسخُ مِنْ جهتِي فقطْ وليْسَ سائرَ الآخرينَ؟ أقولُ: إنَّ هَذَا النسخَ عامٌّ وموجودٌ لَا يُعْدَمُ مَا دامتِ البشريةُ، ولَكِنْ جَرَى تقويةُ آلةِ النسخِ عِنْدِي بدرجاتٍ مضاعفةٍ فقطْ.

الفرضيةُ الثانيةُ: العقلُ الباطنُ يمسكُ زمامَ الأُمورِ

"لَا تخشَ أَنْ تكونَ مختلفًا فِي الرأيِ مَعَ الغيرِ.. فكلُّ رأيٍ مقبولٍ فِي الوقتِ الحالِيِّ كَانَ يومًا مخالفًا لِمَا هوَ سائدٌ" - برتراندُ راسلُ.

حينَ اتخاذِ المثلِ المشهورِ "فكِّرْ خارجَ الصندوقِ" نبراسًا لتفكيرِي، نستطيعُ أَنْ نَرَى مِنْ زاويةٍ أُخرَى. فخلالَ ملاحظاتِي الكثيرةِ، انبهرْتُ وانبهَرَ كلُّ مَنْ حولِي بسرعةِ تعليقِي وتعليقِهِمُ الذهنِيِّ عَنْ أيِّ أمرٍ؛ لأنَّنَا أصبحْنَا نعيشُ ذهنيًّا أَنَا ومَنْ حولِي دائمًا، ولأنَّ تِلْكَ السرعةَ مخيفةٌ وغيرُ عاديةٍ، ومِنْ خلالِ بعضِ الدراساتِ، أنَّهُ العقلُ اللاواعي أوِ الباطنُ مَنْ يعلِّقُ أوْ يجيبُ أوْ يتكلمُ قبلَ أَنْ تخرجَ تِلْكَ الكلماتُ إِلَى طبقاتٍ عليا فِي العقلِ لنتكلمَ بِهَا. بالرغمِ مِنْ أنَّ كثيرًا مِنْ علماءِ النفسِ اليومَ يرفضُ بعضَ آراءِ

فرويدَ، لَكِنْ معظمُهُمْ يقبلونَ فكرَتَهُ العامةَ، وهِيَ أنَّ العقلَ اللاواعيَّ يؤدِّي دورًا رئيسًا فِي تكوينِ السلوكِ الإنسانيِّ.

إذًا، مَا نسمِّيهِ بالتخاطرِ والظواهرِ الساميةِ هِيَ عبارةٌ عَنْ عقولٍ باطنةٍ تتكلمُ مَعَ بعضِهَا البعضِ، عقولٍ ذَاتِ إمكانياتٍ خارقةٍ تتمتعُ بسرعاتٍ خرافيةٍ. تحسُّ فِيهَا أنَّ الكلامَ يُنطَقُ فِي مؤخرةِ رأسِكَ **(الفصُّ الصدغِيُّ)**[14]، وتحسُّ أَيْضًا أنَّ السرعةَ التِي تنتقلُ فِيهَا تِلْكَ الكلماتُ إلَى العقلِ الواعِي العاديِّ بطيئةٌ جدًّا. فأنتَ لَا تكادُ تنبسُ ببنتِ شفةٍ إلَّا ويعبِّرُ عقلُكَ الباطنُ بالكلامِ الذهنيِّ عَنِ الأمرِ بشكلٍ كاملٍ، لَا بَلْ إنَّهُ يستبقُ محدِّثَكَ بنطقِ مَا يعدُّهُ احتمالاً أَنْ يكونَ جوابَهُ (أَوْ قَدْ يكونُ أرسلَهُ لَكَ عقلُهُ الباطنُ).

ديناميكياتُ العقلِ الباطنِ وآلياتُ الإرسالِ الشعوريِّ

إِذًا، ببساطةٍ هِيَ قدراتُ العقلِ الباطنِ ظهرتْ للعيانِ، فحسبَ الوقائعِ والتجاربِ يبدو أنَّ الحيزَ الَّذِي يشغلُهُ العقلُ الباطنُ لَا يتخيلُهُ أحدٌ، ويبدو أنَّهُ ينكمشُ ويتمددُ. وهَذَا مَا يفسِّرُ اتساعَ وانكماشَ مسافةِ التخاطرِ والرؤيةِ

[14] **الفص الصدغي (Temporal Lobe):** منطقة في الجانب السفلي في كل من نصفي الكرة المخية. يحتوي الفصان الصدغيان على مراكز السمع والذاكرة.

عَنْ بُعدٍ، لأنَّ مَا نَرَى بأعينِنَا ونشعرُهُ ونحسُّهُ ونسمعُهُ ونشمُّهُ ونتذوقُهُ، كلُّهَا معلوماتٌ تُجْمَعُ بعدَ إدراكِهَا وتُرْسَلُ لتُفْرَزَ إِلَى العقلِ الباطنِ – وبالضبطِ إِلَى الذاكرةِ –. وحسبَ دارسِي النومِ، فإنَّ إدراكَ عقلنَا اللاواعِي أسرعُ وأشملُ مِنْ إدراكِ عقولِنَا الواعيةِ، فحسبَ التجاربِ، ثبتَ عندَ عَرْضِ مجموعةٍ مِنَ الصورِ علَى عدةِ أشخاصٍ بسرعةٍ خاطفةٍ، أَنَّهُمْ بعدَ نومِهِمْ يتعرفونَ علَى مجموعةِ الصورِ التِي عجزُوا عَنْ وصفِهَا خلالَ يقظتِهِمْ، وذلكَ مِنْ خلالِ أحلامِهِمْ فِي نفسِ اليومِ.

لِتفسيرِ حالةِ البثِّ التلفزيِّ والشعوريِّ التِي تفجرَ بِهَا عقلِي، نجدُ أنَّ هُناكَ احتمالينِ لفهمِ الصورةِ: فإمَّا أنَّ عقلِي اللاواعِي أصبحَ يتمتعُ بجهازِ إرسالٍ أقوَى (يماثلُ قليلاً جهازَ البثِّ الإذاعيِّ والتلفزيِّ، أوْ كجهازِ "فيديوفون" متطورٍ، ولكنهُ أشملُ مِنْهُ بقدرتِهِ علَى بثِّ الشعورِ والأفكارِ، وظواهرَ أُخرَى أعقدَ).

التحفيزُ العصبيُّ والارتباطُ العاطفيُّ كوقودٍ للتخاطرِ

حينَ تفسيرِ الأمرِ بالرجوعِ العكسِيِّ للتجربةِ الملاحظةِ وتصغيرِ إمكانيةِ هَذَا الجهازِ حَتَّى يتوافقَ مَعَ الإنسانِ العاديِّ – لأنِّي لَمْ أُولَدْ هَكَذَا –، نَسْتَنْتِجُ أنَّ هَذَا الجهازَ تعرضَ لتحفيزٍ زادَ مِنْ إمكاناتِهِ. ونستنتجُ أَيْضاً أنَّ لكلِّ إنسانٍ جهازَ إرسالٍ يعملُ بشكلٍ دائمٍ، ولكنَّ إرسالَهُ خافتٌ لَا

يكادُ يُحَسُّ، ويزيدُ ويتحفزُ عندَ توفُّرِ شروطٍ معينةٍ. ويستمرُّ تطورُهُ كلَّمَا استمررْنَا فِي إحداثِ الإرسالِ بشروطِهِ، والشرطُ الأهمُّ هوَ الممارسةُ والمواظبةُ بالتزامٍ.

ويُحسدُ العشاقُ الَّذِينَ يكونونَ فِي حالةِ هجرانٍ عَنْ إتقانِهِمْ بصفةٍ عفويةٍ لاشتراطاتِ التخاطرِ، فتقلبُ العاشقِ الدائمُ فِي حالةِ يأسٍ ودمعٍ يحرقُ فِيهَا الفؤادَ علَى الحبيبِ الهاجرِ، لَا يفكرُ دماغُهُ إلَّا بِهِ وبذكرياتِهِ معَهُ معه فِي لوعةٍ شديدةٍ. مَعَ هَذِهِ الحالةِ، لَا يدركُ العاشقُ أَنَّهُ يقومُ بتحفيزِ جهازِ إرسالِهِ وتقويتِهِ، فَلَا يلبثُ مَعَ استمرارِ هجرانِهِ وجرحِهِ أَنْ ينجحَ فِي إنشاءِ أوَّلِ عمليةِ إرسالٍ لمشاعرِهِ وأفكارِهِ. وبذَلِكَ يكونُ قَدْ قوَّى ونمَّى خلايا هَذَا الجهازِ أضعافًا كثيرةً (**فِي مركزِ الإدراكِ لَدَى الإنسانِ وهوَ القلبُ، وهُوَ مَا يكتشفُهُ العلماءُ اليومَ**)[15]، كَمَا ينجحُ إدمانُ حَلِّ المسائلِ الرياضيةِ المعقدةِ فِي تطويرِ المادةِ الرماديةِ فِي مخِّ الإنسانِ، فالأمرُ سيَّانٌ.

---

15 **القلب والإدراك:**

في بحث أجراه الباحثان رولين ماكراتي (Rollin McCraty) ومايك أتكينسون (Mike Mike Atkinson) وتم عرضه في اللقاء السنوي للمجتمع البافلوفي عام 1999، جاءت نتيجة هذا البحث أن هنالك علاقة بين القلب وعملية الإدراك. وقد أثبت الباحثان هذه العلاقة من خلال قياس النشاط الكهرومغناطيسي للقلب والدماغ أثناء عملية الفهم (أي عندما يحاول الإنسان فهم ظاهرة ما)، فوجدوا أن عملية الإدراك تتناسب مع أداء القلب، وكلما كان أداء القلب أقل كان الإدراك أقل. إن النتائج التي قدمها معهد "رياضيات القلب" مبهرة وتؤكد على أنك عندما تقترب من إنسان آخر أو تلمسه أو تتحدث معه، فإن التغيرات الحاصلة في نظام دقات القلب لديك تنعكس على نشاطه الدماغي**!** أي أن قلبك يؤثر على دماغ من هو أمامك. (وسيأتي تدعيم لهذا في ما بعد).

ديناميكياتُ الحيزِ الذهنيّ والاتصالِ البَيْن-ذاتيّ

أَمَّا الاحتمالُ الثاني فهوَ أَنْ يكونَ للعقلِ حيزٌ لَا مرئيٌّ، وينجحُ المتخاطرُ فِي إنشاءِ قناةٍ مَعَ عقلِ المستقبلِ. ويستمرُّ تضخمُ هَذَا الحيزِ بإتقانِ شروطِ الإرسالِ تجريبِياًّ أَوْ عفوِيًّا بدونِ أَنْ نعلمَ (كَمَا وصفْنَا سابقًا حالةَ العاشقِ مَعَ الهجرِ). إذًا، بدراسةِ ملاحظاتِ حالتِي الشخصيةِ، اتضحتِ الصورةُ، كأنَّ عقلِي الباطنَ قوقعةٌ عظيمةٌ وُضِعَتْ علَى الأرضِ حجمُهَا قَدْ يفوقُ حجمَ دولةٍ، وقَدْ يتقلص لِيَسَعَنِي وحدِي فقطْ. فكلُّ تِلْكَ المعلوماتِ التِي أدركَهَا عقلِي الباطنُ أدركتْهَا معِي جميعُ العقولِ الباطنةِ الواقعةِ داخلَ حيزِي.

إذًا، لحسبَ التجاربِ الماضيةِ، فإنَّ العقلَ الباطنَ فِي الإنسانِ العاديِّ وفِي حالةٍ عاديةٍ يستطيعُ أَنْ يبعثَ بكلامِه بمسافةٍ تزيدُ عَن 200 مترٍ بكلِّ وضوحٍ، سواءً يتكلمُ ذهنِيًّا معِي أَوْ مَعَ أيِّ إنسانٍ آخرَ. إذًا، الأمرُ عبارةٌ عَنْ عقلٍ ضخمٍ، مَنْ يدخلُ حيزَهُ يستقبلُ معَهُ كلَّ مَا يستقبلُهُ مِنْ حواسِّ الجسمِ الخمسةِ. وتبقَى تِلْكَ الشروطُ المبرهنةُ فِي "الغانزفيلد" وتجاربِ "**يوهاريش**" مؤثرةً هُنَا أَيْضًا، ولكِنْ تَمَّ تحديدُ مَنْ يتأثرُ بِهَا، أَلَا وهُوَ عقلُنَا اللاواعِي، فكلَّمَا يزيدُ التوترُ يزيدُ اتساعُ حيزِ العقلِ الباطنِ ليشملَ

أكبرَ عددٍ مِنَ البشرِ والمساحةِ، أوْ يزيدُ فِي قوةِ صدورِ أمواجٍ صادرةٍ عنهُ.

إضافةٌ حولَ خصائصِ الصوتِ والمكانِ التخاطريّ

تبقَى هُنَاكَ إضافةٌ بسيطةٌ فيمَا يخصُّ الملاحظاتِ: لاحظْنَا أنَّهُ عندَ تكلمِ أحدِهِمْ ذهنِيًّا يستطيعُ أَنْ يتكلمَ أيُّ أحدٍ خلالَ تكلمِهِ ويُسْمَعَ بنفسِ صوتِهِ ونفسِ بعْدِهِ، وهَذِهِ الخاصيةُ برعتُ فِيهَا أَنَا علَى وجهِ الخصوصِ؛ فكثيرًا مَا كنتُ أستعملُهَا. بالإضافةِ إِلَى أَنَّنِي كنتُ فِي بعضِ الأحيانِ لَا أُدْرِكُ أَيْنَ أصبحَ مَنْ أُكَلِّمُهُ ذهنِيًّا، مراتٍ كثيرةً يكونُ خلفَ البابِ، أستمرُّ فِي مكالمتِهِ فأُفاجأُ أنَّهُ ذهبَ إِلَى آخرِ المنزلِ، وهَذَا بالرغمِ مِنْ أنَّ إحساسِي بهيئتِهِ ونفسِهِ كَانَ بنفسِ القربِ الأولِ. كثيرًا مَا يجرِي هَذَا، أكونُ موقنًا أنَّ المستقبلَ لَمْ يغيرْ مكانَهُ ولكنَّهُ ابتعدَ وفِي بعضِ الأحيانِ كثيرًا، وبرغمِ ذَلِكَ لَمْ تتأثرْ قوةُ صوتِهِ ولَمْ يتغيرِ اتجاهُ مصدرِ الصوتِ، وحتَّى انطباعُ قربِهِ أوْ بُعدِهِ.

النسبيةُ وزيفُ الإدراكِ الحسيّ

مِنْ مكتشفاتِ "نظريةِ النسبيةِ": الفضاءُ المحدبُ، والزمنُ النسبيُّ، وزيفُ الصورةِ الظاهرةِ للأشياءِ؛ فلمحدوديةِ سرعةِ الضوءِ لَا تصلُ لَنَا صورُ النجومِ البعيدةِ إلَّا بعدَ مدةٍ زمنيةٍ لَيْسَتْ بالهينةِ. فنجمٌ يبعدُ عنَّا بمائتَي

سنةٍ ضوئيةٍ لَا تصلُ لَنَا صورتُهُ الحاليةُ إلَّا بعدَ عامينِ مِنَ الآنِ (بناءً علَى الموقعِ النسبِيِّ)، فيكونُ فِي حقيقةِ الأمرِ قَدْ غيرَ مكانَهُ تمامًا. حتَّى شمسُنَا التِي نراهَا لَيْسَ هَذَا هوَ مكانَهَا الحقيقيُّ، بَلْ مَا نراهُ بأعينِنَا هوَ صورتُهَا منذُ ثمانِي دقائقَ وربعٍ. والشيءُ نفسُهُ ينطبقُ علَى القمرِ، ومِنْهُ إِلَى الأقربِ فالأقربِ، فصورةُ مَا تراهُ أمامَكَ هيَ صورةٌ متأخرةٌ بقدرِ الزمنِ الَّذِي يستغرقُهُ الضوءُ فِي الوصولِ إِلَى شبكيةِ عينيكَ مِنْ علَى سطحِ مَا تراهُ، وهَذَا هوَ الزيفُ.

زَيْفُ التخاطرِ: الآليةُ السوناريةُ للعقلِ

أَمَّا زيفُ التخاطرِ فشيءٌ آخرُ، فتخاطرُكَ مَعَ إنسانٍ مِنْ وراءِ بابٍ مُوصَدٍ لمدةِ دقيقةٍ مثلاً، يجعلُ العقلَ كأَنَّهُ يشملُهُ، فهيئتُهُ وطولُهُ وعرضُهُ وحتَّى تنفُّسُهُ ومَا وراءَ كلامِهِ وموضعِهِ، كلُّ ذَلِكَ وأكثرُ يجسدُ صورةً ثلاثيةَ الأبعادِ (**كآليةِ حوتِ العنبرِ العجيبةِ**)[16] بـ "سونارِ العقلِ" (صدَى المكانِ) باستخدامِ "**الموجاتِ الفوقَ صوتيةِ**"[17]. وبهذِهِ الطريقةِ يتمُّ كشفُ الموقعِ حينَ الكلامِ الذهنِيِّ.

---

[16] **حوت العنبر (:(Sperm Whale**يوجد هذا الحوت في كل المحيطات. وينمو ليصل طوله إلى 18 مترًا، ووزنه إلى 70 طنًا متريًا. تعيش هذه الحيتان في الغالب على الحبار وتغوص عادة إلى أعماق كبيرة لتتعرف على مواقع فريستها في الظلام بوساطة السونار (صدى المكان).

[17] **الموجات فوق الصوتية (:(Ultrasonic Waves**أصوات ذات ترددات أعلى من مدى السمع البشري. ويُقصد بالتردد عدد موجات الصوت التي يصدرها جسم يهتز في الثانية الواحدة. ويُقاس التردد بوحدة تسمى "الهرتز" ((Hertz، حيث يساوي الهرتز الواحد دورة (اهتزازًا) واحدة في الثانية.

ولكنَّ الزيفَ فِي الموضوعِ أنَّ المتكلِّمَ ذهنيًّا معكَ قَدْ يخدعُكَ، فيذهبُ بعيدًا مادًّا قناةَ حديثِكُمْ مَعَ سيرِهِ، فَلَا تتنبهُ للموضوعِ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ عاديٌّ.

الآنيةُ التخاطريةُ والفيزياءُ الكهرومغناطيسيةُ

لولَا نسبيةُ الزمانِ التِي برهَنَهَا "آينشتاينُ" لاستطعْنَا حسابَ: هَلْ حقيقةً سرعةُ نقلِ الكلامِ والأفلامِ تتمُّ فِي نفسِ اللحظةِ فِي المسافاتِ البعيدةِ؟ لأنَّهُ إِنْ حدثَ ذَلِكَ، فإنَّهَا تركبُ موجةً بسرعةِ الضوءِ. والضوءُ موجةٌ كهرومغناطيسيةٌ، إذًا، فبالرغمِ مِنْ برهنةِ العلماءِ أنَّهُمُ استطاعُوا إيقافَ كلِّ أمواجِ الطيفِ الكهرومغناطيسيِّ فِي أقفاصِ "فاراداي" المعدنيةِ، تبقَى فعلاً فرضيةُ كَوْنِ التخاطرِ موجةً كهرومغناطيسيةً. لعلَّهَا موجاتٌ طويلةٌ جدًّا تُمْتَصُّ بِنِسَبٍ متفاوتةٍ فِي الأوساطِ المختلفةِ (كَمَا لاحظْنَا أنَّ التخاطرَ يُمْتَصُّ قليلاً فِي نطاقٍ مَلِيءٍ بالأبنيةِ)، أوْ لعلَّهَا أقصرُ مِنْ أشعةِ

ويتمكن أغلب الناس من سماع الأصوات التي تقع تردداتها بين 20 و 20,000 هرتز. ويبلغ مقدار تردد الموجات فوق الصوتية أكثر من 20,000 هرتز. وقد قام العلماء بتطوير عدة استخدامات للموجات فوق الصوتية في مجالي الطب والصناعة. وإضافة إلى ترددها العالي، فإن لهذه الموجات خصائص تميزها عن الأصوات التي يسمعها بنو البشر؛ فهي على سبيل المثال أقصر من موجات الأصوات المسموعة. وعندما تقابل الموجات القصيرة الخاصة بالموجات فوق الصوتية عقبات صغيرة، فإنها ترتد أو تنعكس بسهولة، مكونة الأصداء، بينما تتخطى الموجات الأكثر طولاً للصوت المألوف هذه العقبات الصغيرة دون أي رد يذكر. وتستفيد من الموجات فوق الصوتية كل من الخفافيش والدلافين، وكذلك بعض الحيوانات الأخرى التي تستطيع سماع ترددات أعلى من 20,000 هرتز. والمعروف أن الخفافيش تصدر صرخات ذات موجات فوق صوتية قصيرة ترتد من الأجسام المجاورة، محدثة أصداء تستفيد منها الخفافيش لتحديد أماكن الحشرات أو المواد الأخرى التي تقتات بها، كما تستفيد منها في تجنب العقبات التي تعترضها.

"جامًا". لأنَّ العلماءَ استطاعُوا اكتشافَ أنَّ هُنَاكَ مراحلَ للنومِ، وأنَّ الدماغَ يطلقُ موجاتٍ كهرومغناطيسيةً (وكذلكَ القلبُ) أثناءَ النومِ بتردداتٍ مختلفةٍ.

ملاحظاتٌ أُخرَى: التنبهُ الأدرينالِيُّ وعملُ العقلِ اللاواعِيّ

علَى حسبِ الأمثلةِ المشهورةِ للتخاطرِ التِي يُستشهَدُ بِهَا العلماءُ فِي إيصالِ فكرةِ معنَى التخاطرِ للعامةِ، نأخذُ مثالاً إحساسَ الأُمّ بوليدِهَا إِنْ هُوَ حدثَ لَهُ شيءٌ. فِي المقابلِ، نجدُ التنبهَ الأدرينالِيَّ يحفّزُ جهازَ إرسالِي ويعظّمُ بذَلِكَ ظواهرَ الـ (PSI). بينما، ولِصِغَرِ هَذَا الجهازِ عندَ الإنسانِ العاديّ، فمِنْهُ نستنتجُ أنَّ التنبهَ الأدرينالِيَّ يعملُ عندَهُ كعاملٍ مقوٍّ أَيْضًا، ولَكِنْ لدرجةِ أَنْ يجعلَ الأمرَ يحدثُ، أَيْ لدرجةِ أَنْ يجعلَ الأمرَ باديًا للعيانِ فقطْ.

الحالةُ الإدراكيةُ: الشيفرةُ الحسيةُ والبحثُ اللاواعِيُّ

وفِي حالةٍ أُخرَى عندمَا أراجعُ مثلاً باحثًا عَنْ أخطاءٍ إملائيةٍ، حينَ أَمُرُّ مرورَ الكرامِ، أُفَاجَأُ أحيانًا بإحساسٍ يَحُثُّنِي علَى الرجوعِ، وحينَ الرجوعِ أجدُ خطأً هُنَاكَ. يبدو أنَّ العقلَ اللاواعِيَّ قَدْ أدركَ مَا يوجدُ فِي هَذِهِ الورقةِ (لعلَّهُ أخذَ لَهَا صورةً وبعدَهَا دَرَسَ تِلْكَ الصورةَ جيدًا، وقدَّرَ موقعَ الأخطاءِ)، وحينَ مرورِ العقلِ الواعِي مرورَ الكرامِ، أيقظَهُ بتِلْكَ

الأحاسيسِ التِي تعملُ كالشيفرةِ لكِي يصلَ للخطأِ. تعددتِ الأمثلةُ عَنْ ذَلِكَ، وفِيهَا مَا هوَ أخطرُ مِنْ ذَلِكَ.

فأنتَ - مثلاً - تبحثُ عَنْ شيءٍ خبَّأَهُ أخوكَ أوْ خبَّأتْهُ زوجتُكَ فِي المنزلِ، تُفَاجَأُ حينَ البحثِ بتركيزٍ يحدثُ فِي دماغِكَ، ولَا يلبثُ إحساسُكَ أَنْ يقودَكَ إِلَى الموقعِ الصحيحِ، فتصيحُ عندَهَا: "كنتُ أُحِسُّ أنَّهُ يخبئُهَا هُنَا". ولَكِنْ فِي الحقيقةِ أنَّ العقلَ اللاواعِيَّ العملاقَ قَدْ أخذَ يعملُ عملَهُ السحريَّ، وتوسعَ فِي بحثِهِ فِي هَذَا المكانِ، إِلَى البحثِ فِي العقلِ المسؤولِ عَنْ إخفاءِ الخبيئةِ (عقلِ أخيكَ أوْ زوجتِكَ)، يبحثُ لَكَ هُنَاكَ فِي ذاكرتِهِ عَنِ المكانِ المبحوثِ عنهُ، وبعدَهَا يرسلُ لَكَ النتيجةَ، وبعدَهَا يقومُ بعملِهِ العاديِّ السابقِ أَلَا وهُوَ بَعْثُ الإحساسِ (الشيفرةِ) لَكَ لِيقودَكَ بِهِ إِلَى المكانِ.

التأثيرُ البَيْنَ-ذاتيُّ (Inter-subjective influence) للعقولِ الباطنةِ

وكَمَا قَالَ "**أفلاطونُ**": "يتقاسمُ الأصدقاءُ كلَّ شيءٍ". وقالَ الرسولُ "**محمدٌ**" عليهِ الصلاةُ والسلامُ: "**المرءُ علَى دينِ خليلِهِ، فلينظرْ أحدُكُمْ مَنْ يصاحبْ**". فَإِنَّ الأمرَ بدأَ يتضحُ وتتضحُ معَهُ خطورتُهُ؛ فَإِنَّ الإنسانَ الَّذِي يُدِيمُ رفقتَكَ يؤثرُ عليكَ إدراكُ عقلِهِ اللاواعي دائمًا. فَإِنْ كَانَ - مثلاً - يريدُ أمرًا بشدةٍ، تجدُ نفسَكَ بدونِ أَنْ تشعرَ تحبُّ القيامَ بذَلِكَ

الأمرِ. فَإِنْ أحبَّ بقلبِهِ شربَ الخمرِ، تساهلَ قلبُكَ معهُ مَعَ مرورِ الأيَّامِ فِي شربِهِ. وإِنْ عجزَ بشدةٍ عَنْ آداءِ الفرائضِ، نَقَلَ لَكَ بالنسخِ علَى العقولِ عجزَهُ مَعَ الأيَّامِ. بَلْ ثبتَ لِيَ أفظعُ مِنْ ذَلِكَ، فقدْ أدَّتْ رفقةُ السوءِ بعضَهُمْ إِلَى التساهلِ فِي بعضِ الأشياءِ التِي لَا يُمْكِنُ التساهلُ فِيهَا، لَا لشيءٍ إِلَّا لدوامِ نسخِ تِلْكَ العقولِ علَى عقولِهِمْ بدونِ علمِهِمْ.

تسخيرُ العقلِ اللاواعيّ فِي التخطيطِ والإنجازِ

وكَمَا يقولُ "توم هوبكنز" أشهرُ بائعٍ أمريكيّ: "كلَّ ليلةٍ وقبلَ أَنْ تنامَ، اكتبْ ستًّا مِنْ أهمِّ المهامِّ التِي يجبُ أَنْ تفعلَهَا فِي اليومِ التالي. حينَ تنامُ سيعملُ عقلُكَ اللاواعي علَى الوصولِ إِلَى أفضلِ الطرقِ لآداءِ هَذِهِ المهامِّ، وفِي اليومِ التالِي ستجدُ كلَّ شيءٍ يسيرُ بشكلٍ أفضلَ". وهَذَا الشيءُ حقيقيٌّ، حتَّى إِنَّ مِنْ قدراتِ العقلِ اللاواعيِّ أَنْ يوصلَكَ لرغباتِكَ.

الفرضيةُ الفيزيائيةُ: الكلامُ الذهنيُّ كموجةٍ فوقَ صوتيةٍ

فرضيةُ أنْ يكونَ الكلامُ الذهنيُّ موجةً فوقَ صوتيةٍ:

كَوْنَ الحيزِ الممتازِ هوَ دائرةٌ نصفُ قطرِهَا 50 مترًا، وشرطَ أَنْ يكونَ المستقبلُ مقابلاً لمصدرِ تهويةٍ (النافذةِ مثلاً)، ولأنَّ الكلامَ الذهنيَّ يبقَى

كلامًا مَهْمَا اختلفتْ طريقةُ نطقِهِ (ولَمْ يختلف مصدرُهُ الَّذِي ثبتَ أنَّهُ العقلُ اللاواعي)، والكلامُ صوتٌ مِنْ أصواتِ الإنسانِ، وتعتمدُ سرعةُ الصوتِ علَى الوسطِ الَّذِي ينتقلُ خلالَهُ الصوتُ. وخصائصُ الوسطِ التِي تحددُ سرعةَ الصوتِ هِيَ الكثافةُ وقابليةُ الانضغاطِ، والكثافةُ هِيَ مقدارُ الكتلةِ الموجودةِ فِي وحدةِ الحجمِ مِنَ المادةِ، وتقيسُ قابليةُ الانضغاطِ مَدَى سهولةِ كبسِ المادةِ فِي حيزٍ ضيقٍ، وكلَّمَا زادتِ الكثافةُ وزادتْ قابليةُ الانضغاطِ، قلَّتْ سرعةُ الصوتِ.

الوسط	السرعة بالأمتار في الثانية
الألومنيوم	5,000
الخشب	4,110
الزجاج	4,540
الطوب	3,650
الفولاذ	5,200
ماء البحر عند 25°م	1,531

الماء المقطر عند 25°م	1,496
الهواء عند 15°م	340

آلياتُ السونارِ البشريّ وتأثيرُ "دوبلر" فِي ظواهرِ الـ PSI

ثَبَتَ، كَمَا يَبْدُو، أَنَّ دِمَاغَ الإِنْسَانِ بِهِ مَنَاطِقُ تَعْمَلُ كَالسُّونارِ الفَعَّالِ (Active Sonar) وَالسُّونارِ السَّلْبِيّ (Passive Sonar)[18]، إِضَافَةً إِلَى الكَيْفِيَّةِ التِي تُنْتِجُ بِهَا الأَوْتَارُ الصَّوْتِيَّةُ الصَّوْتَ. وَيُلَخِّصُ مِثَالُ "تأثِيرِ دوبلر" بِشَكْلٍ مُمْتَازٍ كَيْفَ يَزِيدُ اسْتِقْبَالُ ظَوَاهِرِ الـ (PSI) وَيَنْقُصُ أَثْنَاءَ إِقْبَالِي – أَنَا المُرْسِلَ – بِسُرْعَةٍ عَلَى المُتَلَقِّي.

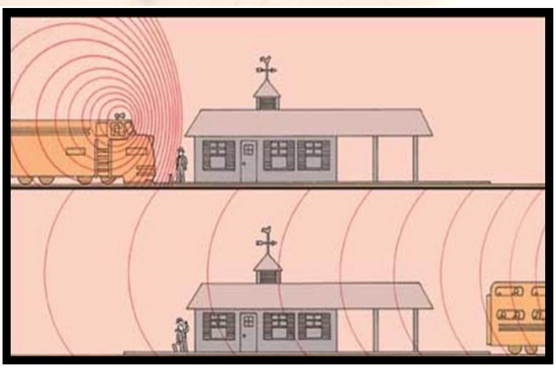
---

18 **السونار الفعال (:(Active Sonar**يعمل بإرسال نبضة صوتية حادة تشبه الصوت الذي تُحدثه كرة الطاولة. وترتد هذه النبضة عند ارتطامها بجسم ما. ويتم حساب بُعد ذلك الجسم عن طريق قياس الزمن الذي استغرقه الصوت في طريق عودته. وتُقدر سرعة الصوت في الماء بـ 1,500 متر في الثانية. فإذا عاد الصوت بعد ثانيتين، فإنه يكون قد قطع مسافة قدرها 3,000 متر، منها 1,500 متر للوصول للجسم، و 1,500 متر للعودة. ويُسمى هذا الأسلوب لتحديد المسافات "السبر بالصدى Echosounding).)

السونار السلبي (:(Passive Sonarوهو جهاز يتنصت على الأصوات الصادرة عن أهداف محتملة. ويُمكن بوساطة هذا الجهاز تحديد الاتجاه الذي يقع فيه جسم ما، ولكنه لا يحدد مسافة البعد عنه. ومن مميزات السونار السلبي أنه لا يبث أي موجات صوتية يمكن التقاطها بوساطة جهاز سونار آخر. ويساعد السونار السلبي في التعرف على الهدف، وذلك لأن الضوضاء الصادرة عن السفينة قد تكشف عن نوعيتها. وتستخدم الغواصات عادة السونار السلبي رغم تجهيزها بسونار فعال أيضًا. ويجب استعمال السونار الفعال في معظم السفن السطحية نظرًا لما تُحدثه تلك السفن من ضوضاء لا يمكن بسببها استخدام السونار السلبي لتحديد مواقع الغواصات.

سُرْعَةُ الصَّوْتِ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِنْ سُرْعَةِ الضَّوْءِ، فَالضَّوْءُ يَتَحَرَّكُ فِي الفَرَاغِ بِسرعَةِ 300,000 كم/ث، أَيْ بِنَحْوِ مِلْيُونِ مَرَّةٍ مِقْدَارَ سُرْعَةِ الصَّوْتِ. وَلَعَلَّكَ لَاحَظْتَ أَنَّ طَبَقَةَ صَوْتِ صَفَّارَةِ القِطَارِ تَبْدُو أَعْلَى وَالقِطَارُ يَقْتَرِبُ، وَتَبْدُو أَقَلَّ بَعْدَ أَنْ يَمُرَّ القِطَارُ وَيَبْتَعِدَ. تَنْتَقِلُ مَوْجَاتُ الصَّوْتِ بِسُرْعَةٍ ثَابِتَةٍ فِي الهَوَاءِ، وَلَكِنْ بَيْنَمَا يَقْتَرِبُ القِطَارُ، فَإِنَّ كُلَّ مَوْجَةٍ تَالِيَةٍ تَقْطَعُ مَسَافَةً أَقْصَرَ إِلَى آذَانِنَا، فَتَصِلُ المَوْجَاتُ بِتَرَدُّدٍ أَكْبَرَ، وَهُنَا تَبْدُو طَبَقَةُ الصَّوْتِ أَعْلَى (High Pitch). وَعِنْدَمَا يَبْتَعِدُ القِطَارُ، تَصِلُ المَوْجَاتُ بِتَرَدُّدٍ أَقَلَّ (Low Pitch).

يُسَمَّى هَذَا التَّغَيُّرُ الظَّاهِرِيُّ "تَأْثِيرَ دُوبْلَر" (Doppler Effect). وَهَذِهِ هِيَ الحَالَةُ الَّتِي يَسْتَقْبِلُ بِهَا المُتَلَقِّي صَوْتِيَ الذِّهْنِيَّ، وَكَيْفَ يَتَدَاعَى الإِرْسَالُ إِنْ أَنَا تَجَاوَزْتُهُ، حَيْثُ تَتَقَارَبُ المَوْجَاتُ عِنْدَ الاقْتِرَابِ وَتَتَبَاعَدُ عِنْدَ الابْتِعَادِ.



تأثير دوبلر: التغير الظاهري في طبقة الصوت الذي تنتجه الأجسام المتحركة. على سبيل المثال، طبقة صوت صفارة القطار تبدو أعلى وهو يقترب وأقل وهو يبتعد. عندما يقترب القطار (الشكل الأعلى) تتقارب موجات الصوت من الصفارة بعضها إلى بعض، مما ينتج عنه طبقة صوت ظاهرية أعلى بالنسبة لمستمع على الرصيف. وعندما يبتعد القطار (الشكل الأسفل)، تنتشر الموجات وتتباعد عن بعضها مما ينتج عنه طبقة صوت ظاهرية أقل. أما ركاب القطار، فيسمعون صوت صفارته عند طبقة صوت واحدة .. و هذه هي التي يستقبل بها المتلقي صوتي الذهني .. و كيف يتداعى الإرسال إن أنا تجاوزته.

الفيزيولوجيا العصبيَّةُ لِلسَّمْعِ وَالفَصُّ الصُّدْغِيُّ

نُحَاوِلُ أَنْ نبيِّنَ الجُزْءَ المَسْؤُولَ عَنِ السَّمْعِ فِي الدِّمَاغِ؛ لِأَنَّ الكَلَامَ الذِّهْنِيَّ لَا يُسْمَعُ فِي الأُذُنِ، بَلْ يُسْمَعُ دَاخِلَ الدِّمَاغِ. تَتَحَرَّكُ الصَّفِيحَةُ القَاعِدِيَّةُ لِلرِّكَابِ فِي النَّافِذَةِ البَيْضِيَّةِ، مُحْدِثَةً مَوْجَاتٍ فِي سَائِلِ القَوْقَعَةِ الَّذِي يَضْغَطُ عَلَى الغِشَاءِ القَاعِدِيِّ، فَتَنْثَنِي الخَلَايَا الشَّعْرِيَّةُ لِعُضْوِ "كُورْتِي"

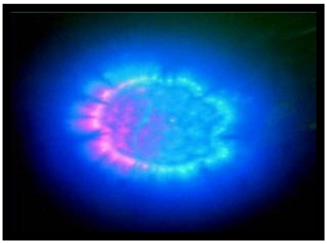
(Organ of Corti)، مِمَّا يُحْدِثُ دَفَعَاتٍ عَصَبِيَّةً. يَقُومُ عَصَبُ القَوْقَعَةِ بِنَقْلِ هَذِهِ الدَّفَعَاتِ إِلَى "الفَصِّ الصُّدْغِيِّ" (Temporal Lobe)، وَهُوَ المَرْكَزُ السَّمْعِيُّ فِي الدِّمَاغِ، حَيْثُ يُتَرْجِمُهَا الدِّمَاغُ إِلَى أَصْوَاتٍ.

إِذًا، "الفَصُّ الصُّدْغِيُّ" هُوَ مَكَانُ اسْتِقْبَالِ الكَلَامِ الذِّهْنِيِّ مُبَاشَرَةً. وَيَبْقَى عَلَيْنَا الإِجَابَةُ عَنْ سَبَبِ اسْتِقْبَالِ كَلَامِي المَنْطُوقِ مِنْ طَرَفِ المُسْتَقْبِلِ **بِشِدَّةٍ وَارْتِفَاعٍ عَالِيَيْنِ**[19] عَنْ كَلَامِي الذِّهْنِيِّ، رَغْمَ أَنَّ مَكَانَ اسْتِقْبَالِهِ أَيْضًا هُوَ الفَصُّ الصُّدْغِيُّ.

---

[19] **الشدة والارتفاع:** ترتبط شدة الصوت بمقدار الطاقة التي تنساب في موجاته. وتعتمد الشدة على اتساع الاهتزازات التي تحدث الموجة. والاتساع هو المسافة التي يتحركها الجسم المهتز من موضع السكون أثناء اهتزازه. فكلما زاد اتساع الاهتزاز، زادت شدة الصوت.
أما ارتفاع الصوت فيرجع إلى القوة التي يتخذها الصوت عندما يقرع آذاننا. فكلما زادت شدة الصوت، عند قيمة ثابتة للتردد، بدا لنا أكثر ارتفاعًا. ولكن الأصوات التي لها نفس الشدة ولها ترددات مختلفة، لا يكون لها نفس الارتفاع. وللأذن حساسية منخفضة تجاه الأصوات التي تكون تردداتها قريبة من الحدّيْن الأعلى والأدنى لمدى الترددات التي نستطيع أن نسمعها. لذلك فإن الصوت عالي التردد والصوت منخفض التردد لا يبدوان في ارتفاع صوت له نفس الشدة في منتصف مدى الترددات المسموعة.
وتضعف موجات الماء في بركة وهي تبتعد عن مصدرها. وبنفس الطريقة، تقل شدة موجات الصوت وهي تنتشر بعيدًا عن مصدرها في كل الاتجاهات. ولذلك، فإن ارتفاع الصوت يقل كلما زادت المسافة بين الشخص ومصدر الصوت. وتستطيع أن تلاحظ هذه الظاهرة وأنت تبتعد، في حقل كبير، عن صديق لك يتحدث على مستوى ثابت. كلما ابتعدت أكثر كان صوت صاحبك أضعف. وتقاس شدة الصوت عادة بوحدة الديسيبل (Decibel).

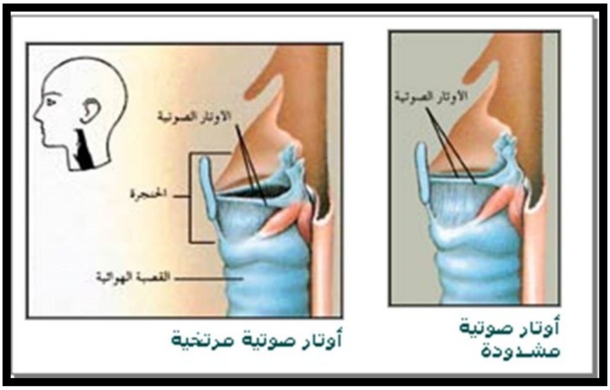
الخَلِيَّةُ الدِّمَاغِيَّةُ كَمُعَالِجٍ لِلصَّوْتِ



تُبَيِّنُ التَّجَارِبُ أَنَّ دَاخِلَ كُلِّ خَلِيَّةٍ مِنْ خَلَايَا الدِّمَاغِ هُنَاكَ جِهَازُ كَمْبِيُوتَرٍ دَقِيقٍ، نَظَّمَ عَمَلَهَا بَرْنَامِجٌ إِلَهِيٌّ مُعْجِزٌ. كُلُّ خَلِيَّةٍ تَتَأَثَّرُ بِالصَّوْتِ، وَقَدْ رُصِدَتْ صُوَرٌ لِخَلَايَا تَتَأَثَّرُ بِالذَّبْذَبَاتِ، حَيْثُ يَتَشَكَّلُ حَوْلَهَا مَجَالٌ كَهْرُومَغْنَاطِيسِيٌّ (Electromagnetic Field) نَتِيجَةَ هَذَا التَّأَثُّرِ.

آلياتُ إنتاجِ الصوتِ والاتصالِ التخاطريِّ

يُصْدِرُ الكائنُ البشريُّ الصوتَ بوساطةِ الأوتارِ الصوتيةِ، وهِيَ حُزَمٌ صغيرةٌ مِنَ النسيجِ علَى امتدادِ الحنجرةِ. تقومُ الحنجرةُ بعمليةِ شَدِّ الأوتارِ الصوتيةِ وإرخائِهَا فِي طرفَيْ فتحةٍ موجودةٍ فِي القصبةِ الهوائيةِ. فعندمَا يتكلمُ الشخصُ، تضغطُ عضلاتُ الحنجرةِ علَى الأوتارِ فتضيقُ الفتحةُ، ويهزُّ الهواءُ الخارجُ مِنَ الرئتينِ الأوتارَ المشدودةَ، فينتجُ عَنْ ذَلِكَ الصوتُ.



هَذَا فيما يخصُّ الكلامَ المنطوقَ، أمَّا الكلامُ الذهنيُّ، فإنْ كَانَ يُحْمَلُ بموجاتٍ فوقَ صوتيةٍ، فإنَّهُ يخترقُ الموادَ ولا يرتدُّ، محدِّدًا المكانَ والهيئةَ كـ "السونارِ البشريِّ" الذي يتجاوزُ العوائقَ الماديةَ ولا ينعكسُ إلَّا عندَ توجيهِهِ للجسدِ المستهدَفِ (المستقبِلِ). لَا تهمُّ الأوساطُ الحاجبةُ بيْننَا، إذْ يشغلُ مَنْ أركِّزُ عليهِ كاملَ قناتِي الموجهةِ، ولَا أستطيعُ الكلامَ مَعَ آخرَ إلَّا وأحسُّ أنَّ شيئًا تمَّ توجيهُهُ إليهِ، كأنَّهَا قناةٌ سمعيةٌ وُصِلَتْ بسرعةِ البرقِ، وتتوجَّهُ إليها عينيَّ أيْضًا بشكلٍ لَا إراديٍّ.

البصمةُ الصوتيةُ ومعالجةُ الذاكرةِ

مِمَّا لاحظتُ، أنَّ الأصواتَ قَدْ لَا تصلُ بنفسِ **البصمةِ الصوتيةِ**[20]؛ فأحيانًا يكلمُنِي مَنْ لَا أعرفُهُ، فيصلُ ببصمةٍ ينكرُ صاحبُهَا أنَّهَا صوتُه.

[20] **بصمة الصوت (Voiceprint):** تسجيل سمعي للموجات الصوتية الخاصة بصوت إنساني. وفي بعض الأحيان، تُقارن بصمات الصوت وتسجيلات الأشرطة لأصوات عدة أشخاص لتحديد صوت

وأحيانًا أُخرى يشتبهُ عليَّ الأمرُ فأظنُّ أنَّني أعرفُ الشخصَ، أوْ يكونُ هوَ فِعلاً مَنْ أعرفُهُ، فأسمعُهُ ببصمتِهِ الحقيقيةِ بفعلِ وجودِ تِلْكَ البصماتِ فِي الذاكرةِ. يبدو أنَّ الدماغَ يقومُ بعمليةِ "مونتاجٍ" سريعةٍ جدًّا مستمَدَّةٍ مِنَ الذاكرةِ. والطريفُ أنَّني كنتُ أبعثُ بمخيلتِي فيديوهاتٍ لأشخاصٍ أمواتٍ، أوْ أركِّبُ صوتَ ميتٍ علَى صوتِ مَنْ يكلمُنِي ذهنيًّا، فيُسْمَعُ كأنَّهُ هُوَ.

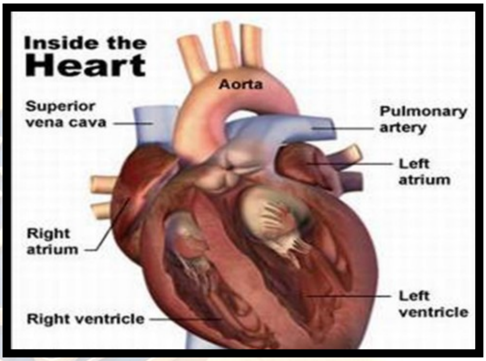
معالجةُ البياناتِ أثناءَ النومِ والنشاطِ القشريِّ

عندَ رؤيةِ شيءٍ أوْ سماعِ صوتٍ، لَا يلبثُ إلَّا ويرجعُ إلَى مخيلتِي كَمَا هوَ، حيثُ يحاولُ عقلِي دراسةَ الكلماتِ المنطوقةِ وإيحاءاتِهَا. وبالرجوعِ إلَى عِلْمِ النومِ، فَإِنَّ الأحلامَ هيَ الأداةُ التِي تساعدُ الإنسانَ علَى تنظيمِ أحداثِ اليومِ وتصنيفِهَا، عبرَ استرجاعِهَا ومقارنتِهَا بخبراتٍ سابقةٍ قبلَ أرشفتِهَا. ويدعمُ هَذَا الرأيَ وجودُ نشاطٍ كهربائِيٍّ قوِيٍّ أثناءَ "النومِ المتناقضِ" (REM)، تحديدًا فِي المنطقةِ الواقعةِ أسفلَ قشرةِ المخِّ، والتي تُعدُّ مركزَ أرشيفِ الذكرياتِ.

شخص معين. غير أن بعض العلماء يشكّون في هذه الطريقة كوسيلة يُعتمد عليها لتحديد الأصوات. وتُستخدم بصمات الصوت أيضًا في دراسة اضطرابات السمع والكلام. تستخدم بعض أقسام الشرطة في الولايات المتحدة بصمات الصوت كدليل في القضايا الجنائية. وهم يعتقدون أن بصمة الصوت يمكن الاعتماد عليها كطريقة لتحديد الهوية. يتم أخذ بصمة الصوت بتشغيل شريط تسجيل من خلال جهاز يُسمّى "مرسمة الطيف" (مطياف الصوت)، حيث توضح بصمة الصوت مدة كلمات الحديث، وعلو طبقته، ونوعية الصوت المسجل.

فرضيةُ القلبِ كمركزٍ للإدراكِ والذاكرةِ الخلويةِ

هَلِ الدماغُ يتحكمُ بعملِ القلبِ كَمَا يقولُ العلماءُ، أَمْ أَنَّ العكسَ هوَ الصحيحُ؟



وهُوَ مَا يكتشفُهُ العلماءُ اليومَ. يَعْتَقِدُ البروفيسور "غاري شورتز" (Gary Schwartz)، اختصاصيُّ الطبِّ النفسيِّ فِي جامعةِ "أريزونا"، والدكتورة "ليندا روسيك" (Linda Russek)، أنَّ للقلبِ طاقةً خاصةً بواسطتِهَا يتمُّ تخزينُ المعلوماتِ ومعالجتُهَا أَيْضًا، وبالتالي فإنَّ الذاكرةَ لَيْسَتْ فقطْ فِي الدماغِ، بَلْ قَدْ يكونُ القلبُ محركًا لَهَا ومشرفًا عَلَيْهَا. قَامَ الدكتور "غاري" ببحثٍ ضمَّ أكثرَ مِنْ 300 حالةِ زراعةِ قلبٍ، ووجدَ بأنَّ جميعَهَا قَدْ حدثَتْ لَهَا تغيراتٌ نفسيةٌ جذريةٌ بعدَ العمليةِ.

يقولُ الدكتور "شورتز": قمنَا بزرعِ قلبٍ لطفلٍ مِنْ طفلٍ آخَرَ، أُمُّهُ طبيبةٌ وقَدْ توفِّيَ وقررتْ أُمُّهُ التبرعَ بقلبِهِ، ثُمَّ قامتْ بمراقبةِ حالةِ الزرعِ جيدًا. تقولُ هذهِ الأُمُّ: "إنَّني أحسُّ دائمًا بأنَّ ولدِي مَا زالَ علَى قيدِ الحياةِ، فعندما أقتربُ مِنْ هَذَا الطفلِ الَّذِي يحملُ قلبَ ولدِي أحسُّ بدقاتِ قلبِهِ، وعندما عانقَنِي أحسستُ بأنهُ طفلِي تمامًا، إنَّ قلبَ هَذَا الطفلِ يحوي معظمَ طفلِي!". والَّذِي أكدَ هَذَا الإحساسَ أنَّ هَذَا الطفلَ بدأَ يظهرُ عليهِ خللٌ فِي الجهةِ اليسرَى، وبعدَ ذَلِكَ تبينَ أنَّ الطفلَ المتوفَّى صاحبَ القلبِ الأصليِّ كَانَ يعاني مِنْ خللٍ فِي الجانبِ الأيسرِ مِنَ الدماغِ يعيقُ حركتَهُ، وبعدَ أَنْ تَمَّ زرعُ هَذَا القلبِ تبينَ بعدَ فترةٍ أنَّ الدماغَ بدأَ يصيبُهُ خللٌ فِي الجانبِ الأيسرِ تمامًا كحالةِ الطفلِ الميتِ صاحبِ القلبِ الأصليِّ.

تفسيرُ السيادةِ القلبيةِ علَى الوظائفِ الدماغيةِ

مَا هوَ تفسيرُ ذَلِكَ؟ ببساطةٍ نقولُ إنَّ القلبَ هوَ الَّذِي يشرفُ علَى عملِ الدماغِ، والخللُ الَّذِي أصابَ دماغَ الطفلِ المتوفَّى كَانَ سببُهُ القلبَ، وبعدَ زرعِ هَذَا القلبِ لطفلٍ آخَرَ، بدأَ القلبُ يمارسُ نشاطَهُ علَى الدماغِ وطوَّرَ هَذَا الخللَ فِي دماغِ ذَلِكَ الطفلِ.

تقولُ الدكتورة "ليندا": مِنَ الحالاتِ المثيرةِ أَيْضًا أنَّهُ تَمَّ زرعُ قلبٍ لفتاةٍ كانتْ تعاني مِنِ اعتلالٍ فِي عضلةِ القلبِ، ولكنَّهَا أصبحتْ كلَّ يومٍ تحسُّ وكأنَّ شيئًا يصطدمُ بصدرِهَا، فتشكو لطبيبِهَا هذهِ الحالةَ فيقولُ لَهَا هَذَا بسببِ تأثيرِ الأدويةِ، ولكنْ تبينَ فيمَا بعدُ أنَّ صاحبةَ القلبِ الأصليِّ صدمتْهَا سيارةٌ فِي صدرِهَا، وأنَّ آخرَ كلماتٍ نطقتْ بِهَا أنَّهَا تحسُّ بألمِ الصدمةِ فِي صدرِهَا. مئاتٌ ومئاتُ الحالاتِ التِي حدثَتْ لَهَا تغيراتٌ عميقةٌ، فقدْ غرقتْ طفلةٌ عمرُهَا ثلاثُ سنواتٍ فِي المسبحِ المنزليِّ، وتبرعَ أهلُهَا بقلبِهَا لِيتمَّ زراعتُهُ لطفلٍ عمرُهُ تسعُ سنواتٍ، الغريبُ أنَّ هَذَا الطفلَ أصبحَ خائفًا جدًّا مِنَ الماءِ، بَلْ ويقولُ لوالديْهِ: "لَا ترْمُونِي فِي الماءِ!".

القلبُ مسؤولٌ عَنِ العواطفِ والإدراكِ

هُناكَ أمرٌ مثيرٌ للاهتمامِ، أَلَا وَهُوَ أَنَّ أولئكَ المرضَى الَّذِينَ استُبدِلَتْ قلوبُهُمْ بقلوبٍ اصطناعيةٍ فقدُوا الإحساسَ والعواطفَ والقدرةَ علَى الحبِّ! ففِي الحادي عشرَ مِنْ أغسطسَ لعامِ 2007، نشرتْ جريدةُ "واشنطن بوست" (Washington Post) تحقيقاً صحفِيًّا حولَ رجلٍ اسمُهُ "بيتر هوتون" (Peter Houghton)، وقَدْ أُجرِيَتْ لَهُ عمليةُ زرعِ قلبٍ اصطناعيٍّ. يقولُ هَذَا المريضُ: "إنَّ مشاعرِي تغيرتْ بالكاملِ، فلَمْ أعدْ أعرفُ كيفَ أشعرُ أوْ أُحبُّ، حتَّى أحفادِي لَا أحسُّ بِهِمْ وَلَا

أعرفُ كيفَ أتعاملُ معَهُمْ، وعندما يقتربونَ مِنّي لَا أحسُّ أنَّهُمْ جزءٌ مِنْ حياتِي كَمَا كنتُ مِنْ قبلُ".



يؤكدُ العلماءُ أَنَّ النتائجَ التِي وصلُوا إليْهَا، والخللَ الكبيرَ فِي الإدراكِ والفهمِ الَّذِي يعانِي مِنْهُ صاحبُ القلبِ الصناعيِّ، يؤكدُ بأَنَّ للقلبِ دوراً أساسِيًّا فِي الفهمِ والإدراكِ، وأَنَّ القلبَ هوَ أكثرُ مِنْ مجردِ مضخةٍ؛ إنَّ قلبَ الإنسانِ أكثرُ تعقيداً مِمَّا نتصورُ!

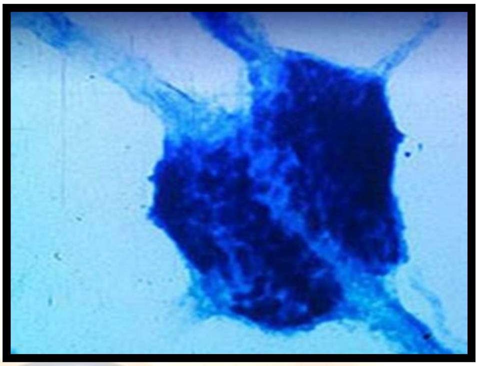
دماغٌ داخلَ القلبِ: الذاكرةُ والسيادةُ العصبيةُ

إنَّ التفسيرَ المقبولَ لهذهِ الظاهرةِ أنَّهُ يوجدُ داخلَ خلايا قلبِ الإنسانِ برامجُ خاصةٌ للذاكرةِ، يتمُّ فيهَا تخزينُ جميعِ الأحداثِ التِي يمرُّ فيهَا الإنسانُ، وتقومُ هذهِ البرامجُ بإرسالِ هذهِ الذاكرةِ للدماغِ ليقومَ بمعالجتِهَا.

ونلاحظُ أَنَّ معدلَ نبضاتِ القلبِ يتغيرُ تبعاً للحالةِ النفسيةِ والعاطفيةِ للإنسانِ.

ويؤكدُ الدكتور "أندرو أرمور" (J. Andrew Armour) أَنَّ هُناكَ دماغاً شديدَ التعقيدِ موجودٌ داخلَ القلبِ، وتحديداً داخلَ كلِّ خليةٍ مِنْ خلايا القلبِ. ففِي القلبِ أكثرُ مِنْ أربعينَ ألفَ خليةٍ عصبيةٍ تعملُ بدقةٍ فائقةٍ علَى تنظيمِ معدلِ ضرباتِ القلبِ وإفرازِ الهرموناتِ وتخزينِ المعلوماتِ، ثُمَّ يتمُّ إرسالُ المعلوماتِ إِلَى الدماغِ. تلعبُ هذهِ المعلوماتُ دوراً مهماً فِي الفهمِ والإدراكِ؛ إذْ تتدفقُ مِنَ القلبِ إِلَى سَاقِ الدماغِ ثُمَّ تدخلُ إِلَى الدماغِ عبرَ ممراتٍ خاصةٍ، وتقومُ بتوجيهِ خلايا الدماغِ لتتمكنَ مِنَ الفهمِ والاستيعابِ. ولذَلِكَ، فَإِنَّ بعضَ العلماءِ اليومَ يقومونَ بإنشاءِ مراكزَ تهتمُّ بدراسةِ العلاقةِ بينَ القلبِ والدماغِ، وعلاقةِ القلبِ بالعملياتِ النفسيةِ والإدراكيةِ، بعدمَا أدركُوا الدورَ الكبيرَ للقلبِ فِي التفكيرِ والإبداعِ.

النظامُ العصبيُّ القلبيُّ الفعَّالُ



يؤكدُ بعضُ الباحثينَ مِنْ "معهدِ رياضياتِ القلبِ" (HeartMath Institute) أَنَّ الخلايا العصبيةَ فِي القلبِ - التِي يبلغُ عددُهَا أربعينَ ألفًا - لَهَا تأثيرٌ قوِيٌّ علَى خلايا الدماغِ، وأَنَّ للقلبِ دورًا مهمًّا فِي الإدراكِ والذاكرةِ وتخزينِ المعلوماتِ، وأَنَّ القلبَ يتأثرُ بالتردداتِ الصوتيةِ.

الذبذباتُ القلبيةُ والتواصلُ البَيْنَ-قلبيُّ

يقولُ الدكتورُ "بول بيرسال" (Paul Pearsall) إنَّ القلبَ يَحُسُّ ويشعرُ ويتذكرُ ويرسلُ ذبذباتٍ تُمكِّنُهُ مِنَ التفاهمِ مَعَ القلوبِ الأُخرَى، ويساعدُ علَى تنظيمِ مناعةِ الجسمِ، ويحتوِي علَى معلوماتٍ يرسلُهَا إِلَى كلِّ أنحاءِ الجسمِ مَعَ كلِّ نبضةٍ مِنْ نبضاتِهِ. ويتساءلُ بعضُ الباحثينَ: هَلْ مِنَ الممكنِ أَنْ تسكنَ الذاكرةُ عميقًا فِي قلوبِنَا؟

إِنَّ القلبَ بإيقاعِهِ المنتظمِ يتحكمُ بإيقاعِ الجسدِ كاملاً، فهُوَ وسيلةُ الربطِ بينَ كلِّ خليةٍ مِنْ خلايا الجسمِ مِنْ خلالِ عملِهِ كمضخةٍ للدمِ، حيثُ تعبرُ كلُّ خليةِ دمٍ هَذَا القلبَ وتحملُ المعلوماتِ مِنْهُ وتذهبُ بِهَا إِلَى بقيةِ خلايا الجسمِ، إذًا القلبُ لَا يغذِّي الجسدَ بالدمِ النقيِّ، إِنَّمَا يغذِّيهِ أَيْضًا بالمعلوماتِ!

المجالُ الكهرومغناطيسيُّ للقلبِ والتأثيرُ علَى الآخرينَ

مِنَ الأبحاثِ الغريبةِ التِي أُجرِيَتْ فِي "معهدِ رياضياتِ القلبِ" أَنَّهُمْ وجدُوا أَنَّ المجالَ الكهربائيَّ للقلبِ قوِيٌّ جدًّا ويؤثرُ علَى مَنْ حولَنَا مِنَ الناسِ، أَيْ أَنَّ الإنسانَ يُمْكِنُ أَنْ يتصلَ مَعَ غيرِهِ مِنْ خلالِ قلبِهِ فقطْ دُونَ أَنْ يتكلمَ!

العلاقةُ التلازميةُ بينَ الأداءِ القلبيِّ والعملياتِ الإدراكيةِ

فِي بحثٍ أجراهُ الباحثانِ "رولين ماكراتي" (Rollin McCraty) و "مايك أتكينسون" (Mike Atkinson)، وتمَّ عرضُهُ فِي اللقاءِ السنويِّ للمجتمعِ البافلوفِيِّ عامَ 1999، جَاءَ بنتيجةِ هَذَا البحثِ أَنَّ هنالكَ علاقةً بينَ القلبِ وعمليةِ الإدراكِ. وقَدْ أثبتَ الباحثانِ هَذِهِ العلاقةَ مِنْ خلالِ قياسِ النشاطِ الكهرومغناطيسيِّ للقلبِ والدماغِ أثناءَ عمليةِ الفهمِ، أَيْ

عندما يحاولُ الإنسانُ فهمَ ظاهرةٍ مَا، فوجدُوا أَنَّ عمليةَ الإدراكِ تتناسبُ مَعَ أداءِ القلبِ، وكلَّمَا كَانَ أداءُ القلبِ أقلَّ كَانَ الإدراكُ أقلَّ.

إِنَّ النتائجَ التِي قدمَهَا "معهدُ رياضياتِ القلبِ" مبهرةٌ وتؤكدُ علَى أَنَّكَ عندما تقتربُ مِنْ إنسانٍ آخَرَ أَوْ تلمسُهُ أَوْ تتحدثُ معَهُ، فَإِنَّ التغيراتِ الحاصلةَ فِي نظامِ دقاتِ القلبِ لَدَيْكَ تنعكسُ علَى نشاطِهِ الدماغيِّ! أَيْ أَنَّ قلبَكَ يؤثرُ علَى دماغِ مَنْ هُوَ أمامَكَ.

السبقُ القرآنيُّ فِي عِلْمِ القلبِ

إِنَّ المشاهداتِ والتجاربَ التِي رأينَاهَا فِي هَذَا البحثِ تثبتُ لَنَا عدةَ نتائجَ فِي عِلْمِ القلبِ يُمْكِنُ أَنْ نلخصَهَا فِي نقاطٍ محددةٍ، وكيفَ أَنَّ القرآنَ حدثَنَا عنهَا بدقةٍ تامةٍ:

1. **القلبُ مركزُ التعقُّلِ والإدراكِ:** يتحدثُ العلماءُ اليومَ جديًّا عَنْ دماغٍ موجودٍ فِي القلبِ يتألفُ مِنْ 40,000 خليةٍ عصبيةٍ، أَيْ أَنَّ مَا نسمِّيهِ "العقلَ" موجودٌ فِي مركزِ القلبِ، وهُوَ الَّذِي يقومُ بتوجيهِ الدماغِ لأداءِ مهامِهِ. ولذَلِكَ، فَإِنَّ اللهَ تعالى جعلَ القلبَ وسيلةً نعقلُ بِهِ، يقولُ تعالى: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي

الصُّدُورِ} [الحج: 46]. وهَذِهِ الآيةُ حددتْ لنَا مكانَ القلبِ لكي لَا يظنَّ أحدٌ أنَّ القلبَ موجودٌ فِي الرأسِ وهُوَ الدماغُ.

2. **القلبُ مقرُّ الفهمِ وفقهِ الأشياءِ:** يتحدثُ العلماءُ اليومَ عَنِ الدورِ الكبيرِ الَّذِي يلعبُهُ القلبُ فِي عمليةِ الفهمِ والإدراكِ وفقهِ الأشياءِ مِنْ حولِنَا، وهَذَا مَا حدثَنَا عنهُ القرآنُ بقولِهِ تعالى: {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} [الأنعام: 179]. أَيْ أَنَّ القرآنَ حددَ لنَا مركزَ الإدراكِ لَدَى الإنسانِ وهُوَ القلبُ، وهُوَ مَا يكتشفُهُ العلماءُ اليومَ.

3. **القلبُ ومسؤوليةُ المشاعرِ:** معظمُ الَّذِينَ يزرعونَ قلبًا صناعيًّا يشعرونَ بأَنَّ قلبَهُمُ الجديدَ قَدْ تحجَّرَ ويحسُّونَ بقسوةٍ غريبةٍ فِي صدورِهِمْ، وفقدُوا الإيمانَ والمشاعرَ والحبَّ. وهَذَا مَا أشارَ إليهِ القرآنُ فِي خطابِ اليهودِ: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} [البقرة: 74]. فقَدْ حددَ لنَا القرآنُ صفةً مِنْ صفاتِ القلبِ وهِيَ القسوةُ واللينُ.

4. **القلبُ مستودعُ الذاكرةِ الخلويةِ:** يؤكدُ العلماءُ أَنَّ كلَّ خليةٍ مِنْ خلايا القلبِ تشكلُ مستودعاً للمعلوماتِ والأحداثِ، ولذَلِكَ بدأُوا يتحدثونَ عَنْ "ذاكرةِ القلبِ". يؤكدُ اللهُ تعالى أنَّ كلَّ شيءٍ موجودٌ فِي القلبِ، وأنَّ اللهَ يختبرُ مَا فِي قلوبِنَا، يقولُ تعالى: {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي

صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران: 154].

5. **القلبُ وحاسةُ السمع:** يؤكدُ بعضُ الباحثينَ علَى أهميةِ القلبِ فِي عمليةِ السمع، بَلْ إِنَّ الخللَ الكبيرَ فِي نظامِ عملِ القلبِ يؤدِّي إِلَى فقدانِ السمع. فكثيرةٌ هِيَ المراتُ التِي حدثَ فِيهَا ذَلِكَ، كمريضٍ أصابَهُ احتشاءٌ بسيطٌ فِي عضلةِ القلبِ، ثُمَّ تطورَ هَذَا الخللُ حَتَّى فقدَ سمعَهُ تمامًا ثُمَّ مَاتَ مباشرةً بعدَ ذَلِكَ. ولذَلِكَ ربطَ القرآنُ بينَ القلبِ وبينَ السمع فقالَ: {وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [الأعراف: 100].

الارتباطُ الوظيفيُّ بينَ القلبِ والناصيةِ فِي الإدراكِ والسلوكِ

يتحدثُ الباحثونَ عَنْ دورِ القلبِ فِي التعلُّمِ، وهَذَا يُعْتَبَرُ مِنْ أحدثِ الأبحاثِ التِي نُشِرَتْ مؤخراً، ولذَلِكَ فَإِنَّ للقلبِ دورًا مهمًّا فِي العِلْمِ والتعلُّمِ؛ لأنَّ القلبَ يؤثرُ علَى خلايا الدماغِ ويوجهُهَا. ولذَلِكَ، فَإِنَّ القرآنَ قَدْ ربطَ بينَ القلبِ والعِلْمِ، قَالَ تعالى: {وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة: 93].

تؤكدُ التجاربُ الجديدةُ أَنَّ مركزَ الكذبِ هوَ فِي منطقةِ "الناصيةِ" (Prefrontal Cortex) فِي أعلَى ومقدمةِ الدماغِ، وأَنَّ هذهِ المنطقةَ تنشطُ بشكلٍ كبيرٍ أثناءَ الكذبِ. أَمَّا المعلوماتُ التِي يختزنُهَا القلبُ فَهِيَ معلوماتٌ حقيقيةٌ صادقةٌ، وهكذا فَإِنَّ الإنسانَ عندما يكذبُ بلسانِهِ، فَإِنَّهُ يقولُ عكسَ مَا يختزنُهُ قلبُهُ مِنْ معلوماتٍ. ولذَلِكَ قَالَ تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: 11]. فاللسانُ هُنَا يتحركُ بأمرٍ مِنَ الناصيةِ فِي الدماغِ، ولذَلِكَ وصفَ اللهُ هذهِ الناصيةَ بأَنَّهَا: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: 16].

الملاحظاتُ التجريبيةُ علَى الاستجابةِ القلبيةِ للمؤثراتِ

كلُّ هَذَا البحثِ القيمِ ساعدَنِي فِي الانتباهِ إِلَى أَنَّهُ، وبفعلِ الزيادةِ الواضحةِ فِي قدرتِي علَى السمعِ، أصبحتِ الأصواتُ العاليةُ الفجائيةُ – كسقوطِ شيءٍ ثقيلٍ أَوْ طرقٍ عنيفٍ لبابِ غرفتِي – أصبحتُ أحسُّ تمامَ الإحساسِ ومَنْ حولِي بازديادِ تأثيرِ قوةِ تِلْكَ الأصواتِ فِي قلبِي مباشرةً، كأَنَّهُ ينصدمُ فتحسُّهُ تضخمَ وازدادَ نبضُهُ كأَنَّهُ يريدُ الخروجَ مِنْ صدرِي.

إِذًا، أيًا كَانَ هوَ المركزُ فعلاً للإدراكِ، فسواءٌ كَانَ الدماغُ كَمَا هوَ متفقٌ عليهِ الآنَ، أَمِ القلبُ حسبَ مَا استجدَّ مِنْ أبحاثٍ، أَمْ يشتركانِ فِي هذهِ العمليةِ، بأَنْ يكونَ القلبُ مسؤولاً عَنِ العاطفةِ والشعورِ والفهمِ، والدماغُ

مسؤولاً عَنِ السمعِ والشمِّ والتذوقِ والرؤيةِ واللمسِ (لأنَّ مَنْ زُرِعَ لَهُ قلبٌ صناعيٌّ لَا يفقدُ إحساسَهُ بحواسِّهِ الخمسةِ رغْمَ النقصانِ الطفيفِ لِذَلِكَ الإدراكِ)؛ فَإِنَّ المهمَّ عندَنَا هوَ أَنَّ مركزَ الإدراكِ هوَ المسؤولُ عَنِ الإرسالِ. وبالرجوعِ إِلَى تجاربِنَا الخاصةِ، وجدنَا عدةَ عواملَ تزيدُ مِنْ قوةِ التخاطرِ والرؤيةِ عَنْ بُعْدٍ.

العوامل المؤثرة في تعزيز القدرات الخارقة (الباراسيكولوجية): التخاطر والاستبصار

"كنت أفكر وأفكر لشهور وسنوات. في 99 حالة تخيب نتيجة تفكيري، لكنها تصيب في المرة المائة." — ألبرت أينشتاين.

إذا كانت أقفاص فاراداي المعدنية تشكل حاجزاً أمام الموجات الكهرومغناطيسية كافة، فإنها لا تشكل عائقاً أمام ظواهر الـ PSI (الباراسيكولوجيا) بالنسبة لي. لا أرى مثبطاً لنجاح هذه الظواهر الرفيعة سوى التوغل عميقاً داخل القشرة الأرضية، كالتواجد في كهف أو مغارة عميقة أو منجم. يزداد العمق والتشعب داخل الأرض ليؤدي إلى إيقاف الإرسال أو انعدامه كلياً.

من خلال الخبرة العملية، لوحظت عدة عوامل تسهم في تقوية ظواهر الـ PSI (التخاطر والاستبصار):

تأثير الصدى الصوتي في الأماكن المغلقة:

لوحظ أن صوت التخاطر (التخاطب الداخلي أو الكلام العقلي) كان يُسمع بوضوح عالٍ في الوعي كلما كان الفرد متواجداً في غرفة بجانب النافذة. تتناسب قوة هذا الصوت عكسياً مع التوغل داخل المبنى. كان

التواصل فعالاً مع أشخاص يبعدون حوالي 40 متراً عن الغرفة. مع ذلك، عند إخراج الرأس من النافذة، كان الصوت يخفت بصورة ملحوظة. يُفسر ذلك بأن الغرفة قد تعمل كوسيط لتعزيز الإشارة التخاطرية، إذ يتشابه الصوت، سواء كان منطوقاً أو عقلياً (ذبذبات)، في إمكانية تعزيزه بالصدى داخل حيز مغلق.

قاعدة الأوساط الفيزيائية وتأثيرها على النقل الباراسيكولوجي:

مثل الضوء والصوت، تخضع ظواهر التخاطر والاستبصار لقاعدة اختلاف الأوساط المادية. كل وسط له خصائصه التي تؤثر على هذه الظواهر. في البيئة الحضرية، يسبب امتصاص المباني لجزء كبير من الطاقة تشويشاً، مما قد يحد من مدى التخاطر العقلي إلى حوالي 200 متر. في المقابل، تسمح الطبيعة الجرداء بمدى قد يصل إلى كيلومترين. يقل التخاطر عند اختلاف الأوساط بشكل متكرر. قد يتيح امتداد المسطحات المائية (البحر) أو الصحاري المستوية (الحمادة) إطالة المسافة المباشرة إلى أبعد الحدود، وقد تزداد الكفاءة في الأثير (الفضاء الجوي) مقارنة بأي وسط آخر.

حجب الموجات الباراسيكولوجية داخل الأنفاق العميقة:

عند الدخول في نفق قصير لا يتجاوز طوله 100 متر، لم تتأثر القدرة على التخاطر أو الاستبصار التلقائي. ولكن عند الولوج في نفق الطريق السيار الرابط بين شرق وغرب الجزائر (تحديداً في منطقة عين بوزيان بين سكيكدة[21]skikdaوقسنطينة[22]Constantine)، والذي يتجاوز طوله كيلومتراً واحداً، لوحظ اختفاء تام للقدرة على القيام بأي شكل من أشكال الـ PSI، رغم المحاولات المركزة للإرسال أو الاستقبال السمعي أو البصري (بعث صور ذهنية).

يُستنتج من ذلك أن التخاطر والاستبصار (أو ما يمكن تسميته "لاسلكي العقل") والـ PSI عموماً لها طبيعة موجية مشابهة لموجات البث الإذاعي أو التلفزيوني أو **اللاسلكي**[23]. تضعف هذه القدرات في نفس الظروف

[21] **سكيكدة** مدينة ساحلية ساحرة على الشرق الجزائري تحوي عدة آثار فينيقية ورومانية ونوميدية.

[22] **قسنطينة** مدينة الجسور المعلقة .. تحوي عدة آثار فينيقية ورومانية ونوميدية.

[23] **اللاسلكي (:(Wireless** وجّه ماركوني اهتمامه نحو الموجات القصيرة والموجات الطويلة. وقام هو وبعض المخترعين الآخرين بتطوير جهاز اللاسلكي التجاري باستخدام الموجات الهوائية الطويلة التي تطلبت أجهزة إرسال قوية وكبيرة. ولكن محطات الموجات القصيرة لا تتطلب مثل هذه الأجهزة الإرسالية وتكاليف بنائها وتشغيلها أقل. وتختلف الموجات القصيرة عن الموجات الطويلة في إمكانية استخدامها بكفاية أثناء النهار والليل. وقد أكمل ماركوني ومعاونوه نظام "الشعاع" باستخدام الهوائي التوجيهي والعاكسات. وجعل هذا النظام الراديو ذا الموجة القصيرة وسيلة ذات كفاءة وسهولة في الاتصال. وفي عام 1932م، صمّم ماركوني أول جهاز هاتف يعمل بالموجات الدقيقة (الموجات المتناهية الصغر أو المايكروويف)، وساعد هذا على فتح الطريق إلى حدوث ثورة في مجال الاتصال الإلكتروني بالموجات الدقيقة.

التي يضعف فيها إرسال شبكة الهاتف المحمول، وينطبق الأمر ذاته على التوغل داخل باطن الأرض، كما هو الحال في أنفاق المناجم.

إِذًا فَأَمْوَاجُ التَّخَاطُرِ تَفْشَلُ فِي اخْتِرَاقِ الْأَرْضِ.

تَأْثِيرُ الْبِيئَةِ السَّمْعِيَّةِ (الضَّوْضَاءِ) عَلَى مَدَى التَّخَاطُرِ:

كَذَلِكَ اللَّيْلُ يَزِيدُ مَسَافَةَ التَّخَاطُرِ أَوْ نَقُولُ "الْحَجْمَ" لِأَنَّهَا مِسَاحَةٌ ثُلَاثِيَّةُ الْأَبْعَادِ. يُظَنُّ أَنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ طَبِيعِيٌّ لِأَنَّ السُّكُونَ يَعُمُّ وَالضَّوْضَاءَ تَخِفُّ إِلَى أَنْ تَنْعَدِمَ، مِمَّا يُضْفِي عَلَى الْأَصْوَاتِ شَيْئًا مِنَ النَّقَاوَةِ. وَلَسْتُ مُتَأَكِّدًا بِالتَّدْقِيقِ أَنَّ الْمَسَافَةَ تَزِيدُ أَوْ هِيَ نَفْسُهَا فِي النَّهَارِ وَلَكِنَّ الضَّوْضَاءَ تَجْعَلُ السَّمْعَ صَعْبًا.

تَأْثِيرُ الصِّيَامِ وَالْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ عَلَى ظَوَاهِرِ الـ PSI:

لُوحِظَ أَيْضًا أَنَّ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَوْنُنَا نَصُومُ لِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ، أَنَّ النَّقَاوَةَ تَزِيدُ وَلَيْسَتِ النَّقَاوَةَ فَقَطْ، حَتَّى الْأَصْوَاتُ تَتَضَخَّمُ. فَالَّذِي كَانَ يَبْعُدُ عَنِّي 50 مِتْرًا وَكَانَ صَوْتُهُ يَصِلُنِي بَاهِتًا بِفِعْلِ عَشَرَاتِ الْأَسْوَارِ بَيْنَنَا وَالْأَسْقُفِ وَالْبِنَايَاتِ أَصْبَحَ كَأَنَّهُ لَا يَفْصِلُنِي مَعَهُ إِلَّا جِدَارٌ وَاحِدٌ، يَلِجُ صَوْتُهُ بِسُرْعَةٍ - لَحْظَةَ نُطْقِهِ - إِلَى غُرْفَتِي وَأَسْمَعُ صَدَاهُ مِنْ أَسْوَارِهَا، وَكَأَنَّهُ حَدَثَ طَيٌّ لِلْمَكَانِ مِنْ حَوْلِي.

إِذًا لِلصَّوْمِ أَوْ عَدَمِ الْأَكْلِ نَتِيجَةٌ جَيِّدَةٌ لِيُضَخِّمَ الْكَلَامَ الذِّهْنِيَّ وَالرُّؤْيَةَ مِنْ بُعْدٍ. وَلُوحِظَ أَنَّ وَقْتَ زِيَادَةِ قُوَّةِ التَّخَاطُرِ هُوَ وَقْتُ الْفُطُورِ، وَيُظَنُّ أَنَّهَا لِاجْتِمَاعِ شَرْطَيْنِ: شَرْطِ هُدُوءِ وَقْتِ الْمَغْرِبِ الشَّدِيدِ فِي رَمَضَانَ وَاللَّيْلِ طَبْعًا، وَشَرْطِ الصَّوْمِ. وَيُظَنُّ أَنَّ لِتَغَيُّرِ فِيزْيُولُوجِيَّةِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ إِنْ هُوَ دَاوَمَ عَلَى صَوْمٍ لِعَدِيدِ الْأَيَّامِ دَوْرًا مُعِينًا فِي تَقْوِيَةِ التَّخَاطُرِ وَظَوَاهِرِ الـ PSI.

1. أَيْضًا يُظَنُّ أَنَّ لِفَرْحَةِ إِفْطَارِ الصَّائِمِ الشَّدِيدَةِ لَحْظَةَ الْإِفْطَارِ كُلَّ يَوْمٍ يَكُونُ لَهَا نَصِيبٌ مِنَ التَّأْثِيرِ عَلَى تَقْوِيَةِ التَّخَاطُرِ، إِذًا لِلْبَهْجَةِ دَوْرٌ إِيجَابِيٌّ جِدًّا فِي الظَّاهِرَةِ أَوْ زِيَادَةِ نِسْبِيَّةِ الْأَسْتِيلِ كُولِين، أَيْ أَنَّنَا كُلَّنَا كُنَّا فِي سُرُورٍ لَحْظَةَ الْإِفْطَارِ (وَهَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ لَدَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ عَنَاءِ صَوْمِ يَوْمٍ كَامِلٍ) وَالْبَهْجَةُ جَعَلَتِ الْإِرْسَالَ وَالِاسْتِقْبَالَ أَقْوَى لَدَى كِلَيْنَا.

تَأْثِيرُ الْمُحِيطِ السَّمْعِيِّ وَالْوَعْيِ

لُوحِظَ أَنَّ زِيَادَةَ صَوْتِ الْمُسَجِّلَةِ لَا يَمْنَعُ وُصُولَ وَ إِرْسَالَ الْكَلَامِ الذِّهْنِيِّ وَالتَّخَاطُرِ .. بَلْ عَلَى الْعَكْسِ فِي مُعْظَمِ الْأَحْيَانِ يَرْكَبُ صَوْتُ الْمُسْتَقْبِلِ الَّذِي يُكَلِّمُنِي مِنْ خَلْفِ جِدَارٍ .. يَرْكَبُ صَوْتَهُ الْخَافِتَ صَوْتُ الْمُسَجِّلَةِ الْقَوِيُّ وَيَصِلُ بِنَفْسِ شِدَّةِ وَارْتِفَاعِ صَوْتِهَا.

غَيْرَ أَنَّهَا تَمْنَعُ عَنِّي وُصُولَ الْأَصْوَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ الْخَارِجِيَّةِ .. فَتُعَيِّشُنِي دَاخِلَ الْغُرْفَةِ .. فَتَمْنَعُ عَقْلِي عَنِ التَّفْكِيرِ إِلَّا فِي الْغُرْفَةِ وَمَا خَلْفَ الْجِدَارِ .. فَلَا أَتَوَاصَلُ إِلَّا مَعَ هَذَا الْمُحِيطِ .. إِذَنْ يَبْدُو أَنَّ الْأَمْرَ مِنْ قَبْلُ دَاخِلِيًّا فِي أَعْمَاقِ عَقْلِي .. فَعِنْدَ عَجْزِهِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْأَصْوَاتِ الْحَقِيقِيَّةِ لِلْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ .. أَصْدَرَ أَمْرَهُ الْمُسْبَقَ بِفَشَلِ تَجْرِبَةِ التَّخَاطُرِ مَعَ هَذَا الْعَالَمِ فَأَصْبَحَ لَا يُقِيمُ لَهَا وَزْنًا .. بَلْ يُعْدِمُ حَتَّى الْمُحَاوَلَةَ .. (لِلْإِشَارَةِ فَإِنَّ التَّخَاطُرَ الَّذِي أَقْصِدُهُ هُوَ قُدْرَتِي عَلَى سَمَاعِ الْكَلَامِ الذِّهْنِيِّ فَقَطْ .. أَمَّا الْإِرْسَالُ فَإِنَّهُ لَا يَتَأَثَّرُ أَبَدًا .. سَوَاءٌ كَلَامِي الذِّهْنِيُّ أَوِ الْمَنْطُوقُ وَسَائِرُ أَفْكَارِي وَأَحَاسِيسِي وَقُدْرَةُ الْمُسْتَقْبِلِينَ عَلَى رُؤْيَتِي مِنْ بُعْدٍ).

كَمْ هُوَ سَعِيدٌ مَنْ يَسْتَطِيعُ الْبَحْثَ عَنْ مُسَبِّبَاتِ الْأَشْيَاءِ .. فرْجِيلُ

أَحْبَبْتُ أَخِيرًا تَوْسِيعَ دَائِرَةِ رُؤْيَتِكُمْ لِلْمَوْضُوعِ بِالرُّجُوعِ خُطُوَاتٍ لِلْوَرَاءِ .. لِمَعْرِفَةِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عَلَاقَةٌ بِمَوْضُوعِنَا.

طفولتي: نَشْأَةُ الظَّوَاهِرِ خِلَالَ مَرَاحِلِ الْحَيَاةِ

"سَهْلٌ جِدًّا أَنْ نَجْلِسَ وَنُلَاحِظَ مَا يَجْرِي .. الصَّعْبُ هُوَ أَنْ تَقُومَ وَتَفْعَلَ شَيْئًا بِنَاءً عَلَى مَا لَاحَظْتَ."

كَمَا قُلْتُ لَكُمْ، هَذِهِ الْإِمْكَانِيَّاتُ الَّتِي وَهَبَنِي إِيَّاهَا اللهُ أَوْ غَيَّرَتْ بَعْضَ فِيزْيَاءِ جِسْمِي لَمْ تَكُنْ وَلِيدَةَ لَحْظَةٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ تَارِيخٍ مُعَيَّنٍ.. بَلْ تَطَوَّرَتْ عَلَى مُخْتَلِفِ مَرَاحِلِ حَيَاتِي الْمُتَعَدِّدَةِ. أَسْعَدُ فِي سَرْدِ مَا هُوَ عَلَى عَلَاقَةٍ بِمَوْضُوعِنَا لَكُمْ:

بِالطَّبْعِ طُفُولَتِي لَمْ تَكُنْ مُمَيَّزَةً عَنْ بَاقِي أَقْرَانِي بَلْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ عَادِيَةٍ بِالنِّسْبَةِ لِي، بَيْدَ أَنَّ كُلَّ طِفْلٍ يَتَمَيَّزُ بِحَيَاتِهِ بِأَبْسَطِ عِبَارَةٍ. فَقَدْ كُنْتُ بِشَهَادَةِ الْكُلِّ طِفْلًا ذَكِيًّا جَمِيلَ الْهَيْئَةِ مُحِبًّا لِلْمُطَالَعَةِ شَدِيدَ الْحِفْظِ لِلْمَعْلُومَاتِ. كُنْتُ مِنْ هُوَاةِ مُطَالَعَةِ كُلِّ مَا هُوَ تَقْنِيٌّ وَتِكْنُولُوجِيٌّ بِالْإِضَافَةِ لِلْكُتُبِ أَوِ الْمُجَلَّدَاتِ الدِّينِيَّةِ طَبْعًا.

طَالَعْتُ الْمُجَلَّدَاتِ الدِّينِيَّةَ لِأَنَّهَا كَانَتْ أَكْثَرَ مَا يَكُونُ مَكْتَبَتَنَا الْمَنْزِلِيَّةَ.. لِكَوْنِي ابْنَ إِمَامِ الْبَلَدِيَّةِ الَّتِي أَسْكُنُ فِيهَا.. مَا سَاهَمَ فِي تَرْسِيخِ بَعْضِ مَعَالِمِ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فِي نَفْسِي مُنْذُ نُعومَةِ أَظْفَارِي تَرْبِيَةً وَنَشْأَةً وَدِرَاسَةً، فَكَوَّنَتْ لِي مُطَالَعَتِي الدَّائِمَةُ حُبًّا لِلتَّعَبُّدِ.. وَهُوَ الْأَسَاسُ الْمَتِينُ الَّذِي كَوَّنَ مَا أَسْتَفِيدُ مِنْهُ فِي مَرْحَلَةِ مَا بَعْدَ مُرَاهِقَتِي.. أَيْ أَنَّنِي بَنَيْتُ قَاعِدَةً صُلْبَةً كَقَاعِدَةِ الْهَرَمِ.

عَلَى الْعُمُومِ بِالنِّسْبَةِ لِظَوَاهِرِ الـ PSI فَلَمْ يَكُنْ لَهَا اهْتِمَامٌ عِنْدِي إِلَّا كَاهْتِمَامٍ بِمَوْضُوعٍ لَسْتُ أَجِدُ لَهُ تَفْسِيرًا.. وَلَعَلَّ أَبْرَزَ مَظَاهِرِ التَّخَاطُرِ هُوَ أَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَأَنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا يَهُمُّ عَلَى الْقَوْلِ بِشَيْءٍ فَيَجِدُ صَدِيقَهُ أَوْ قَرِيبَهُ **يَقُولُ نَفْسَ الْأَمْرِ**[24] وَبِنَفْسِ السِّيَاقِ مَا يَجْعَلُ النُّفُوسَ حَائِرَةً وَفِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَحْيَانِ كُنَّا نَضْحَكُ عَلَى سَبِيلِ هَذِهِ الْمُصَادَفَاتِ، أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ كُنَّا نَحْسَبُهَا مُصَادَفَاتٍ.. وَحَتَّى فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كُنَّا نَقْرَأُ عَنْ تَنَاغُمِ الْعُقُولِ.. وَكُنَّا نَحْسَبُ أَنَّ الْعَاطِفَةَ تُجَاهَ مَنْ يَتَوَافَقُ مَعَنَا هِيَ الْمَسْؤُولَةُ عَنْ ذَلِكَ.

بَيْدَ أَنَّهُ بِتَقَدُّمِي فِي الْعُمْرِ كَثُرَ اطِّلَاعِي وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ لَهُ عَلَاقَةٌ بِانْتِقَالِ الْفِكْرِ وَالْفِكْرَةِ فِي تِلْكَ الْمَسَاحَةِ بَيْنَ الشَّخْصَيْنِ.. كَأَنَّ هَذَيْنِ الشَّخْصَيْنِ

---

[24] **يقولون:** إن العقل الباطن ينطق الكلمة قبل العقل الواعي ويسمعها من تكلمه بعقله الباطن ويترجمها نطقًا باللسان، لذلك يحدث التوافق.

قَابِلَانِ لِلْإِرْسَالِ وَالاِسْتِقْبَالِ نَفْسَ الْفِكْرَةِ دُونَ عَنْ سَائِرِ الْمَوْجُودِينَ أَوْ هِيَ حَقِيقَةُ تَنَاغُمٍ عَقْلِيٍّ يَحْدُثُ بَيْنَنَا.

ظَاهِرَةٌ أُخْرَى اتَّضَحَ أَنَّ لَهَا عَلَاقَةً بِالتَّخَاطُرِ وَانْتِقَالِ الْفِكْرَةِ، هِيَ ظَاهِرَةُ إِحْسَاسِ الْأُمِّ بِابْنِهَا عِنْدَ حُصُولِ أَيِّ خَطْبٍ لَهُ، فَفِي الْكَثِيرِ مِنَ الْأَحْيَانِ كَانَتْ تَحْصُلُ أَوْ تُرْوَى أَمَامِي قِصَصٌ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، فَكَانَتْ فِي مُعْظَمِ الْمَرَّاتِ وَمَعَ صِغَرِ سِنِّي تَجْعَلُنِي أُفَكِّرُ بِحَيْرَةٍ فِي طَرِيقَةِ حُدُوثِ ذَلِكَ.

وَأَيْضًا كَانَتِ الظَّاهِرَةُ الْمَشْهُورَةُ شَعْبِيًّا (ظَاهِرَةُ إِحْسَاسِ الْأُمِّ بِابْنِهَا أَوْ ابْنَتِهَا) تُفَسَّرُ لِي أَوْ أَمَامِي تَفْسِيرًا سَطْحِيًّا لَا يَمُتُّ لِلْعِلْمِ بِصِلَةٍ، كَالْقَوْلِ أَنَّهَا "قِطْعَةٌ مِنْ كَبِدِهِ" لِهَذَا تَحْسَبُهُ أَوْ بِهَا.

وَهِيَ الْأُخْرَى -أَيِ الظَّاهِرَةُ- كَانَ لَهَا عَلَاقَةٌ مَعَ اسْتِقْبَالِ الْأُمِّ لِإِحْسَاسِ الاِبْنِ بِالْخَوْفِ أَوِ الرُّعْبِ فَتُحِسُّ بِانْقِبَاضٍ وَتُفَكِّرُ فِيهِ، بِدُونِ أَنْ تَجِدَ لَهُ تَفْسِيرًا.

أَمَّا الْمَظَاهِرُ الْأُخْرَى الَّتِي كُنْتُ أَشُكُّ أَنَّ لَهَا عَلَاقَةً بِظَاهِرَةِ الْـ PSI (التَّخَاطُرِ - الاِسْتِبْصَارِ) فَهِيَ ظَاهِرَةٌ حَيَّرَتْنِي جِدًّا، أَلَا وَهِيَ الظَّاهِرَةُ الَّتِي سُمِّيَتْ بِظَاهِرَةِ "الدِيجَافُو" (Déjà vu) أَوْ ظَاهِرَةِ "شُوهِدَ مِنْ قَبْلُ" (وَسَيَأْتِي شَرْحُهَا).

بِصَرَاحَةٍ هَذِهِ الْحَادِثَةُ حَيَّرَتْنِي جِدًّا، حَتَّى أَنَّنِي وَفِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ سَأَلْتُ عَلَيْهَا بَعْضَ رُفْقَتِي وَقْتَهَا فَأَجَابُونِي بِأَنَّ نَفْسَ الشَّيْءِ يَحْدُثُ مَعَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَلَكِنْ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْهُمْ تَفْسِيرًا لِلْحَادِثَةِ، وَقْتَهَا.

أَظُنُّ أَنَّهَا الظَّوَاهِرُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي صَادَفَتْنِي فِي طُفُولَتِي وَيُمْكِنُ أَنْ نُضِيفَهَا فِي خَانَةِ ظَوَاهِرِ الـ PSI.

مراهقتي:

"التَّحفِيزُ هُوَ مَا يَجْعَلُكَ تَبْدَأُ.. الْعَادَاتُ هِيَ مَا تَجْعَلُكَ تَسْتَمِرُّ."

مَعَ تَقَدُّمِ سِنِّي وَمُضِيِّ الْأَعْوَامِ اتَّسَعَتْ مُخَيِّلَتِي.. ازْدَادَتْ فِطْنَتِي وَاسْتِيعَابِي وَفَهْمِي لِلْأَحْدَاثِ بِفِعْلِ الْمُطَالَعَةِ، وَلَعَلَّ أَهَمَّ مَا أَثَارَ لَهْفَتِي لِمُطَالَعَتِهِ هُوَ دُرُوس وَمُحَاضَرَاتُ التَّنْمِيَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَكَانَ بَطَلِي فِيهَا الدُّكْتُورُ إِبْرَاهِيمُ الْفِقِيُّ. فَكَمَا يَقُولُ وِلْيَمْ جِيمْسُ: «إِذَا أَبْدَيْتَ اهْتِمَامًا كَافِيًا بِنَتِيجَةٍ، مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا»، أَبْدَيْتُ أَنَا أَهْمِيَّةً خَاصَّةً لِفَنِّ الاتِّصَالِ اللَّامَحْدُودِ أَوِ (NLP)، الْبَرْمَجَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَصَبِيَّةِ، وَفِيهَا كَيْفِيَّةُ تَعَلُّمِ مَهَارَاتِ اتِّصَالِ الشَّخْصِ بِذَاتِهِ وَاتِّصَالِهِ بِالْغَيْرِ.

أَمَّا مَهَارَاتُ الاتِّصَالِ بِالذَّاتِ فَمَبْنِيَّةٌ عَلَى أَقْسَامٍ مُتَدَرِّجَةٍ تَبْدَأُ بِالْإِحْسَاسِ بِالذَّاتِ وَاتِّبَاعِ نُمُوذَجِ التَّغْيِيرِ لِأَيِّ سُلُوكٍ سَيِّءٍ إِلَى سُلُوكٍ حَسَنٍ: مِنَ الْمُلَاحَظَةِ بِشَكْلٍ وَاعٍ لِلسُّلُوكِ.. ثُمَّ اتِّخَاذِ الْقَرَارِ بِأَنْ تَفْعَلَ مَا يَلْزَمُ مِنْ أَجْلِ التَّغْيِيرِ، ثُمَّ التَّعَلُّمِ لِمَهَارَاتٍ جَدِيدَةٍ وَاتِّبَاعِ طَرِيقَةٍ عِلْمِيَّةٍ.. ثُمَّ الاسْتِيعَابِ أَيِ الْمُوَاظَبَةِ وَالْمُمَارَسَةِ الْيَوْمِيَّةِ.. ثُمَّ الْمُمَارَسَةِ تَحْتَ كُلِّ الظُّرُوفِ، ثُمَّ أَخِيرًا مُوَاصَلَةَ الْعَمَلِ حَتَّى الْإِنْجَازِ.

وَبَعْدَ نُمُوذَجِ التَّغْيِيرِ.. يَأْتِي التَّرْكِيزُ.. وَالْإِدْرَاكُ.. وَالْحَلُّ الْإِطَارِيُّ.. وَكَيْفِيَّةُ مِيلَادِ سُلُوكٍ جَدِيدٍ مُسْتَحَبٍّ.

كَانَ لِطُرُقِ اتِّصَالِ الْإِنْسَانِ بِذَاتِهِ وَطُرُقِ التَّرْكِيزِ الْجَيِّدَةِ وَجَلَسَاتِ الِاسْتِرْخَاءِ حِصَّةُ الْأَسَدِ فِي مُطَالَعَاتِي، فَعِنْدَ مُدَاوَمَتِي لِجَلَسَاتِ الِاسْتِرْخَاءِ فِي غُرْفَةٍ مُظْلِمَةٍ مُسْتَلْقٍ عَلَى ظَهْرِي مُغْمَضَ الْعَيْنَيْنِ مُسْتَغِلًّا هُدُوءَ الْغُرْفَةِ مَعَ الشَّهِيقِ وَالزَّفِيرِ بِطَرِيقَةِ (8-2-6)[25] لِلْوُصُولِ لِحَالَةِ الِاسْتِرْخَاءِ الْمُفِيدِ،.. بَعْدَهَا تَبَادَرَ لِذِهْنِي فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ فِكْرَةُ التَّخَاطُرِ مِنْ بُعْدٍ وَإِيصَالِ الْفِكْرَةِ.. بَعْدَ أَنْ سَقَطَ أَمَامِي بَحْثٌ خَاصٌّ يُعْنَى بِهِ.. أُعْجِبْتُ بِالْمَوْضُوعِ.. وَمَا زَادَ فُضُولِي هُوَ وُجُودُ أَشْخَاصٍ فِي حَيَاتِي تَرْبُطُنِي حَقِيقَةً بِهِمْ رَغْبَةٌ فِي وَصْلِهِمْ تَخَاطُرِيًّا.. اخْتَرْتُ أَقْرَبَهُمْ لِقَلْبِي وَالَّذِي كَانَ الشَّوْقُ إِلَيْهِ أَعْظَمَ مِنَ الْآخَرِينَ.. وَكَانَ الِاتِّصَالُ بَيْنَنَا مُسْتَحِيلًا.. فَأَقْبَلْتُ عَلَى التَّفْكِيرِ فِيهِ بِقُوَّةٍ وَأَتَكَلَّمُ بِكَلِمَاتٍ فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ وَالْهُدُوءِ مُغْمَضَ الْعَيْنَيْنِ فَوَجَدْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ يُرِيحُنِي.. فَوَاصَلْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ كُلَّمَا سَنَحَتْ لِي الْفُرْصَةُ أَسْتَرْخِي وَأُرَفِّهُ عَنْ نَفْسِي بِتَجْرِبَةِ التَّخَاطُرِ.. وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كُنْتُ أُجَرِّبُ إِحْدَى الْجَلَسَاتِ السَّمْعِيَّةِ لِلتَّنْمِيَةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي نَفْسِ الْغُرْفَةِ.

أَظُنُّ أَنَّ كُلَّ هَذَا كَانَ الْبِذْرَةَ الْأُولَى لِنَجَاحِي الْبَاهِرِ فِيمَا بَعْدُ.

وَاصَلْتُ تَجْرُبَةَ التَّخَاطُرِ مَعَ الرَّغْبَةِ الشَّدِيدَةِ لِنَجَاحِهَا مُسْتَمْتِعًا بِهَا فِي نَفْسِ الْوَقْتِ.. لَمْ أَكُنْ أَدْرِي أَنَّ الْأَمْرَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بَسِيطًا لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ..

---

[25] **الشهيق والزفير بطريقة (8-2-6):** أي الشهيق مع العد لـ 8، ثم الإمساك بالأكسجين مدة ثانيتين، ثم إخراج الزفير في 6 ثوانٍ.

الْمَزَايَا الَّتِي كَانَتْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي أُرِيدُ مِنْهُ اسْتِقْبَالَ مُرَاسَلَتِي هُوَ شَخْصٌ عَزِيزٌ عَلَى قَلْبِي تَرْبُطُنِي مَعَهُ عَوَاطِفُ قَوِيَّةٌ، وَلَمْ أَكُنْ أَجِدُ طَرِيقَةً أُخْرَى لِلتَّوَاصُلِ مَعَهُ غَيْرَ التَّخَاطُرِ لِكَوْنِهِ بَعِيدٌ عَلَيَّ.

تَوَالَتِ الْأَيَّامُ وَأَلِفْتُ ذَلِكَ، وَلَمْ أَظُنَّ أَنَّ ذَلِكَ نَجَحَ.. نَجَحَ الْأَمْرُ.. نَعَمْ نَجَحَ.. لَكِنْ لَيْسَ فِي نَفْسِ الْيَوْمِ، لَيْسَ فِي نَفْسِ الشَّهْرِ حَتَّى. كَانَتْ بَعْضُ إِرْسَالَاتِي تَصِلُ إِلَى الْمُسْتَقْبِلِ كَإِحْسَاسٍ غَامِرٍ بِالشَّوْقِ إِلَيَّ تَغَيَّرَ مَعَ السَّنَوَاتِ لِيُصْبِحَ إِحْسَاسًا أَكْثَرَ قُوَّةً وَبِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ لَمْ يَفْقَهْهُ.. وَبِدُونِ أَنْ يُعْلِمَنِي (إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَعَاظَمَ الْأَمْرُ وَاشْتُهِرَ حَالِي).

لَكِنْ بَعْدَهَا فِي 2013 وَدَائِمًا بِدُونِ عِلْمِي بِالْأَمْرِ، اتَّضَحَ أَنَّ الْإِرْسَالَ لَا يَسْرِي عَلَى مَا يُرَامُ، وَجَدْتُ الِاسْتِقْبَالَ عَشْوَائِيًّا، أَيْ أَنَّ الْمُسْتَقْبِلِينَ تَعَدَّدُوا، وَلَكِنْ كَانُوا يُوصِلُونَ لِي نَجَاحَ تَجْرِبَتِي بِأَنَّهُمْ حَلُمُوا بِي أَوْ رَأَوْنِي فِي الْحُلْمِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ.

تَوَاصَلَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَلَكِنْ تَخَاطُرِيًّا أَكْثَرَ مِنْهُ رُؤْيَةً مِنْ بُعْدٍ.. وَخِلَالَ تِلْكَ الْفَتْرَةِ أَصْبَحَ كَالْهِوَايَةِ بِالنِّسْبَةِ لِي.

أَمْرٌ آخَرُ أَصْبَحَ كَالْهِوَايَةِ بِالنِّسْبَةِ لِي.. فَقَدْ كُنْتُ أَسْتَرْسِلُ سَاعَةً تَقْرِيبًا كُلَّ يَوْمٍ فِي غُرْفَةٍ مُظْلِمَةٍ بِالذِّكْرِ الْمُتَوَاصِلِ.. وَالْمُفَاجَأَةُ أَنَّ كَلِمَاتِ ذِكْرِي الْمُتَوَاصِلَةَ كَانَتْ تُسْمَعُ تَخَاطُرِيًّا وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُ الْمُسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي (لَمْ يُوصِلُوا لِي نَجَاحِي إِلَّا بَعْدَ شُهْرَتِي وَمَعْرِفَةِ الْكُلِّ بِالْأَمْرِ).. وَتَوَالَتِ

النَّجَاحَاتُ - وَيَبْدُو أَنَّ الْبَعْضَ نَجَحَ فِي التَّعَرُّفِ إِلَيَّ - .. وَكَانَتْ لَا يُعبرُ عَنْهَا.. وَفِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يُعبرُ عَنْهَا بِنظَرَاتٍ مِنَ الرِّيبَةِ لِعَدَمِ فَهْمِهِمْ لِمَا يَجْرِي.

أَصْبَحْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَمْشِي، وَيُحِسُّ مَنِ اقْتَرَبَ مِنْهُ.. يُحِس بِطَاقَةٍ.. نَعَمْ يُحِسُّ كَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِي مَجَالٍ طَاقَوِيٍّ، أَوْ قُلْ يُحِسُّ أَنَّ شَيْئًا دَخَلَ رَأْسَهُ فُجْأَةً.. نَعَمْ أَصْبَحَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

هَذَا فِيمَا مَضَى.

لَكِنِ الْآنَ مَعَ تَطَوُّرِ الْأَمْرِ وَمُرُورِ الْأَيَّامِ أَصْبَحَ الْأَمْرُ عَادِيًّا وَمُمَارَسَةُ التَّخَاطُرِ مَعَ كُلِّ النَّاسِ الْمُحِيطِينَ بِي - سَوَاءٌ كُنْتُ مَاشِيًا أَوْ رَاكِبًا- أَمْرٌ أَكْثَرُ مِنْ عَادِيٍّ،.. كَمَا ذُكِرَ مِنْ قَبْلُ.. أَكْتُبُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَلَا أَدْرِي مَا سَيَحْدُثُ بَعْدَهَا، هَلْ سَيَخْتَفِي هَذَا الْوَضْعُ الطَّارِئُ فُجْأَةً؟ هَلْ سَيَتَطَوَّرُ إِلَى شَيْءٍ أَكْبَرَ؟ هَلْ؟ هَلْ؟ أَسْئِلَةٌ سَتُجِيبُ عَنْهَا الْأَيَّامُ الْقَادِمَةُ.

الفصل الثالث

مَاذَا قَالَ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ عَنِ التَّخَاطُرِ وَالرُّؤْيَةِ مِنْ بُعْدٍ؟

الْمَكَانَةُ الدِّينِيَّةُ لِلْقُدُرَاتِ الْخَارِقَةِ فِي الْإِسْلَامِ: التَّخَاطُرُ وَالِاسْتِبْصَارُ (رُؤْيَةُ مِنْ بُعْدٍ)

هَلْ هِيَ كَرَامَةٌ؟

عَلَاقَةُ عِلْمِ تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ بِالرُّؤْيَةِ عَنْ بُعْدٍ.

مَا عَلَاقَةُ التَّخَاطُرِ بِالسِّحْرِ؟

لِمَاذَا نَرَى صُوَرًا اسْتِبْصَارِيَّةً؟

- ظَاهِرَةُ "شُوهِدَ مِنْ قَبْلُ" (الْدِيجَافُو):
  - o الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ لِظَاهِرَةِ "شُوهِدَ مِنْ قَبْلُ".
  - o الْبَحْثُ الدِّينِيُّ لِظَاهِرَةِ "شُوهِدَ مِنْ قَبْلُ".

هَلْ هِيَ مُعْجِزَةٌ؟

هل هي كرامة؟

عَرف التاريخ الإسلامي ظاهرة "التخاطر" (Telepathy) في أبهى صورها خلال عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد امتلك عمر قدرةً وُصفت بأنها هِبة إلهية مكنته من إرسال الأفكار والتوجيهات عن بُعد. فسر العرب والعلماء المسلمون هذه الظاهرة قديماً بأنها منحة ربانية للمؤمنين، ترتبط بصفاء الروح وقوة الإيمان، وتؤدي إلى بلوغ "البصيرة" (Clairvoyance) وتبادل الأفكار ذهنياً.

وتجلى حقيقة هذه الحادثة حينما أرسل عمر بن الخطاب جيشاً إلى بلاد الشام بقيادة "سارية بن زنيم". وبينما كان عمر يخطب على المنبر في المدينة المنورة، صرخ فجأة: "يا ساريةُ الجبل، يا ساريةُ الجبل!"، ثم صمت دون أن يفهم الحضور مغزى قوله. وعند عودة الجيش، ذكر سارية أنهم حوصروا من قبل العدو، وفي تلك اللحظة الحرجة سمع صوت عمر يرشدهم للجوء إلى الجبل، فكان ذلك سبباً في نجاتهم وتحقيق النصر.

تفسير ما حدث مع عمر بن الخطاب يستند إلى الحديث النبوي الشريف: "إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم مُحَدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب" (متفق عليه). وقد أوضح المناوي في (فيض القدير) أن "المُحَدَّث" هو المُلهم الذي يُلقى في رُوعه الشيء عن طريق "المكاشفة" (Intuition/Revelation) من الملأ الأعلى، أو هو

مَن يجري الصواب على لسانه دون قصد، أو مَن يتسم بـ "صِدق الظن" وكأنه يُخاطب من عالم الملكوت. تُصنف هذه الظاهرة في الفكر الإسلامي كـ "كرامة" يُكرم الله بها أولياءه الصالحين، وهي منزلة روحية رفيعة.

قال القرطبي: قوله "فإن يكن" يشير إلى ندرة وقوع هذه الظاهرة، وأن المراد بـ"المُحَدَّثين" ليس مجرد من يظنون فيصيبون؛ إذ إن قوة الحدس شائعة لدى العلماء وحتى العوام، ولو كان الأمر كذلك لانتفت الخصوصية عن الخبر وعن عمر رضي الله عنه. ومعنى الخبر قد تحقق في عمر قطعاً، وقد دلت شواهد كثيرة على ذلك، أبرزها حادثة "يا سارية الجبل"، وأصدق دليل هو شهادة النبي ﷺ له بقوله: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه".

تُصنف هذه الحادثة علمياً ضمن ظواهر "المكاشفة والإلهام" (Intuitive Revelation)، وهي كرامة من الله لعمر. وما يؤكد خروجها عن المألوف الفيزيائي هو أنها لم تقتصر على "الإدراك الحسي الفائق" (Extrasensory Perception) لعمر بحال الجيش، بل شملت "تأثيراً صوتياً عابراً للمسافات" أتاح لسارية سماع التوجيه والعمل به ميدانياً.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الواقعة تختلف جوهرياً عن مفهوم "تحضير الأرواح" (Spiritism) الشائع. ولعل التفسير التحليلي يكمن في

"الارتباط الوجداني والمسؤولية القيادية" التي حملها عمر، إذ أدى انشغاله الذهني العميق بمصير الجيش إلى نوع من "التشابك النفسي" (Psychic Entanglement) الذي جسر الفجوة المكانية، فحدث التناغم بين إدراك القائد وإدراك الجنود في لحظة فارقة.

والله أعلم.

علاقة علم تفسير الأحلام بالإدراك الفائق (الرؤية عن بعد):

تُعرف الأحلام من منظور روحي بأنها سلسلة من المشاهدات التي يدركها الوعي أثناء حالة النوم. وتُصنف مسبباتها علمياً وروحياً إلى ثلاثة أنواع:

1. **الاضطرابات العقلية العشوائية (أضغاث الأحلام):** وهي مشاهد غير مترابطة يخلقها العقل الباطن نتيجة تفاعلات عصبية، ولا تحمل دلالات رمزية أو تفسيرية.
2. **الإسقاطات النفسية:** ناتجة عن "التفكير الاستغراقي" في موضوع معين (كالعاطفة أو القلق)، حيث يعيد العقل صياغة الانشغالات اليومية في قالب صوري.
3. **الإدراك الروحي (الرؤيا الصادقة):** وهي المشاهد الناتجة عن اتصال الروح بمعلومات غيبية أو "حقائق عابرة للزمن والمكان".

في الحالة الثالثة، يصل الإنسان إلى حالة من "الاسترخاء العميق" (Deep Sleep/REM stage) تسمح للروح بنوع من "الخروج الجزئي" أو الاتصال بعوالم غير مادية، مع بقاء "الرابط الحيوي" الذي يحفظ استمرار العمليات الفسيولوجية للجسم.

في هذه الحالة، ينكشف للروح ما يُعرف بـ "المجال المعلوماتي غير المرئي"، فتدرك حقائق قد تكون مخفية عن الحواس المادية؛ مثل كشف

"الإصابات الروحية" أو رصد أحداث واقعية تجري في مكان بعيد (كحالات السرقة)، أو استشراف أحداث مستقبلية (الأرزاق والمقدرات).

ولأن العالم الروحي يتسم بكثافة معلوماتية تفوق قدرة الدماغ المادي على الاستيعاب المباشر، فإن العقل يترجم هذه الإدراكات القوية إلى "نظام رمزي". فمثلاً، قد يُترجم خطر السارق إلى هيئة "قطط سوداء"، أو الشيطان الموكل بالسحر إلى "عقرب أو أفعى". ومن الأمثلة التاريخية رؤيا فرعون التي تنبأت بزوال ملكه، وهي نموذج لـ "الاستبصار المستقبلي" (Precognition). ويُعد الأنبياء يوسف ودانيال -عليهما السلام- من أعظم من أوتي علم تأويل هذه الرموز، ومن أشهر المراجع في هذا العلم: ابن سيرين، والنابلسي، وابن شاهين.

ما علاقة التخاطر بالظواهر الروحانية والسحر؟

قد ينفي العلم الحديث علاقته بعوالم الماورائيات والشعوذة، ولكن من خلال استعراض أدبيات استحضار الكيانات الروحية وعبادة الأقانيم الشيطانية، وُجدت جوانب تعتمد على "التخاطر" (Telepathy) والجانب الروحي. تشمل هذه الجوانب التواصل مع عالم الغيب (الماضي والحاضر). لم تثبت العلوم الفيزيائية التقليدية آليات انتقال الأفكار هذه بعد، لكن بعض التفسيرات الماورائية قدمت تفسيراً للأمر؛ لذلك يجب على الباحث دراسة الأمر جيداً قبل اللجوء إلى ممارسة التخاطر تجريبياً.

اختلف تعريف السحر والتنبؤات قليلاً عن التصور النمطي؛ فهو يمثل انتزاع وإرسال الأفكار للعقل البشري، ولكن من خلال التواصل مع كيانات روحية (سواء "الأرواح الطيبة" أو "القرين" أو عبر الفعل الشيطاني). تتشابه الجلسات التخاطرية مع جلسات تحضير الأرواح والجن في بعض الجوانب الشكلية. ويستخدم السحرة التخاطر في التعرف على ماضي وحاضر "المريض" للتمكن من السيطرة على أفكاره وتسهيل توجيهه.

لا يمكن تفسير ترابط التخاطر بالعلوم الروحانية والسحر إلا عبر فهم آلية ولوج "الطاقة السحرية" واستغلالها لفرصة حدوث خلل في "الهالة الطاقية" (Aura) للإنسان.

ما هي طاقة السحر؟

يتساءل الناس منذ زمن بعيد عن آلية عمل السحر في الجسد؟ وكيف يسبب الفرقة؟ والمحبة القهرية؟ والأمراض العضوية والنفسية؟ وكيف يدخل الكيان غير المرئي (الجني) في الجسد ويؤثر من الخارج؟ وكيف يُبعد؟ وكيف تعمل تقنيات السحر المختلفة (المرشوش، المدفون، المأكول، المشروب)؟ وكيف يغير كيان لا يُرى سلوك كائنات مرئية ومسموعة؟

أسئلة كثيرة تتطلب إجابات علمية ومنهجية. نحتاج في البداية إلى مقدمة عن "علم الطاقة" (Energetics) لكي نستطيع فهم كيفية عمل السحر.

بما أن الإنسان يتكون من مادة، والجن من مادة (نارية)، والسحر من مادة (فيزيائية أو طاقية)، وجب أن نرجع هذه المواد إلى أصلها لنعلم كيف يؤثر بعضها في بعض وكيف يتقي بعضها شر بعض.

علينا أن ندرك حقيقة علمية أساسية وهي أن أساس الكون المادي عبارة عن علاقة متبادلة بين "الطاقة" و "المادة"، وأن المادة عبارة عن طاقة حبيسة، وقد أثبت ذلك العالم "ألبرت آينشتاين" بمعادلته الشهيرة ($E=mc^2$). فالمادة التي نراها بأعيننا ونمسكها بأيدينا تشغل في هذا الكون حيزاً، لكنها قد تتخلى عن صفات التجسيد هذه وتتحرر من قيودها وتنطلق على هيئة طاقة أو موجات تتحدى قيود المكان والزمان. وكان

إنتاج الطاقة النووية وصناعة القنبلة النووية من ثمار هذا الاكتشاف الكبير.

توجد "سرعة معينة" (Threshold Velocity) إذا بلغها أي جسم، يتحول بعدها إلى "طاقة" ويتخلى عن الشكل المادي له تماماً، وهي تحديداً سرعة الضوء. والطاقة، كما هو معروف في الفيزياء، تتشكل في صور متعددة: طاقة حرارية، وميكانيكية، وصوتية، وضوئية، وكهربائية، ومغناطيسية.

في سياق الوجود الكوني، يوجد "المادة" و "الروح". المادة، في الفلسفات القديمة والكيمياء الكلاسيكية، تتكون من عناصر أربعة: التراب، والماء، والهواء، والنار، ولها ثلاث حالات تحول فيزيائي: الحالة الصلبة، والسائلة، والغازية. كل ما في الوجود المادي عبارة عن مركبات كيميائية وطاقة وذبذبات، ويمتلك أطوالاً موجية معينة، مثل: الإنسان، والجن، والحيوانات، والجمادات. وتخضع المادة لقانون حفظ المادة والطاقة، فهي لا تُعدم ولا تُخلق من جديد، بل تتحول من مركب إلى آخر.

إن القوام البيولوجي لجسم الإنسان هو مركب طيني (ماء + تراب)، بالإضافة إلى الروح التي لا تنطبق عليها خصائص المادة ولا تتحول من حالة إلى أخرى، لكنها تنتقل بين العوالم الوجودية المختلفة.

يستمد الإنسان الطاقة اللازمة للاستمرار في العيش والبقاء من مصدرين أساسيين للطاقة الحيوية:

1. الطاقة الأصلية (Congenital/Inherited Energy):

وهي الطاقة الوراثية التي يكتسبها من والديه، ووظائفها تشمل: النمو، الوظائف الجنسية، بناء العظام، وتطور الدماغ. وتعتمد الصحة العامة للإنسان على مدى قوة هذه الطاقة الكامنة.

يُعتقد أن مكان تخزينها يقع تحت السرة بأربعة أصابع، وهو الموقع التشريحي لما يُعرف بـ "عجب الذَّنَب" (عظمة العصعص). وقد أوضح علم الأجنة الحديث أن عجب الذنب يمثل "الشريط الأولي" (Primitive Streak)، وهو البنية الأساسية التي يتكون منها الجنين بكافة طبقاته، وخاصة الجهاز العصبي، ثم يندثر هذا الشريط ولا يبقى منه إلا أثر في العظم العصعصي.

تتفق المعطيات العلمية والروحية في الإشارة إلى أهمية هذه العظمة، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين النفختين أربعون... ثم ينزل الله من السماء ماءً، فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظماً واحداً، وهو عجب الذنب، ومنه يُركب الخلق يوم القيامة). وفي رواية

أخرى: (كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خُلق وفيه يركب).

تعتمد صحة الإنسان وقوته الحيوية ومعدلات نموه على مدى نشاط هذا المركز الطاقي الأصلي، فكلما ارتفعت كثافة الطاقة في هذه المنطقة، زادت ممانعة الجسم الفيزيائي لاختراق "الترددات السحرية" أو الطفيلية. ومع ذلك، فإن هذه الطاقة قابلة للاستنزاف بمعدلات قد تفوق قدرة الجسم على التعويض الحيوي (Bio-regeneration)، وذلك نتيجة الأنماط الحياتية والعادات السلبية، لذا يُلاحظ أن المصابين بأمراض عضوية أو روحية (كالسحر والمس والعين) يشكون غالباً من اضطرابات في هذه المنطقة بشكل دائم أو متقطع.

أما النوع الثاني فهو الطاقة المكتسبة (Acquired Energy):

وهي الطاقة التي يستمدها الكائن البشري من خلال العمليات الفسيولوجية كالتنفس والتغذية، ومن البيئة المحيطة، والأنماط السلوكية الإيجابية كالنشاط الاجتماعي التفاعلي (فعل الخير) والممارسات الروحية (العبادات). يحدث تكامل وتفاعل ديناميكي بين الطاقة المكتسبة والطاقة الأصلية، فجودة ونقاء الطاقة المكتسبة تسهل الأداء الوظيفي للطاقة الأصلية، والعكس صحيح.

يقع مركز هذه الطاقة في منطقة "القفص الصدري"، وهي مرتبطة وظيفياً بسلامة القلب والجهاز التنفسي، وتعد مستقراً للاستجابات الوجدانية (الإيمان، البر، الإحسان) أو الاضطرابات النفسية (الوسوسة). لذا، يشعر الأفراد بضيق في هذه المنطقة عند الأزمات النفسية أو الروحية، كما يشعر السليم فيها بالانشراح والبهجة. وقد كانت هذه المنطقة محل اهتمام نبوي؛ ففي الحديث عن علي رضي الله عنه قال: (ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على صدري وقال: اللهم اهدِ قلبه وسدد لسانه)، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (استفتِ قلبك وإن أفتاك الناس)، دلالة علمية على قوة هذا المركز الإدراكي والاعتماد عليه في اتخاذ القرارات المصيرية.

وفي الإطار الكوني، يحيط بنا "مجال طاقي" (Universal Energy Field) أوجده الخالق للحفاظ على التوازن الحيوي. وقد أثبتت الدراسات أن هذا المجال متغلغل في كافة الأجسام المادية واللامادية، وهو الوسط الناقل للذبذبات الفكرية، والمشاعر، والإشارات الروحية (بما فيها التخاطر والظواهر الـ PSI).

تعمل الطاقة الكونية كحلقة وصل وتدفق بين الأجسام المادية كافة؛ حيث يُمكن للأفراد استشعار "البصمة الطاقية" أو الترددات الصادرة عن غيرهم، سواء كانت إيجابية أو سلبية، مما يولد ردود فعل لا إرادية.

فالطاقة الإيجابية تخلق حالة من "الرنين الجاذب" (Attraction Resonance) تجعل المحيطين يشعرون بالارتياح والانسجام، بينما تؤدي الطاقة السلبية إلى حالة من "التنافر الترددي" ينفر منها الآخرون، وهذا يفسر جانباً من ظواهر التخاطر (Telepathy) والتشابك الوجداني، كما يوضح آلية تأثير السحر عن بُعد.

وتتسم هذه الطاقة بالخصائص التالية:

1. **التدفق التبادلي:** تنساب الطاقة من جسم لآخر، مما يفسر التأثير المتبادل بين الإنسان والجن، وبين الكائنات الحية والجمادات.

2. **قانون التربيع العكسي للكثافة:** تضعف شدة الطاقة كلما زادت المسافة عن مصدرها، لذا يعمد السحرة إلى وضع "السحر المرشوش" في محيط المستهدف لضمان أعلى تركيز طاقي للتأثير.

3. **قانون الرنين (Resonance):** تخضع الطاقة لقاعدة الاهتزاز المتجانس، فكما تهتز الشوكة الرنانة استجابة لتردد مماثل، يتناغم فكر الإنسان مع رفيقه عند توحد الترددات الذهنية.

يفسر هذا النظام الفيزيائي شعورنا بالراحة أو الانقباض تجاه أماكن أو أشخاص، وكذا التأثير على الحيوانات دون لغة مشتركة، فصراخك أمام قطة يثير لديها ذبذبات الخوف عبر "الاتصال الطاقي" رغم اختلاف الإدراك البصري لديها. إننا جميعاً متصلون عبر شبكة طاقية موحدة تؤثر

ونتأثر بها رغم اختلاف تركيبنا البيولوجي. وتعد هذه الطاقة الأثيرية، بجانب طاقة الأرض، الوقود الأساسي للخلية البشرية، حيث يتم امتصاصهما عبر مراكز الطاقة (Chakras) لتوزيعهما على الهالة (Aura) وكافة الأنسجة الحيوية.

إن هالة الإنسان (Human Aura) هي عبارة عن مجال طاقي حيوي يتكون من أجسام ضوئية تحيط بالجسم المادي، ويمكن أن يطلق عليها مصطلح "مجال الطاقة البشري" (HEF - Human Energy Field). تتسم هذه الهالة بأنها طاقة ديناميكية في حالة تغير مستمر وحركة متواصلة، وهي دائمة النمو والتطور استجابة للأنماط الفكرية، والعادات، والأفعال. كل ما يقوم به الفرد يُسجل على الهالة الخارجية على هيئة "ترددات لونية وذبذبات" يمكن للكائنات الأخرى إدراكها. يمكن وصف طاقة الهالة بأنها تتمتع بـ "سيولة طاقية" أو حالة غير ثابتة تتأثر بالحالة النفسية والفكرية للإنسان. وقد تمكن العلم الحديث من قياسها عبر تقنيات تصوير مخصصة مثل "أجهزة كرليان" (Kirlian Photography)، والتي تقدم منظوراً قريباً مما تدركه الكائنات غير المرئية (الجن) بالعين الباطنية.

نحن لا نستطيع عادة رؤية الهالة الخارجية لنا بالعين المجردة، لكن الكائنات الماورائية تستطيع ذلك؛ فهم يدركونها بصورة قريبة من تلك

التي تظهرها أجهزة القياس، ويعرفون مواطن الضعف الطاقي (Vulnerabilities) في جسدك أو مستوى "التردد الإيماني" لديك. يستطيع الكيان غير المرئي اختراق هالتك فقط في حالة ضعفها. تضعف الهالة بسبب السلوكيات السلبية والذنوب، مثل: الزنا، والغيبة، والنميمة، وإيذاء الآخرين. كلما ارتُكب ذنب، يحدث "ثقب طاقي" (Energy Leakage) في الهالة الخارجية، مما يسهل دخول "الطاقة السلبية" للحسد أو السحر إلى الجسد. إذا كانت هالتك قوية ومنسجمة، فإن تأثير أي طقس سحري يفشل تماماً.

لتقوية الهالة والحفاظ على سلامتها الفطرية، يُطلب من الفرد الابتعاد عن السلوكيات السلبية. فالله سبحانه وتعالى قد وكل بنا "حماية إلهية" تتمثل في ملاك مخصوص للحماية من هجمات العالم الآخر (الجن والشياطين)، لكن هذه الحماية تنتهي بمجرد ارتكاب المعاصي، كما ورد في سورة يوسف، الآية 24: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾.

ما هو "البرهان" الذي رآه سيدنا يوسف وجعله يتراجع عن الهم؟ لقد رأى ملائكة الحماية تنصرف عنه عندما فكر في ارتكاب السوء نخاف ورجع عن تفكيره. طبعاً، الأنبياء لديهم القدرة على رؤية الملائكة، أما نحن فنؤمن بوجودهم دون أن نراهم. الله أخبرنا أن له جنوداً في

الأرض لا نراها، فإذا كنت تريد الحفاظ على هذا الملاك الخاص بحمايتك، فعليك بالابتعاد عن كل ما يغضب الله، وإذا وقع الذنب فعليك بالاستغفار والتوبة السريعة لكي تستعيد هذه الحماية الإلهية.

أثبتت الأبحاثُ المجريةُ عبر تقنية تصوير كيرليان (Kirlian Photography) ظاهرةً مذهلةً؛ فعند تصوير ورقة شجرٍ بُتِرَ جزءٌ منها، تظهرُ الصورةُ الإشعاعيةُ للورقةِ كاملةً وكأنَّ الجزءَ المفقودَ لا يزالُ موجوداً. يُعززُ هذا ما يُعرفُ بـ"تأثير الورقة الشبح" (Phantom Leaf Effect)، ويُثبتُ وجودَ الهالة أو المجال الحيوي (Biofield) المحيطِ بالأجسام المادية. يُمثلُ هذا "الجسد الأثيري" (Etheric Body) الوسيطَ الطاقيَّ بين العالم المادي والعوالم غير المنظورة.

نستنتجُ من ذلك أنَّ هالة الإنسان هي الواجهةُ التفاعليةُ التي تُمكّنُ الكياناتِ الماورائيةَ (الجن) من رصدِ الثغراتِ في الجسد؛ فإدراكُهم لا يقتصرُ على المظهر المادي، بل يمتدُّ ليشملَ فحصَ الهالة ومراكز الطاقة (Chakras) ومساراتها (Meridians). لذا، فإنَّ الحفاظَ على توازن وقوة هذا المجال الحيوي يُعدُّ خطَّ الدفاع الأول ضدَّ "التداخلات الطاقية السلبية" كالسحر والحسد.

يستمدُّ الإنسانُ طاقتَهُ من مصادرَ متعددةٍ:

1. **الطاقة الجوهرية:** وهي الطاقة الحيوية المرتبطة بـ"الروح" التي يولد بها الإنسان.

2. **الطاقة الكيميائية (الغذاء):** المستمدة من التغذية اليومية، وهنا يمكن تفسير "السحر المأكول والمشروب" كطاقة سلبية تتسللُ عبر هذا المسار.

3. **الطاقة الهوائية:** المستمدة من عملية التنفس، وتناظرها الطاقاتُ السلبيةُ الناتجةُ عن "السحر المعلق أو المباخر".

4. **الطاقة الوظيفية:** وهي الحصيلةُ الحركيةُ التي تتدفقُ في الأعضاء والمسارات الحيوية.

5. **الطاقة الجيوفيزيائية (الأرضية):** التي نتصلُ بها عبر الأقدام، وهي المسارُ الذي يستهدفه "السحر المدفون".

فيزيولوجياً، يبعثُ جسمُ الإنسانِ طاقةً حراريةً وكهربائيةً تُقدرُ بـ 84 واطاً في حالة الاسترخاء، وتتضاعفُ عشرَ مراتٍ أثناء النشاط الذهني الكثيف، ويشعُّ جزءٌ كبيرٌ منها على هيئة موجات كهرومغناطيسية. وتتناسبُ جودةُ هذا الإشعاع طردياً مع القوة الروحية واليقين، حيث تعملُ الممارساتُ الروحيةُ (كالتلاوة) على رفعِ تردداتِ هذه الهالة وتوسيع مداها.

تُعدُّ الهالةُ سجلاً طاقياً (Aura Spectrum) تَنطبعُ عليه الرغباتُ، العواطفُ، والأفكارُ، والحالةُ الصحيةُ عبر تغيّرِ أطيافها اللونيةِ وشكلها البيضوي. من خلال هذا "الجسد الذهني" (Mental Body)، يصبحُ الإنسانُ كالكتابِ المفتوحِ أمام الكيانات غير المنظورة، حيثُ يستطيعون قراءةَ ماهيَّتِهِ وتوجهاتِهِ، بل ونقلَ معلوماتِهِ، وذلك فقط في حالةِ حدوثِ "اضطرابٍ اهتزازي" أو ضعفٍ في الهالة ناتجٍ عن الانفصال عن المصدر الروحي.

لا بد لكل كائن حي من سريان الطاقة الحيوية (BioEnergy) بداخله، وبدونها يستحيل استمرار الحياة. نطلق عليها مصطلح "الطاقة البيولوجية". بل إن الجمادات تحتوي أيضاً على شكل من أشكال هذه الطاقة، مستشهدين بقوله تعالى: {وَمَا مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}. هذه دلالة على أن الجماد يمتلك شكلاً من الوعي الطاقي، لكن الفرق بينه وبين الكائنات الحية يكمن في غياب القدرة على الحركة الذاتية أو النطق الإرادي في الحياة الدنيا، حيث ستشهد هذه الجمادات وتنطق يوم القيامة بأمر الخالق.

من المعلوم في الفيزياء أن الإلكترون يدور حول النواة في مدارات محددة. لكن علماء الفيزياء الكمية توصلوا إلى حقيقة مذهلة عند رصد حركة الجسيمات الدقيقة في النواة (ميكانيكا الكم)، وهي أنها تتحرك

وتتخذ مساراً أو اتجاهاً بناءً على "توقع" أو "فكرة" الباحث الذي يقوم بالمراقبة (ظاهرة تأثير المراقب - Observer Effect).

خلص العلماء من ذلك إلى أن "الوعي" أو "الفكرة" بقوتها قد تؤثر في حركة الجزيئات الداخلية في النواة الذرية، وإذا كانت الفكرة أقوى أثرت بالذرة ككل، وإذا كانت أقوى أثرت بالبيئة المليئة بالذرات. وهذا ما يحدث تماماً في حالات "العين الحاسدة" (Evil Eye)، أو التخاطر (Telepathy)، أو إرسال الأفكار، أو الكشف الباطني (Clairvoyance)، أو السحر، أو الإلهام؛ فكلها آليات تأثير فكري أو طاقي.

للحماية من الأفكار السلبية للغير وصد تأثيرها، يُنصح بالمداومة على قراءة آيات التحصين من القرآن الكريم، بالإضافة إلى تقوية "اليقين الإيماني" بأن الله هو خير حافظ ورحمته واسعة. يجب عليك اعتناق فكرة أنك في حفظ الله ورعايته دائماً ما دمت مستقيماً على نهجه ومجتنباً للكبائر.

لماذا نرى صوراً استبصارية؟

ظاهرة "شُوهِدَ مِن قَبْلُ" (الديجافو - Déjà vu):

"وهم سبق الرؤية" أو الديجافو (Déjà vu) مصطلح فرنسي يعني "شُوهد من قبل"، أُطلق على هذه الظاهرة من قبل العالم إيميل بويرك في كتابه "مستقبل علم النفس". يقسمها بعض علماء النفس إلى ثلاثة أنواع فرعية: déjà vécu ("عُيش سابقاً")، وdéjà senti ("شُعر به سابقاً")، و déjà visité ("زُور سابقاً").[26]

الديجافو هو الشعور الغامر الذي ينتاب الفرد بأنه اختبر الموقف الحالي في الماضي. يلازم هذه الظاهرة إحساس بـ "المعرفة المسبقة" وشعور بـ "الرهبة" أو "الغرابة"، أو ما أسماه سيغموند فرويد بـ "الأمر الخارق للطبيعة". غالباً ما تكون التجربة السابقة التي يتهيأ لنا أننا عشناها قد حدثت في أحد الأحلام، ولكن في بعض الحالات النادرة، ثبت أن الموقف المدرك كان حقيقة قد وقع في الماضي البعيد ويتكرر الآن.

بالغ كثير من أصحاب المعتقدات الدينية أو المذاهب الباراسيكولوجية في ربط ظاهرة الديجافو بـ "القوى الخارقة" أو "التفسيرات ما وراء علم النفس" (Parapsychological Interpretations)، كتفسيرها بناءً على التخاطر (Telepathy)، أو التنويم المغناطيسي (Hypnosis)، أو

---

[26] - *Funkhouser, Arthur, Three types of déjà vu, 1996*

الأشباح (Ghosts)، إلى آخر ذلك من التفسيرات الظنية التي تفتقر إلى الأدلة العلمية القاطعة.

ظاهرة "شُوهد من قبل" هي من الظواهر التي كثر الجدل حول تفسيرها، ومعظم هذه التفسيرات محض ظنون، وإن كان بعضهم يحاول تفسيرها تفسيراً علمياً عصبياً (Neuroscientific) والبعض الآخر يحاول تعليلها دينياً. وفيما يلي أرجح هذه التفاسير:

الْبَحْثُ الْعِلْمِيُّ لِظَاهِرَةِ "شُوهِدَ مِنْ قَبْلُ" (الديجافو):

يُعزى التفسير العلمي الأكثر دقة لهذه الظاهرة إلى "شذوذ في الذاكرة" (Memory Anomaly)، حيث يرسل الدماغ إشارات كاذبة توحي بأن الموقف الحالي قد تم اختباره مسبقاً، دون القدرة على استرجاع تفاصيل ذلك الموقف (المكان، الزمان، أو الكيفية). وعند مرور الوقت، قد يسترجع الشخص تفاصيل مشوشة من الحادثة الجديدة، لكنه يعجز تماماً عن استرجاع تفاصيل الحالة الأولى المزعومة، وهو ما يرجعه العلماء إلى تداخل الوصلات العصبية المسؤولة عن "الذاكرة قصيرة الأمد" و"الذاكرة طويلة الأمد".

تُشير النظريات العصبية إلى أن الأحداث قد تُخزن في الذاكرة قبل معالجتها في "مركز الوعي" بالدماغ. وتحديداً، يقوم الدماغ بتخزين الذكريات

في منطقة "الحصين" (Hippocampus). وتفترض دراسة حديثة أن جزءاً صغيراً يسمى "التلفيف المسنن" (Dentate Gyrus) هو المسؤول عن "الذكريات المتسلسلة"، التي تسمح بالتمييز بين المواقف المتشابهة. وقد قام البروفيسوران سوسومو تونيجاوا وتوماس ماكهوج من معهد ماساتشوستس (MIT) بإجراء تجارب على فئران تعاني من نقص كفاءة منطقة الحصين، فكانت النتيجة عجزها عن التمييز بين موقفين متشابهين. ويؤكد تونيجاوا أن هذه الظاهرة قد تنجم عن خلل طفيف في خلايا التلفيف المسنن.

وهناك تفسير علمي آخر يتعلق بـ "الفيزيولوجيا البصرية"؛ تفترض النظرية أن إحدى العينين قد تسجل الحدث أسرع من الأخرى بجزء بسيط من الثانية، مما يوهم الدماغ بأن الموقف مكرر. ومع ذلك، تُنتقد هذه النظرية لعجزها عن تفسير تداخل الحواس الأخرى (كالسمع واللمس)، ولأن ظاهرة الديجافو تحدث أيضاً لدى الأشخاص الذين يبصرون بعين واحدة فقط. وبشكل عام، يمكن تفسير الظاهرة بحدوث "عدم توافق زمني" (Asynchrony) في معالجة البيانات بين نصفي الدماغ الأيمن والأيسر.

الاضطرابات العصبية والنفسية:

حاول بعض الباحثين إيجاد رابط بين ظاهرة "الديجافو" (Déjà vu) واضطرابات نفسية مثل الفصام والقلق، إلا أن النتائج لم تؤكد وجود علاقة مباشرة. في المقابل، وُجد ارتباط وثيق بين هذه الظاهرة و"**صرع الفص الصدغي**"[27] (Temporal Lobe Epilepsy). وقد قاد هذا الارتباط العلماء إلى استنتاج أن الديجافو قد ينتج عن خلل في عملية "التفريغ الكهربائي العصبي" (Neuro-electrical Discharge) في الدماغ. كما يُربط بينها وبين "النفسة العضلية" أو الرعشة السريعة التي تحدث غالباً في مرحلة "ما قبل النوم" (Hypnagogic jerk)، حيث يُرجح أن هذا النشاط العصبي يسبب إرسال إشارات خاطئة للذاكرة. والأفراد الذين يختبرون هذه الرعشات بشكل متكرر، غالباً ما يمرون بحالات "ديجافو سمعي"، حيث يتوهمون سماع أصوات مألوفة من قبل.

تأثير العقاقير الطبية:

تساهم بعض الأدوية في رفع احتمالية حدوث الديجافو. ففي عام 2002، وثق باحثون حالة رجل ظهرت عليه الظاهرة بشكل مكثف عند تناوله عقاري "أمانتادين" (Amantadine) و"فينيل بروبانولامين" لعلاج الإنفلونزا. وقد خلصت الدراسة إلى نظرية مفادها أن الديجافو

[27] - *Neurology Channel (English)*

ناتج عن ارتفاع مستويات "الدوبامين" (Dopamine) -أحد النواقل العصبية الرئيسية- وتأثيره المحفز على خلايا معينة في الفص الصدغي[28].

التفسيرات المعتمدة على آليات الذاكرة:

يرى تفسير آخر أن التشابه بين المثيرات الحالية وبعض الذكريات المخزنة يحفز ظاهرة الديجافو، حيث تستدعي مشاعر معينة تفاصيل من أحداث غابرة، مما يولد إحساساً زائفاً بالتكرار. يتيح هذا المنظور للعلماء محاولة استحضار الظاهرة مختبرياً لدراستها في ظروف معيارية. كما يعتقد بعض الباحثين أن الديجافو يتعلق بخلل في وظيفة "الإدراك المألوف" (Familiarity Recognition) في الذاكرة. وهناك فرضية تشير إلى أنها نتيجة لاسترجاع معلومات تم تعلمها سابقاً لكنها كانت "مكبوتة" أو منسية، فالدماغ البشري يحتفظ بالبيانات المسجلة حتى وإن تعذر استحضارها وعياً، مما يوهم المرء بأنه يعيش الموقف للمرة الثانية.

ظواهر إدراكية مشابهة:

- **جامي فو (Jamais vu):** تعبير فرنسي يعني "لم يُرَ من قبل"، وهي حالة نفسية تتمثل في عدم قدرة الفرد على التعرف على موقف أو بيئة مألوفة، فهي النقيض التام لظاهرة "الديجافو". يشعر الفرد بغرابة

[28] مجلة العربي العلمي، العدد 31.

ورهبة تجاه المشهد رغم إدراكه العقلي المنطقي بأنه اختبره سابقاً. تتكرر هذه الظاهرة غالباً عند فقدان القدرة اللحظية على تذكر كلمة أو اسم مألوف.

- **بريسكو فو (Presque vu) أو "طرف اللسان":** حالة تختلف عن الديجافو، حيث يعجز الفرد عن استحضار كلمة يعرفها جيداً، ومع الإصرار الذهني قد يتمكن من استرجاعها. في الديجافو يكون الموقف وهمياً بالأصل، أما في "بريسكو فو" فالمعلومة حقيقية لكنها محجوبة مؤقتاً (Tip-of-the-tongue phenomenon). تُلاحظ هذه الحالة بكثرة لدى مرضى الصرع أو من يعانون من اضطرابات وظيفية في النصف الأيسر من الدماغ.
- **ديجا انتندو (Déjà entendu):** ومعناها "سُمع من قبل"، وهي الشعور الزائف بسماع صوت أو حديث مسبقاً دون القدرة على تحديد تفاصيله أو مصدره الأصلي.

البحث الديني لظاهرة "شوهد من قبل":

في محاولة للربط بين المنهج العلمي والإيماني، يبرز الدين الإسلامي كإطار متكامل لفهم الطبيعة البشرية. لفهم هذه الظواهر، نعود إلى بدايات الخلق، إذ تشير النصوص الروحية إلى أن جسد آدم مكث أربعين عاماً

قبل نفخ الروح فيه، وخلالها اكتشف إبليس التكوين البشري وقدرته على النفاذ فيه.

وفي علم الرؤى، تُصنف الأحلام إلى: أضغاث أحلام، وكوابيس من صنع الشيطان، ورؤى صادقة. وبما أن الجن كيانات طاقية (مارج من نار) قادرة على السريان في المسارات الحيوية للإنسان، فإن بإمكانهم التأثير على العقل أثناء النوم وتكوين "تمثيلات بصرية" مزعجة مستمدة من مخزون الذاكرة. بينما يرجعها علماء الباراسيكولوجيا إلى نشاط العقل الباطن، فإن منظور التخاطر يطرح تفسيراً أبسط؛ ففي حالة الاسترخاء التام أثناء النوم، يسهل على الكيانات الطاقية القريبة (في المحيط المباشر) إرسال "صور ذهنية" أو مشاهد مصطنعة تعمل بآلية الإرسال التخاطري، وهو أمر أثبتت التجربة سهولة حدوثه حتى في حالات اليقظة.

تُصنف الرؤى والصور الذهنية التي تظهر في حالات النوم أو الاسترخاء إلى أقسام؛ منها "الأنباء الغيبية" التي يُلهمها الله للإنسان حول أحداث مستقبلية، مهما كانت تفاصيلها بسيطة، كلقاء شخص ما أو زيارة مكان معين. هذه الأحداث لا يمتلك "العقل الباطن" (Subconscious) أي مستندات سابقة عنها في أرشيف الذاكرة، مما يجعلها صوراً استبصارية مفاجئة وغير مفهومة المصدر، مثل رؤيا فرعون التاريخية (البقرات

السمان والعجاف والسنبلات)، والتي فسّرها نبي الله يوسف عليه السلام كخطط اقتصادية مستقبلية لسنوات الوفرة والقحط.

أما ظاهرة الاستبصار (Precognition)، فهي استعراض لأحداث مستقبلية تخص الرائي نفسه. فمن أين تأتي هذه اللقطات المصورة في العقل الباطن ونحن لم نختبرها واقعياً بعد؟ بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، نجد أن الخالق قد قدر المقادير وكتب الأرزاق والأعمار قبل خلق السماوات والأرض، كما في قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}، وقوله: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا}.

بآلية إلهية تتجاوز الإدراك البشري، تم تسجيل مسار حياتنا كاملاً (Data Logging) بكل تفاصيله الحسية والبصرية. وتفترض القراءة التأملية أن هذه "البيانات الحياتية" قد تكون مخزنة في الذاكرة الخلوية أو الحمض النووي (DNA). وأرجح أن لحظة تزويد المخلوق بالطاقة الحيوية اللازمة لتفعيل هذا الجسد هي لحظة "**نفخ الروح**"[29]، حيث يتم زرع هذا "السجل الحياتي" المستمد من اللوح المحفوظ في النفس البشرية، سواء كان ذلك في الشهر الرابع من الحمل أو عند خلق ذرية آدم من ظهره.

---

[29] **لحظة بعث الروح:** عن علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه قال: "إذا أتت على النطفة أربعة أشهر بعث الله إليها ملكًا فنفخ فيها الروح في ظلمات ثلاث".

وبمجرد بعث الروح، يبدأ الإنسان في عيش هذا المسار المقدر حتى لحظة الوفاة، حين يسترد ملك الموت تلك الطاقة الإحيائية (الروح) التي يظل كنهها سراً من أسرار ملكوت الله، ولا تعود إلا عند البعث للحساب.
والله أعلى وأعلم.

يؤمن المسلمون بوجود حقائق غيبية تقف الطبيعة البشرية والعقل الإنساني عاجزين عن إدراك كنهها أو الإحاطة بأسرارها؛ فهي مما استأثر الله بعلمه، مهما بلغت المعرفة الدنيوية من شأن. ومن أمثلة ذلك: الذات الإلهية، ماهية الروح التي قال فيها سبحانه: «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي»، بالإضافة إلى عذاب القبر، والجنة، والنار، والقدرة الإلهية على إطلاع بعض عباده على أحداث مستقبلية.
وفي سياق متصل، يمكن تأويل ظاهرة "الرؤى المستقبلية" بأن الله قد أودع في النفس البشرية ومضات من "سجل الحياة" تظهر في هيئة مقتطفات لأحداث لم تقع بعد. ولا يمكن الجزم إن كانت هذه الظاهرة تجري وفق نسق مطرد أو عشوائي، لكنها تهدف في جوهرها إلى تهيئة النفس لما هو آتٍ ضمن مقتضيات القدر.

وتتجذر هذه الحقائق في مفهوم "الفطرة"، فكما [30]**جاء في الصحيحين:** «**كل مولود يولد على الفطرة**»، أي أن الله فطر الخلق على معرفته وتوحيده، وإن كان قد سبق في علمه من سيكون مؤمناً ومن سيكون كافراً. وقد أخذ الله الميثاق الغليظ على بني آدم وهم في عالم الذر، كما ورد في سورة الأعراف: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين(172)أوتقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون (173)».

ويؤكد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رفعه إلى النبي ﷺ، من أن الله استخرج من صلب آدم ذريته يوم عرفة، وأخذ عليهم العهد ألا يشركوا به شيئاً وتكفل لهم بالأرزاق. لذا، فإن الوجود الإنساني ليس إلا تجلياً لهذا الميثاق القديم الذي لا يزال صداه يتردد في أعماق الفطرة البشرية."

يذهب الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم»، إلى أن النص حدد «بني آدم» لا آدم نفسه، وذكر «من ظهورهم» بصيغة الجمع، و«ذرياتهم» إشارة إلى تتابع الأجيال والقرون. وقد تواترت الأحاديث الصحيحة مؤكدة أن الله

[30] عن تفسير ابن كثير

استخرج من صلب آدم كل نسمة كائنة إلى يوم القيامة، لتشهد على وحدانيته في عالم الذر.[31]

إن الإيمان بميثاق الفطرة يفتح آفاقاً لفهم أغوار النفس البشرية؛ فهذا الميثاق المودع في أعماق الذاكرة الروحية يرجح وجود سجل باطني للحياة الإنسانية، لا تتسرب منه إلا ومضات يسيرة خلال النوم عند سيطرة العقل الباطن، وهو ما قد يفسر ظاهرة الرؤى المستقبلية أو ظاهرة "الديجافو" (Déjà Vu). وفي المقابل، يرى الباحثون في علوم الأحلام أن هذه الرؤى الصادقة هي نتاج رحلة الروح في ملكوت الله أثناء النوم، حيث يفارق الروح الجسد مفارقة جزئية تحفظ ملامح الحياة وتسمح بالإدراك الغيبي[32].

أما ظاهرة "التخاطر" (Telepathy) أو التواصل عن بُعد، فهي ظاهرة واقعية من الناحية التجريبية، وإن كانت ماهية الموجات المسؤولة عنها لا تزال مجهولة علمياً. ويفترض البعض أن الإنسان يبث موجات عابرة للمسافات، لكن هذا الافتراض يفتقر إلى البراهين المختبرية التي تضمن تكرار الظاهرة تحت شروط ضبط محددة.

---

31 عن تفسير ابن كثير.

32 انظر فصل علاقة التخاطر بتفسير الأحلام.

إن مسيرة البحث العلمي وتطوير القدرات البشرية لا تتوقف، وكما يقول هوراثيو: «كل إضافة إلى المعرفة الحقيقية هي إضافة إلى القدرة البشرية». ويبقى العلم الإلهي هو المحيط بكل شيء، سائلين الله عز وجل أن يرزقنا سعة العلم وحسن الفهم، فهو على كل شيء قدير."

هل هي معجزة؟

إن القدرة على التواصل الذهني مع الفئات التي تعجز عن النطق أو الإدراك السوي – كالأصم، والأبكم، أو من يعانون اضطرابات عقلية – توحي بوجود تجلٍّ إعجازي يتجاوز المألوف؛ فالحوار الذهني مع هؤلاء يماثل في سلاسته الحوار مع أي شخص سوي. ولعل هذا التواصل يمتد ليشمل الراقدين في غرف العناية المركزة لفترات طويلة، حيث أثبتت الأبحاث إدراكهم لما يدور حولهم حسياً ومعنويًا.

إن هذا التخاطر الدائم يمكن تصنيفه كآية إلهية تجيب ببساطة تتناسب مع محدودية عقولنا عن تساؤلاتنا الجوهرية حول معية الله؛ فالله معنا أينما كنا، يحيط بنا سمعاً وبصراً وعلماً، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. إنها معجزة تبرز الفرق الهائل بين قدرة المخلوق وعظمة الخالق؛ فهذا "التخاطر المفتوح" وما يرافقه من تشارك في الأحاسيس والرؤية عن بعد، يقرب لأذهاننا سهولة إحاطة الله بكل خلقه، وكيف أن النفوس عارية تماماً من كل نفاق أمام علمه الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وهو الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

وكما أجاب الله تساؤل إبراهيم – عليه السلام – عن كيفية إحياء الموتى بآية الطيور، ومنح عيسى – عليه السلام – معجزة نفخ الروح في الطين بإذنه، جعل هذه المعجزات تمر عبر أسباب مادية لتقريبها للفهم البشري. وبالمثل، تجلى لموسى – عليه السلام – حين طلب الرؤية، فأراه عجز الطبيعة المادية عن إدراك الذات الإلهية حين دكّ الجبل دكاً.

أما في حالتنا هذه، فتتجلى سهولة الإدراك الغيبي كبرهان على إحاطة الخالق بنا؛ فإذا كان بإمكان "مخلوق" أن يدرك حال غيره عن بعد، فكيف بمن خلق الوجود من عدم؟ إن الهدف من هذه الظواهر ليس تغذية الفضول العلمي فحسب، بل هو الاتعاظ وتقوية الإيمان بأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد. وليس من جرت على يديه هذه الآيات بأعظم من غيره، بل هي محض فضل من الله لإظهار آياته، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ولتقوم الحجة على من في قلبه شك.

والله أعلم، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين."

الخاتمة

"العودة إلى النبع"

"في ختامِ هذه الرحلةِ بين أغوارِ الروحِ وتجلياتِ المادة، ندركُ أنَّ كلَّ ظاهرةٍ حيَّرت عقولنا —من تخاطرٍ، ورؤىً، واستبصارٍ— ليست إلا ومضاتٍ من ذلك النورِ القديم الذي أُودِع فينا يومَ الميثاق. إنَّ العلمَ، مهما سما، يظلُّ يبحثُ في 'الكيفية'، بينما يظلُّ الإيمانُ وحده القادر على إدراك 'الجوهر'. إنَّ هذا الكتاب ليس نهاية المطاف، بل هو دعوةٌ لنتصالح مع فطرتنا، ولنعلمَ أنَّ المسافة بيننا وبين الغيب ليست أميالاً تُقطع، بل هي حجابٌ يُرفع بالإيمان والتدبر. فسبحان من جعل في عجزنا عن الإحاطة بعلمه دليلاً على عظمته، ولنعلم يقيناً أننا، في كل نبضة خاطر، لسنا إلا صدىً لقوله الحق: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»."

"تم بحمد الله"

(نبيل حميدة - سكيكدة، الجزائر) 2019

كلمة شكر ووفاء

"الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبنوره تنجلي عمايةُ القلوب. أرفعُ آيات الشكر والامتنان إلى أجدادنا الأبرار، الذين حملوا إلينا مشعل الإسلام الحق، وحفظوا لنا لسان الضادِ في أصالتها الفصحى، وصانوا انتماءنا العربي القح الذي لولاه لما تفتحت بصائرنا على تلك المعاني الروحية السامية، ولما أدركنا كنه الذات في ملكوت الله. إنني مدينٌ لهذا الإرث العظيم الذي جعل من أفكاري صدىً لميثاقٍ قديم، ومن لغتي جسراً نحو الحقيقة."

المراجع والمصادر:

أولاً: المصادر الدينية والتفسير:

1. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل. **تفسير القرآن العظيم.**

2. ابن باز، عبد العزيز (أو المؤلف المختص). **منتهى البيان في قضايا القرآن.**

ثانياً: المراجع العربية المعربة:

3. بليفير، غاي ليون. **التخاطر عن بُعد والاستبصار.** (2002)

4. عبد العزيز، محمد. **التخاطر.**

5. **مجلة العربي العلمي**، العدد 31.

6. **التخاطر وسحر اليوجا.** (1987)

7. **علم النفس والمخابرات.** (2010)

8. **ظواهر الإنسان الخارقة وقواه الحسية الفائقة.**

9. **الطاقة الروحية وأسرار النفس البشرية.**

10. **قوة العقل والإرادة.**

11. **بناء الإنسان.**

12. **ألغاز من عالمنا.**

13. **معجم الفلاسفة.**

ثالثاً: المراجع الأجنبية (Foreign References):

14. Funkhouser, Arthur. *Three types of déjà vu* (1996).

15. *Neurology Channel* (English Edition).